

مناهج البحث

في

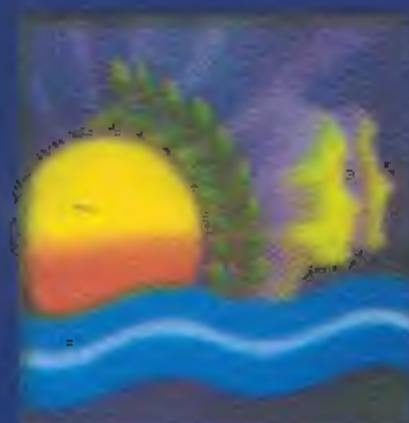
التاريخ الإسلامي والآثار الإسلامية

الأستاذ الدكتور

السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



مؤسسة شباب الجامعة

40 ش د / مصطفى مشرفة

تليفاكس: 4839496 الإسكندرية

Email: shabab_elgamaa@yahoo.com

مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى والآثار الإسلامية

الاستاذ الدكتور

السيد عبد العزيز سالم
أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية
كلية الآداب — جامعة الإسكندرية

٢٠١٠

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة^٣

٤٠ ش د. / مصطفى مشرفه

اسكندرية تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

Email:Shabab_Elgamaa@yahoo.Com

مقدمة

خص العرب علم التاريخ بجانب كبير من اهتمامهم ، لميلهم إلى معرفة مصائر الأمم الماضية ، وحوادث الأزمان السابقة ، ولاهتمامهم بالأسباب ، فرووا أخباره ، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من الروايات ، وألفوا فيه ، ولم يتركوا جانباً من جوانب النشاط الإنساني القديم والمعاصر لهم إلا سجلوا تاريخه ، ولذلك حفلت مصنفاتهم بجوانب متعددة من أحوالهم المعاصرة ، فلم تخل كتبهم من معلومات جغرافية واجتماعية واقتصادية بما يمكن أن يؤلف تاريخاً للحضارة العربية في العصور الإسلامية المختلفة ، ولذلك أيضاً كان كثير من رواد علم التاريخ رواداً لعلم الجغرافية في نفس الوقت ، وكان التاريخ والجغرافية في نظر العرب فرعين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يسمونها «الادب» ، بوجه عام ، «فكما كان من الضروري للعربي أن يعرف لغته ، ثراها ونظمها وشعرها ، وكنابها ، فكذلك كان لابد أن يعرف أسباب العرب وأخبارهم وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار الفتوح الإسلامية وتواريخ الخلفاء والدول وكان لزاماً عليه — إكمالاً لثقافته — أن يعرف بلاد الإسلام ومداينها والطرق إليها مع ما تيسر من أحوال أهلها وصفاتهم وعاداتهم ، ومن هنا قاله من الصير أن تفصل بين المؤرخ والجغرافي والأديب في تاريخ الفكر الإسلامي (١) .

وعلى هذا النحو فإن معظم المصنفات التاريخية والجغرافية والأدبية موسوعات عربية في التاريخ والادب والعلوم الإسلامية بوجه عام ، وتعتبر ذخيرة طيبة

(١) حسين رؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، من البداية إلى الحجازي ،

مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الثاني ، العدد ١٩٥٩ ،

للباحث في علم التاريخ عند العرب ، ومنها يستطيع أن يستخلص ما يرغب في استخلاصه من مادة علمية في المجال الذي ينوي البحث فيه . ولا يخفى أهمية هذه الموسوعات الجامعة بالنسبة لدراسة الحضارة الإسلامية ، إذ تعين على توضيح مجريات الأحداث ، وتفهمها تفهما واعيا ، والوقوف على عوامل الضعف والقوة في الشعوب ، والتيارات المختلفة التي تؤثر في حياتها ، فإن كثيرا من الحركات السياسية والاجتماعية يستعصى على دارسي التاريخ فهمها ما لم تكن مصحوبة بدراسة العوامل الاقتصادية التي أثرت فيها وتأثرت هي بها ، فالهجرات السامية من قاب شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام والعراق في العصور القديمة ، وغزو الهكسوس لمصر أمور يغلق فهمها على المؤرخ مالم يقرنها بالعوامل الاقتصادية التي كانت تؤثر فيها ، كما أن الفتوحات الإسلامية في فارس والعراق والشام ومصر والمغرب والأندلس ، وحركة القرامطة ، وثورة الزنج ، وقيام الدولة الفاطمية في مصر . والحركة الصليبية ، والهجرات الجرمانية وغيرها من الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي والأوروبي الوسيط ، لم تكن كلها حركات سياسية أو دينية فقط ، ولكن صلتها بالأوضاع الاقتصادية كان وثيقا للغاية (١) . وكانت التجارة من العوامل الرئيسية التي ساعدت على انتشار الرحلات في الماضي ، كما كانت العامل الرئيسي في انتشار الإسلام في أطراف الدولة الإسلامية ، في الهند والصين وبلاد ما وراء النهر ، وفي السودان الغربي وموريتانية وغانه وأواسط إفريقيا وسواحلها الشرقية .

وظل العرب يهتمون بدراسة تاريخهم وحضارتهم ، ويسجلون الأحداث والوقائع القديمة والمعاصرة لهم ، إلى أن تعرض العالم العربي في النصف الأول

(١) سيده اسماعيل كاشف ؛ مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة

من القرن السابع عشر الميلادي اوجة عاتية من الجمود الفكري بعد أن نكب بالفتح العثماني لمعظم أقطاره في المشرق والمغرب ، وزاد الاستعمار الاوربي للعالم العربي منذ النصف الاولي من القرن التاسع عشر في هذا الركود ، كما دعم الانفصال السياسي والحضاري بين شتى العالم العربي : المشرق والمغرب . ولم يبق للعرب من صدمة الاستعمار الاوربي إلا بعد أن أنقضى ما يزيد على نصف قرن من الزمان ، ثم كانت الانطلاقة التحررية الاولى من عرب المشرق في مصر والشام والعراق ، إذ أعلنوا ثورتهم على الاستعمار ، وأخذوا يحطمون تدريجيا الاصفاد التي كبلهم بها المستعمرون ، فلما تحققت آمالهم في آخر الامر ، وظفروا بحريتهم ، أخذوا يمدون أيديهم إلى إخوانهم في المغرب العربي ، الذين كانوا يعملون من جانبهم على التحرر من أغلال الاستعمار الفرنسي البغيض ، وساند العرب في سائر الاقطار العربية كفاح الشعب العربي الثائر في تونس والجزائر والمغرب ، إلى أن تها لهذا الشعب العربي المغربي أن ينال ثمرة كفاحه ، ويسترد حريته .

وبينما كان قلب العالم العربي منذ بداية القرن العشرين يحتدم بالثورات ضد المستعمرين ، ويغلي بالحركات القومية ، كانت تجتاحه ثورة أخرى شملت معظم جوانب الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية ، ذلك أن الحركة القومية العربية اقترنت بحركة إحياء واسعة النطاق (١) ، كان من أبرز مظاهرها البحث عن الكتب التاريخية ، ودراستها ، ونشرها ، باعتبارها أداة للكشف عن ملكات العرب ، وطاقاتهم الابداعية ، ومصدرا ملهما للأجساد والبطولات ، ثم هي بالإضافة إلى ذلك حافز لإلهاب المشاعر القومية ، ودفع الحركة القومية للشعب العربي إلى الغاية والمنتهى ، وعلى هذا النحو تزايد الاقبال على الدراسة التاريخية

(١) فرايز ووزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد المثل ، بغداد ١٩٦٣

وأدى ذلك إلى الاهتمام بالبحث في علم التاريخ عند العرب ، ودراسة مناهج البحث فيه ، وهو أمر سبقهم المستشرقون إلى تحقيقه . ولم يحب الباحثين العرب أن يأخذوا على هؤلاء المستشرقين ، فعلى الرغم من أن نفرا من المستشرقين المشتغلين بالتاريخ الاسلامي قد جانبوا المنهج العلمي ، فعمدوا إلى التضليل في أبحاثهم لتعمية العرب عن معرفة أجداد أسلافهم ، ومنهم من كان يسعى إلى إبراز الأخطاء التي وقع فيها العرب ، ومنهم من مجد حركات الشعوبية ، وأبرز روح المقاومة التي مارسها العجم والبربر ضد العرب ، رغبة في تفتيت وحدة الشعوب العربية ، فإنه لا ينبغي أن نجحده فضل التواليف والأبحاث القيمة التي قام بها بعض المستشرقين في التاريخ الإسلامي وفي مصادره وفي نشأته ، ومنهم بروكلمان وهاملتون جب ، وبارتولد ، وسوفاجيه ، فقد اتسمت أبحاث هؤلاء بالزاهة العلمية والتحرى والصدق ، والاعتماد على المصادر العربية التي بذلوا في نشرها وتحقيقها واستخدامها جهودا موفقة . ومن طلائع المستشرقين في دراسة علم التاريخ عند العرب :

١ - وستنفلد (فردناند) الذي أصدر بحثا هاما في مؤرخي العرب في سنة ١٨٨٢ ، جمع فيه نحو ٥٩٠ اسما من أسمائهم وضمنه مصنفاتهم (١) في القرون العشرة الأولى بعد الهجرة .

٢ - مرجليوث : وقد نشر عددا من المحاضرات كان قد القاها في جامعة كلكتوتا بالهند في فبراير سنة ١٩٢٩ عن مؤرخي العرب (٢) ، تعرض فيها لدراسة المؤرخين العرب في القرون الستة الأولى للهجرة .

(١) F. Wuestenfeld, Die Geschichtschreiber der Araber und ihre Werke, Goettingen, 1882.

(٢) D. S. Margoliouth, Lectures on Arabic Historians (delivered before the University of Calcutta, February 1929) University of Calcutta, 1930.

٣ — بروكلمان : أصدر معجما لجميع مصنفات العرب في العصور الاسلامية ،
وقسم هذه الدراسة القيمة إلى أقسام تتبع العصور التاريخية ، وقد أفاد بروكلمان
في دراسته عن التاريخ الاسلامي وكل ما كتبه وستنقلد من قبل عن المؤرخين
العرب ، ويتضمن كتابه مجلدان نشرهما في برلين فيما بين عامي ١٨٩٨ ، ١٩٠٢ ،
ثم ذيلها بملحق من ثلاث مجلدات نشرها فيما بين عامي ١٩٣٧ ، ١٩٤٢ (١) .

٤ — هاملتون جب : نشر بحثين قيمين ، أحدهما في دائرة المعارف البريطانية
(الطبعة ١٤) ، عن التاريخ عند المسلمين ، والثاني في دائرة المعارف الاسلامية
تحت مادة « علم التاريخ » ، من القسم المعرب ، في الملحق « Supplement » الصادر سنة
١٩٣٨ (صفحات من ٢٣٣ — ٢٤٥) مادة « Tarikh » (٢) ، كما نشر بحثا عن
التاريخ الاسلامي في العصور الوسطى في كتابه ، دراسات في حضارة الاسلام ، (٣)
٥ — بارتولد : أصدر بحثا فيما عن تاريخ التركستان حتى الغزو المغولي ، ضمن
مقدمته دراسة جديّة عن المصادر الخاصة بالتاريخ الاسلامي (٤) .

٦ — كلود كاهن : قدم لدراسة الاصلية عن « سورية الشمالية في العصر

C. Brockelmann: Geschichte der Arabischen Litteratur, (١)
2 vols., Berlin 1898-1902 & Supplementband, 3 vols, Leiden
1937-1942.

H.A. R. Gibb : Ta'rikh, in Ency. of Islam, Supplement, (٢)
pp. 233-245, Leiden-London, 1938.

(٣) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة الدكالة إحسان عباس ومحمد نجم
وعمود زايد ، بيروت ١٩٦٤ ص ٣-٤١ .

Barthold W.: Turkestan down to the Mongol invasion, (٤)
London 1928 (Gibb Memorial Series, N.s.5)

الصليبي ، بدراسة ممتازة عن المصادر العربية ، شملت الفصل الثاني كله من المقدمة التي أفردتها لبحث المصادر (١) .

٧ — سوفاجيه : نشر بحثاً متكاملاً عن « مقدمة لتاريخ المشرق الاسلامي » عرض فيها مصادر تاريخ كل قطر من أقطار المشرق الاسلامي على حدة (٢) .

٨ — فرانز روزنتال : أصدر مصنفين جليلين ، أحدهما بعنوان : « علم التاريخ عند المسلمين » ، وقد تولى ترجمته الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي بجامعة بغداد (٣) ، والثاني بعنوان : « مناهج البحث العلمي عند المسلمين » (٤) ، وقد تولى ترجمته إلى العربية الأستاذ الدكتور أنيس فريجة ، الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت ، تحت العنوان السابق (٥) .

وهناك علماء آخرون ، كتبوا في التاريخ الإسلامي في المغرب والاندلس نذكر منهم ، ليفي بروفنسال في بحثه القيم « Les Historiens des Chorfa » (٦) ،

Claude Cahen, la Syrie du Nord à l'époque des Croisades (١)
et la Principauté franque d'Antioche, Paris, 1940, pp. 33-93.

Jean Sauvaget; Introduction à l'histoire de l'Orient . (٢)
musulman, Paris, 1923.

Franz Rosenthal, a history of Muslim Historiography, (٣)
Leiden, 1952. والترجمة العربية بعنوان : علم التاريخ عند المسلمين ، قام بها الأستاذ
الدكتور صالح أحمد العلي ، بغداد ١٩٦٣ .

F. Rosenthal, the Technique and approach of Muslim (٤)
Scholarship, Rome, 1947.

(٥) روزنتال ، مناهج العلماء المسلمين ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة ، بيروت ١٩٦١ .

E. Lévi-Provençal, Les Historiens des Chorfa, Paris 1922 (٦)

وبونز بويجس الاسباتى فى كتابه الكبير ، تراجم للتورخين والجغرافيين
الاندلسيين، (١). ثم ظهرت بحوث عربية قيمة فى التاريخ والمؤرخين العرب، نخص
بالذكر منها الدراسات التى قام بها الأستاذ أحمد أمين فى كتابيه ضحى الاسلام ،
وظهر الاسلام (٢)، وقد عالج فيها نشأة علم التاريخ وتطوره فى العصر العباسى ، ومنها
الفصل القيم الذى أضافه الأستاذ عبد الحميد العبادى لكتاب « علم التاريخ »، لمؤلفه
هرنشو ، عندما تبين له أثناء قيامه بترجمته — اختصار المؤلف لهذا الموضوع فى
فصله الثانى ، فأصبح الكتاب يتضمن ثمانية فصول بدلا من سبع (٣) ، ومنها
أيضا كتاب نشأة علم التاريخ عند المسلمين ، للأستاذ الدكتور عبد العزيز الدورى (٤)،
والمؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى للأستاذ الدكتور محمد مصطفى
زيادة (٥) ، وموارد تاريخ الطبى للدكتور جواد على (٦) ، ومنهج البحث
التاريخى للأستاذ الدكتور حسن عثمان (٧) ، والتعريف بالمؤرخين فى عهد المغول
والتركان للأستاذ عباس الغزاوى (٨)، والبحث الذى نشره الأستاذ الدكتور زكى

(١) Pons Boigues (F.): Ensayo bio-bibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-espanoles, Madrid, 1898.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ، جزآن ، القاهرة ١٩٣٨ .

(٣) هرنشو ، علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد العبادى ، القاهرة ١٩٣٧ ،
والفصل الثالث من هذه الترجمة من تأليف الأستاذ عبد الحميد العبادى (ص ٥١ — ٦٩) .

(٤) عبد العزيز الدورى ، بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ١٩٦٠ .

(٥) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ،

القاهرة ١٩٤٩ .

(٦) جواد على ، موارد تاريخ الطبى ، مجلة المجمع العلمى العراق ، بغداد ، ١٩٥٠ —

١٩٥٢ (ثلاثة أجزاء) .

(٧) حسن عثمان ، منهج البحث التاريخى ، القاهرة ١٩٤٣ .

(٨) عباس الغزاوى ، التعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان ، بغداد ١٩٥٧ .

محمد حسن بعنوان : « دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى » ، (١) ،
وكتاب مصادر التاريخ الاسلامى ومناهج البحث فيه للأستاذة الدكتورة سيدة
كاشف (٢) ، وكتاب مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، للأستاذ الدكتور عبدالمنعم
ماجد (٣) ، ومصطلح التاريخ للدكتور أسدرستم (٤) ، وكتاب استخدام
المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط للدكتور على ابراهيم حسن (٥) ،
وكتاب التاريخ والمؤرخين في مصر في القرن التاسع عشر للأستاذ الدكتور
جمال الدين الشيال (٦) ، والبحث القيم الذى نشره الأستاذ الدكتور حسين مؤنس
عن الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس (٧) ، وأخيرا البحث الذى تقدم به الدكتور
عبد القادر أحمد طلبات لنيل درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة عين شمس
بعنوان المؤرخ ابن الأثير (٨) .

-
- (١) زكى محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامى ، مجلة كلية
الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الثانى عشر ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ .
(٢) سيدة اسماعيل كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامى ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
(٣) عيد المنعم ماجد ، مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى ، القاهرة ١٩٥٣ .
(٤) أسدرستم ، مصطلح التاريخ ، بيروت ١٩٣٩ .
(٥) على ابراهيم حسن ، استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ المصرى الوسيط ،
القاهرة ١٩٤٩ .

- (٦) جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون فى مصر فى القرن التاسع عشر ، المكتبة
التاريخية ، عدد ٣ القاهرة ١٩٥٨ .

Gamal el-Din el-Shayyal, a history of Egyptian historiography
in the 19 th Century, Alexandria, 1962.

- (٧) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس من البداية إلى الحجارى ،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، المجلد ٧ ، ٨ ، مدريد ١٩٥٩ / ١٩٦٠ ص
١٩٩ - ٣٥٩ .

- (٨) عبد القادر أحمد طلبات ، المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه
فى الآداب - جامعة عين شمس فى ٨ / ٧ / ١٩٦٧ .

ويثبت لنا بما ذكرناه عن كثرة البحوث والنوايل العربية في التاريخ والمؤرخين العرب أن الباحثين العرب حذوا حذو المستشرقين في الاهتمام بدراسة التاريخ ، فجاءت دراساتهم وقد تميزت بالدقة وتشبعت بالروح النقدي . وفاقته في هذا المجال بحوث المستشرقين .

وقد كان من مظاهر اهتمام جامعة الاسكندرية بهذه الدراسات التاريخية أن خصصت لطلاب السنة الرابعة بقسم التاريخ مقررأ قوميا لم تجد أنسب من تخصيصه لدراسة التاريخ والمؤرخين العرب ، وقد رأيت أن أجمع محاضراتي في هذا الكتيب حتى يتيسر للطلاب أن يقوم بدراستها ، مترابطة فيما بينها ، بطريقة علمية مستساغة ، وقسمت هذا الكتاب إلى قسمين رئيسيين : الأول أفردته للكتابة التاريخية والثاني خصصته لدراسة المصادر ، واختتمت الكتاب بنصوص تاريخية وجغرافية تعين الطالب على تطبيق ما درسه في فصول الكتاب .

أرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه ، والله أسأله التوفيق ؟

السيد عبد العزيز سالم

البساط الأول

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

(١) التقويم الهجري

(٢) آراء مؤرخي العرب في التأريخ :

أ — فائدة التأريخ

ب — أخطاء المؤرخين العرب في رأي ابن خلدون

ج — الشروط اللازم توفرها في الكتابة التاريخية (في رأي ابن خلدون
والسخاوي)

الفصل الثاني

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١) أخبار العرب في الجاهلية

(٢) كتاب السيرة والمغازي وبداية الكتاب التاريخية عند العرب

أ — مدرسة التأريخ في المدينة

ب — مدرسة التأريخ في العراق

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية

(١) منهج الكتابة التاريخية عند العرب

(٢) تنوع صور الكتابة التاريخية

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

(١)

التقويم الهجري

أ - لفظة «تأريخ» لغة واصطلاحاً:

تأريخ كل شيء من حيث اللغة ، وفقاً لما ذكره محمد بن يحيى الصولي (ت ٥٣٣٦هـ) غاية ووقته الذي ينتهي إليه ، ولهذا يقال : فلان تأريخ قومه في الجود ، أى الذى انتهى إليه ذلك . وقيل إن معناه التأخير ، وقيل أيضاً إنه اثبات الشيء (١) . «وتأريخ» مصدر من «أرخ» ، بلغة قيس ، وهو اللفظ الشائع عند العرب ، أو «ورخ» ، بلغة تميم ، وهو لفظ لم يستخدمه كاتب قط (٢) ، ويؤمن بعض المؤرخين أن لفظ «تأريخ» مشتق من «يارخ» ، العبرية بمعنى القمر أو «يرخ» ، بمعنى الشهر ، وعلى أساس هذا الزعم يكون معنى لفظ «تأريخ» ، التوقيت ، أى تحديد الشهر (٣) . ويستبعد الأسناد روزنثال الافتراض القائل بالأصل العبرى لوجود حرف ياء فى الصورة العبرية (٤) . وزعم آخرون أن لفظ «تأريخ»

(١) أبو بكر محمد بن يحيى الصولى ، أدب الكتاب ، تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة

١٣٤١هـ ، ص ١٧٨ ، محمود شكرى الألوسى ، بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ج ٣ القاهرة ١٩٢٥ ، ص ٢١٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٨٠ .

(٣) بلسيد ، مادة تأريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، (القسم العرب) ، مجلد ٤ ،

عدد ٨ ص ٤٧٣ .

(٤) فرائز روزنثال ، علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٢١ .

مشتق من اللفظ الأكدي « أرخو » وهو أيضا أمر بعيد الاحتمال في رأى روزنتال (١) . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن لفظ « تأريخ » تعريب لكلمة « ماه روز » الفارسية ومعناها حساب الشهور والأيام (٢) ، أو التوقيت حسب القمر (٣) ، وتوحي لفظة ماه روز بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمري (٤) ، ويعلمون ذلك برواية جاء فيها أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لما كثرت لديه الأموال ، واختلط عليه وقت توزيعها ، جمع وجوه الصحابة ، وسألهم عن كيفية التوصل إلى ذلك ، فقال له الهرمزان ملك الأهواز ، وكان قد أسر زمن فتح فارس ، وحمل إلى عمر قاسم : « إن للعجم حسابا يسمونه ماه روز ويستندونه إلى من غلب عليهم من الأكاسرة » ، فعربوا لفظة ماه روز بـ « تأريخ » وجعلوا مصدره « التأريخ » واستعملوه في وجوه التصريف ، ثم شرح لهم الهرمزان كيفية استعمال ذلك (٥) .

وكلمة التأريخ من حيث الاصطلاح تعنى الزمن والحقة (٦) ، ولم يظهر هذا الاصطلاح بالمعنى الذى ذكرناه لا فى الأدب الجاهلى ، ولا فى القرآن الكريم ، ولا فى الأحاديث النبوية ، ولم يستخدم لأول مرة إلا منذ أن أدخل عمر بن

(١) قس المرجع .

(٢) البيروني ، الآثار الباقية عن القرون الخالية ، نشره ادوارد شاو ، ليزج ١٩٢٣ ص ٢٩ — حمزة الأصفهاني ، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، مطبعة كاوياني ، برلين ، ص ٨ .

(٣) روزنتال ، علم التأريخ ، ص ٢٣ .

(٤) بلسير ، مادة تأريخ ص ٤٧٤ .

(٥) البيروني ، الآثار الباقية ، ص ٣٠ — السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التأريخ ، من نشره روزنتال فى كتابه ، علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٥١٢ .

(٦) روزنتال ، ص ٢٣ .

الخطاب التقويم الهجرى ، فقد ورد هذا الاصطلاح فى بردية يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢ هـ ، مما يدل على أن الكلمة كانت معروفة فى ذلك الحين . (١)

ثم تطور مدلول الكلمة بعد ذلك إلى أن أصبحت « الكتب التاريخية » ، وأقدمها الكتب التى تتضمن مجموعات تراجم تتعرض لسنوات الميلاد والوفاة لبعض الشخصيات التى عنى مؤلفو هذه الكتب بترجمتها ، وعلى هذا الأساس أصبح التاريخ عند العرب فناً يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان فى العالم ، (٢) ، وموضوعه يقوم على الإنسان والزمان ، ومسائله قوامها أحوال الإنسان والزمان والمفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان وفى الزمان ، (٣) . ولهذا السبب كانت كتب السيرة والمغازى والأنساب تدخل فى عداد الكتب التاريخية ، ثم تطور معنى التاريخ إلى معناه الشائع المعروف باستعمال كتب الحوليات لهذه الكلمة (٤) ، مثل تاريخ الأمم والملوك للطبرى ، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لجزرة الأصفهاني .

ومع ذلك فلفظة « تاريخ » عند العرب لم تكن تطابق كلمة « History » عند الأوربيين . لأن القضايا الفلسفية المتصلة بفكرة التاريخ هى من تطورات الفلسفة الحديثة (٥) ، وهى تختلف كلية عن مفهوم التاريخ عند العرب .

(١) نفس المرجع ، ص ٢٤ .

(٢) السكاكيني ، المختصر فى علم التاريخ ، ٣٢٧ — السخاوى الاعلان بالذويج

ص ٣٨٥

(٣) نفس المصدر

(٤) روزنتال ، ص ٢٥ .

(٥) جوردون شايلد ، التاريخ ، ترجمة عبد السلام ، القاهرة ١٩٥٨ ،

ص ١١٥ وما يليها — هيوانسكن ، دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمود زايد ، بيروت ١٩٦٣ — هرنشو ، علم التاريخ ، ص ١ — ٢٢

ب - افعال التقويم الهجري :

كانت فكرة الوقت وتحديدته في المجتمع القبلي الجاهلي غير محدودة ومشوشة ، فكان العرب يؤرخون بكل عام يكون فيه أمر مشهور متعارف عليه ، فأرخ العدنانيون بعام نزول اسماعيل مكة ، وعام تفرق ولد معد ، وعام رئاسة عمرو بن لحي الخزاعي الذي بدل دين اداهم بعبادة الاصنام ، وعام وفاة كعب بن لؤي ، وعام الغدر أو حجة الغدر (١) ، كذلك أرخوا بعام الفيل ، وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان في السنة الثانية والثلاثين من ملك كسرى أنوشروان ، كذلك أرخوا بعام الحنان لأنهم تماوتوا فيه (٢) ، فقال النابغة الجعدي فيه :

فمن يك سائلا عني فإني . . . من الشبان أيام الحنان

مضت مائة لعام ولدت فيه . . . وعشر بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش أيضا بوفاة هشام بن المغيرة المخزومي والد أبي جهل لإجلالهم له ، وأرخوا أيضا بينان الكعبة (٣) ، وكانت حمير تؤرخ بالتبابعة ، وغسان بالسد (سد مأرب) ، وأهل صنعاء بظهور الحبشة على اليمن ، ثم بغلبة القيس . ثم أرخ العرب بالأيام المشهورة كحرب البسوس وداحس ، ويوم ذي قار ، وحرب الفجار ، ثم أرخ العرب في خلافة عمر بالتقويم الهجري (٤) . وذكروا في ذلك

(١) وفيه وثب قوم من بني يربوع على رسل أحد ملوك حمير ، كان وجههم بكسوة الى الكعبة ، ونهبوا متاعهم ، فبلغ خبرهم من كان قد اجتمع بالموسم من افناء القبائل ، فوثب بعضهم على بعض . وقد حدث ذلك قبل البعث بمائتي عام على حد قول الزبير بن بكار

(٢) الصول ، أدب الكتاب ، ص ١٧٩ — البيروني ، ص ٣٤ .

(٣) حرة الاصفهاني ، تاريخ سني ملوك الأرض والانبياء ، برلين ١٣٤٠ ، ص ٩٣-٩٦

(٤) الكانيجي ، ص ٣٣٠-٣٣١ ، جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد

أنه قال : وضعوا للناس تاريخاً يتعاملون عليه ، وتصير أوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم ، فقال بعض من حضر من مسلمي اليهود : لنا حساب مثله نسند إلى الاسكتندر ، فما ارتضاء الآخرون لما فيه من الطول ، وقال قوم : يكتب على تاريخ الفرس ، فقل إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا من لدن قيامه وطرحوا ما قبله ، واتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت مبعثه فإنه يختلف فيه ، وكذا وقت ولادته ليلة وسنة ، وأما وقت وفاته فهو وإن كان معيناً ، فلا يحسن عقلاً أن يجعل الأصل لمبدأ التاريخ ، وأيضاً ، فوقت الهجرة ، ووقت استقامة مكة الاسلام وترادف الوفود ، واستيلاء المسلمين ، فهو مما يتبرك به ، ويعظم وقعه في النفوس ، (١) .

وهناك من يجعل أصل التاريخ الاسلامي مأخوذاً من اليمين (٢) استناداً إلى الرأي القائل بأن أول من أربخ التاريخ يعلى بن أمية الذي كتب إلى عمر بن الخطاب كتاباً من اليمين مؤرخاً ، فاستحسنه عمر ، فشرع في التاريخ (٣) ، ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب تقويماً ثابتاً يمثل في التاريخ الهجري ، أصبح هذا التقويم عنصراً أساسياً في نشأة الفكرة التاريخية (٤) .

وذكر آخرون أن السبب الذي دفع عمر بن الخطاب إلى اتخاذ الهجرة النبوية

(١) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٥١٣ ، راجع في ذلك المصنف أيضاً البيهقي ، الآثار الباقية ص ٣٠

(٢) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ص ٥١٠ — روزنتال ، ص ٢٩

(٣) السخاوي ، المصدر نفسه ، ص ٥٠٩

(٤) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ١٩

أساسا للتاريخ العربى الإسلامى أن أباه موسى الأشعرى كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول : « إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ، فلا ندرى على أيها نعمل ، (١) ، وكان عمر قد دون الدواوين ، ووضع الأخرجة ، وسن القوانين ، واحتاج إلى تاريخ ، فجمع الناس ، وعرض عليهم مشكلة اختيار حادثة معروفة تكون أساسا للتاريخ الإسلامى ، فذكر له بعضهم التاريخ بمبعث النبى ، وأشار عليه بعضهم ، ومنهم سعد بن أبى وقاص ، التاريخ بوفاته ، ورأى آخرون أن يكون ذلك بالمولد ، وأبدى البعض الآخر أن يكون مبدأ الهجرة الأساس فى ذلك ، لأن المبعث والمولد فيهما اختلاف ، فيستبعدا لذلك ، ولأن الوفاة لا يحسن أخذها أساسا للتاريخ ، فإن من يفعل ذلك لابد أن يكون عدوا يستبشر بموته ويستحب أن يكون موته عيداً (٢) ، فرجح لديهم جعله من الهجرة ، وهى حادث ثابت يحدد التاريخ ، وأجمع المسلمون على ذلك ، فأرخوا بالهجرة ، وتم ذلك فى العام الرابع من خلافة عمر بن الخطاب ، أى فى العام السابع عشر بعد الهجرة (٣) .

ومناك من يجعل أصل التاريخ الإسلامى مأخوذاً عن الفرس اعتماداً على رواية ميمون بن مهران التى أوردها البيرونى ، وجاء فيها أن عمر بن الخطاب « لما رفع إليه منك عمل فى شعبان ، فقال عمر أى شعبان ، الذى نحن فيه أو الذى هو آت ؟ ثم جمع أصحاب رسول الله وآله فاستشارهم فيما دهمه من الحيرة فى أمراة الأوقات ، فقالوا يجب أن نعرف الحيلة فى ذلك من رسوم الفرس ، فاستحضروا الهرمزان واستعلموه ذلك ، فقال : إن لنا حساباً تسميه ماه روز أى حساب الشهور والأيام . فعربوا ماه روز ، فقال « مؤرخ » وجعلوا مصدره التاريخ وشرح لهم

(١) الضول أدب الكتاب ، ص ١٢٩ - السقاوى ، المصدر السابق ، ص ٥٠٩

(٢) البيرونى ، الآثار الباقية ، ص ٣

(٣) السقاوى ، الاعلان ص ٥٠٩

الهرمزان كيفية استعمالهم ذلك ، وما عليه الروم من مثله ، . فتم اتخاذ الهجرة
بعد ذلك أساسا للتاريخ الاسلامي (١) .

ونعتقد أن المسلمين أخذوا فكرة التاريخ عن عرب الجنوب ، فما لا شك
فيه أن عرب الجنوب اهتموا بأمر التوقيت لعوامل عديدة منها الزراعة التي تخضع
لتقلبات الجو وتبدل المواسم ، ومنها الأعياد والشعائر الدينية التي لها ارتباط
وثيق بضبط الأوقات ، ومنها التجارة في البر والبحر (٢) . وقد ورد لفظ « وريخ »
في نقوش العربية الجنوبية ، وجمعها أورخم بمعنى الشهر القمري (٣) .

وما إن اتفق المسلمون على اعتبار هجرة الرسول إلى يثرب أساسا للتقويم
الاسلامي حتى اختلفوا في الشهر ، فرأى بعضهم أن يبدأوا برمضان ، ورأى آخرون
وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عوف ، أن يبدأوا التاريخ بربيع باعتباره أول الأشهر
الحريم ، ولكن عثمان وعلى اقترحا أن يكون مبدأ التاريخ الهجري في المحرم ، لأنه شهر
حرام ، فأخذ عمر برأيهما لاعتبارات منها أن المحرم شهر حرام والعرب تعظمه ، ومنها أنه
آخر الأشهر الحريم ومنصرف الناس من الحج (٤) ، ومنها أن بيعة العقبة التي
بمقتضاها اتفق الرسول مع الأوس والخزرج على الهجرة إلى يثرب حدثت في
ذي الحجة ، ثم عزم الرسول على الهجرة في المحرم ، فكان أول هلال استهل بعد
البيعة والعزم على الهجرة هو هلال المحرم (٥) ، وكان العرب في الجاهلية يعتبرون
الأملة موافقت لتعيين أوائل الشهور ، كذلك اعتبر الاسلام الرؤية شهادة ابتداء

(١) البيهقي ، الآثار الباقية ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السخاوي ، الاعلان ص ١٢٠

(٢) جواد علي ، ج ٨ ص ٣٤٣

(٣) نفس المرجع ص ٣٦٦

(٤) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ١٨٠

(٥) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، ص ٥٠٩

الشهر الجديد (١) ، وميز العرب شهر المحرم عن غيره باعتباره أول السنة بزيادة الألف واللام .

وكان العرب يغلبون الليالي على الأيام في التاريخ ، بخلاف العجم الذين كانوا يسنون تاريخهم على الأيام دون الليالي (٢) ، لأن ليلة الشهر سبقت يومه وولדתه ، ولأن الالهة الليالي دون الأيام وفيها دخول الشهر (٣) . وقد قدم الله تعالى في كتابه العزيز الليالي على الأيام في قوله تعالى : وله ما سكن في الليل والنهار ، وهو السميع العليم ، (٤) ، وقوله أيضا : وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ، (٥) ، وفي قوله تعالى : وإن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ينشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ، (٦) ، وفي قوله : وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصرا ، إن في ذلك

(١) جواد علي ، ج ٨ ، ص ٣٦٥ . وكان العرب يكبرون عند رؤية القمر كل أول ليلة من الشهر لقربهم ، يضي الشهر الثالث ، من وقت الحج ، وسرورهم بالموسم ، فنسبوا الرؤية إلى قطمهم ، فقالوا استهل وأهل ، وسموا القمر هلالا لهذا المعنى ، (راجع الأصول ، ص ١٨٢) ، وكان العرب يسمون أول ليلة من الشهر البراء ، لبراء القمر من القمس ، كما كانوا يسمونها النخيرة لأن الهلال نحرهما أي رؤى في نحرهما .

(٢) عبد الحميد المبادئ ، التاريخ عند العرب ، فصل مضاف في كتاب علم التاريخ لهراشو ، ص ٥٢ .

(٣) الأصول ، ص ١٨٠ - الألويس ، بلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ٢١٦ وما يليها .

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ٦ آية ١٣ ،

(٥) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ٦ آية ٦٠ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة الأعراف ٧ آية ٥٤ .

لآيات لقوم يسمعون ، (١) ، وفي قوله : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون » (٢) ، وفي قوله : « وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار » (٣) ، وفي قوله : « ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » (٤) ، وفي قوله : « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون . فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسثمون » (٥) .

(١) القرآن الكريم ، سورة يونس ١٠ آية ٦٧ .

(٢) القرآن الكريم ، سورة الأنبياء ، ٢١ آية ٣٣ .

(٣) القرآن الكريم سورة المؤمنون ٢٣ آية ٨٠ .

(٤) القرآن الكريم سورة لقمان ٣١ آية ٢٩ .

(٥) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤٠ آية ٣٧ .

(٢)

آراء مؤرخي العرب في التاريخ

أ - فائدة التأريخ :

ارتبطت الكتابة التاريخية منذ بدايتها في صدر الاسلام بالعلوم الدينية ارتباطاً وثيقاً ، فكان المؤرخون الاولون يكتبون في السيرة النبوية وفي المغازي وفي نسب قريش ، وفي الطبقات وفي التراجم لرجال العلم والفقه الحديث . وما لا شك فيه أن القرآن أكد على أمثلة الشعوب الماضية البائدة لما تنطوي عليه هذه الأمثلة من عبر دينية ومواعظ خلقية ، كما جاء القرآن بنظرة عالمية إلى التاريخ ممثلة في تتابع النبوات ، وكان لهذه النظرة أثرها العميق في اهتمام كتاب العرب بدراسة تاريخ الرسل والأنبياء ، يضاف إلى ذلك أن القرآن نص على أن سيرة الرسول مثل المسلمين يقتدون به ، وكان لهذا التأكيد أثره في عناية كتاب العرب بدراسة السيرة النبوية ودراسة حياة الرسول ، وقد سميت الدراسات الأولى لحياة الرسول باسم المغازي ، وتعني لغوياً دراسة أعماله الحربية ولكنها تشمل في حقيقة الأمر على عصره كله (١) . ومنذ أن وضع عمر بن الخطاب التاريخ الهجري ، وتم للعرب إنشاء دولة إسلامية واسعة الأطراف ، وأسس ديوان الجند ، حتى زادت اهتمام المسلمين بدراسة الأنساب ، ولا يخفى ما لدراسة الأنساب من أهمية في خدمة التاريخ .

ولقد جمع كثير من أئمة المسلمين بين الفقه والتاريخ ، فكان الطبري وابن كثير الدمشقي يجمعان بين التفسير والتاريخ ، وكذلك كان الحافظ الذهبي مؤرخاً وفقهياً

(١) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٨ - ٢٠

وجافظاً في آن واحد ، وكان محي الدين محمد الكافيجي (ت ٨٧٩) ، وشمس الدين
السخاوي الحافظ المؤرخ (ت ٩٠٢) ، يجمعان بين الفقه والتاريخ . وكان أكثر
علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الديني ، حتى يصبح علم
التاريخ على هذا النحو وسيلة لفهم الفقه والشريعة . ولقد ضمن الكافيجي في
رسالته « المختصر في علم التاريخ » جانباً كبيراً من عنايته لتوضيح مركز التاريخ
في العلوم الدينية الإسلامية (١) ، ولا عجب في ذلك ، فإن الكافيجي كان عالماً دينياً
قبل أن يكون مؤرخاً . كذلك أشار السخاوي في كتابه « التبر المسبوك » إلى
أهمية التاريخ لعلم الشريعة ، فقال : « (وبعد) فعلم التاريخ فن من فنون الحديث
النبوي ، وزين تقر به العيون ، حيث سلك فيه المنهج القويم المستوي ، بل وقعه
من الدين عظيم ، ونفعه متين في الشرع ، بشهرته غني عن مزيد البيان والتفهم ،
إذ به يظهر تزيف مدعى اللقا ، ويبان ما صدر منه من التحريف في الارتقا ،
إذ كان اختل عقله أو اختلط ، ولم يجاوز بلدته التي لم يدخلها الطالب قط ،
وتحفظ به الانساب المترتب عليها صلة الرحم ، والمتسبب عنها الميراث والكفاءة
حسباً قرر في محله وفهم ، وكذا تعلم منه آجال الحيوف ، واختلاف النقود
والأوقاف ، التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو موهود ، وينتفع به في الإطلاع
على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والأمراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم ،
في حربهم وسلمهم ، وما أبقى الدهر من فضائلهم أو ذائلهم ، بعد أن أبادهم
الحدثان ، وأبلى جديدهم الأوان ، حيث تتبع الأمور الحسنة من آثارهم ، ولا يسمع
منهم فيما تنفر عنهم العقول المستحسنة من أخبارهم ، ويعتبر بما فيه من المواعظ

(١) الكافيجي ، المختصر في علم التاريخ ، راجع الباب الثاني الخاص بأصول علم التاريخ

النافعة والطائف المفيدة، (١) .

ولقد استعرض السخاوى ما ذكره مؤرخو العرب فى العصر الاسلامى فى
قائمة علم التاريخ ، وأورد فى كتابه الاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ،
مقدمة فى فضل المشتغلين بالتاريخ ، فقال : قلنا كان الاشتغال بفن التاريخ
للعلماء من أجل القربات ، بل من العلوم الواجبات ، المتنوعة الاحكام الخمسة بين
الاصابات وقال أيضاً : « وأما ما لعله يذكر فيه من أخبار الانبياء
صلوات الله عليهم وسنتهم ، فهو مع أخبار العلماء ومذاهبهم ، والحكام وكلامهم ،
والرهاد والنسك ومواظهم ، عظيم الغناء ، ظاهر المنفعة ، فإصلاح الإنسان
به أمر معاده ودينه وسريته فى اعتقاداته ، وسيرته فى أمور الدين ، وما يصلح
به أمر معاملاته ومعاشه الديوى . وكذا ما يذكر فيه من أخبار الملوك
وسياساتهم ، وأسباب مبادئ الدول وإقبالها ، ثم سبب انقراضها ، وتدبير
أصحاب الجيوش والوزراء ، وما يتصل بذلك من الأحوال التى يتكرر مثلها
وأشباهاها أبداً فى العالم ، غزير النفع ، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن
عاش الدهر كله ، وجرب الأمور بأسرها وبأثر تلك الأحوال بنفسه ، فيغور
عقله ، ويصير مجرباً غير غر ولا غمر وإِنَّه أيضاً جم الفوائد كثير النفع
لنوى المصمم العالية والقرايح الصافية ، لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند
سماعهم هذه الأخبار إلى التشبه والافتداء بأربابها ، ليصير لهم نصيب من حسن
النساء وطيب الذكر » (٢) .

لحوادث التاريخ على حد قول السخاوى عبرة وموعظة ، ودرس وتجربة ،

(١) السخاوى ، كتاب النبر المسبوك فى ذيل السلوك ، بولاق ١٨٩٦ ، ص ٢ .

(٢) السخاوى ، الاعلان بالتويخ لمن ذم أهل التاريخ ، ص ٤٠٠ ، ٤٠١ .

توقف الدارس على عثرات الماضين وأسباب انقراض الدول والحضارات ،
وتدفع أصحاب المثل الى الاقتداء بالشخصيات البارزة ، ولقد أورد البخاوي
مقتطفات كثيرة لأقوال بعض المؤرخين والكتاب رتبها ترتيباً زمنياً ، نستعرض
بعضها ، ونضيف اليها مقتطفات لم يذكرها البخاوي ، ونبدأ هذه المقتطفات بما
ذكره أبو الفرج الأصفهاني (ت ٢٥٦ هـ) في مقدمته للأغاني : « ان القارىء
إذا تأمل ما فيه من الفقر ونحوها لم يزل منتقلاً من فائدة الى فائدة ، ومنصرفاً
منها بين جد وهزل ، وآثار وأخبار ، وسير وأشعار ، متصلة بأيام العرب
المشهورة ، وأخبارها الماثورة ، وعمس الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام ،
تجمل بالمنادين معرفتها ، وتحتاج الأحداث الى دراستها ، (١) .

وأورد قطعة من مقدمة أبي الفرج بن الجوزي في المنتظم جاء فيها :
« السير والتواريخ فوائد كثيرة أهمها فائدتان : ١ — إحداهما أنه ان ذكرت
سيرة حازم ، ووصفت عاقبة حاله ، أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم ، أو
(ان ذكرت) سيرة مفرط ووصفت عاقبته أفادت الخوف من التفريط ،
فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ،
ويكون روضة للثقة في المنقول .

٢ — والثانية أن يطلع بذلك عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن وتصاريق
القدر وسماع الأخبار ، (٢) .

وذكر العماد بن حامد الأصفهاني في الفتح القس : « أما
بعد ، فان التاريخ لسان يخبر به الزمان عن عجائب الوقائع ، بل أستاذ

(١) الأغاني ، ج ١ (مطبعة بيروت ١٩٥٦) ، ص ٥ — البخاوي ، الاعلان

بالتويخ ، ٤٠٧

(٢) البخاوي ، الاعلان ، ص ١٢

يقرر دروس الحوادث ليعيها السامع ، بل ما شئت من محمود بمدوح بنفس
كروب النفس ، وروح الروح ، وله رجاله أئمة فضلاء ومادة جلة نبلاء (١) .
وقال أيضاً في موضع آخر : « وإنما بدأنا بالتاريخ به لاستقبال سنة ثلاث
وثمانين وخمسمائة ، لأن التواريخ معتادها إما أن تكون مستفتحة منذ بدء نشأة
البشر الأولى ، وإما مستفتحة بمقرب من الدول الأخرى ، فلا أمة من الأمم
ذوات الملل وذوات الدول إلا ولهم تاريخ يرجعون إليه ، ويعولون عليه ، ينقله
خلفها عن سلفها ، وحاضرها عن غابرها ، تقيد به شوارد الأيام ، وتنصب به
معالم الأعلام ، ولولا ذلك لانقطعت الوصل ، وجهلت الدول ، ومات في أيام
الآخر ذكر الأول . . . ولولا التاريخ لصاعت مساعي أهل السياسات الفاضلة ،
ولم تكن المدائح بينهم وبين المذام هي الفاصلة ، ولقل الاعتبار بمسألة العواقب
وعقوبتها . . . » (٢) .

وقال الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ، صاحب تاريخ اليمن المسمى
فرجة الموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن : « أما بعد ، فإن علم التاريخ علم
جليل المقدر ، شهدت بفضل الآيات والأخبار ، واعتنى نقله الأثبات والأخبار
وأنفقوا في ذلك نفائس الأعمار ، يطلع به العاقل على ما مر من الأعصار ، فيزيده من
الكياسة والاستبصار ، بما حدث للأمم الماضية من الحوادث التي فيها عظة
واعتبار » (٣) .

(١) حماد الدين أبو عبد الله محمد بن محمد القرشي الأسفهاني ، كتاب الفتح القدسي في

الفتح القدسي ، نشره السكاوت كارلو دي لاندبرج ؛ لندن ١٨٨٨ ج ١ ص ١

(٢) نفس المصدر ، ص ٤ — السخاوي ، الإعلان ، ص ١٣

(٣) عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الموم والحزن في

حوادث وتاريخ اليمن ؛ القاهرة ١٣٤٦ ص ٣ ، ٤

ونقل السخاوى عن ابن الاثير ما ذكره عن فوائد التاريخ : ولقد رأيت جماعة ممن يدعى المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر فى العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ، ويعرض عنها ويلغىها ، ظناً منه أن غاية فائدتها إنما هو القمص والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والأسماء ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره ، وأصبح مختلباً جوهره ، ومن رزقه طبعاً سليماً ، وهده صراطاً مستقيماً علم أن فوائد كثره ، ومنافعها الدنيوية والآخروية جمة غزيرة . . . فأما فوائد الدنيوية فنما أن الانسان لا يخفى أنه يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فيألت شعري أى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه وبين ما قرأه فى الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؟ ، فإذا طالعها فكأنه عاصرهم ، وإذا عليها فكأنه حاضرهم ، ومنها أن الملوك ومن اليهم الأمر والنهى اذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ، ورأوا مدونة فى الكتب يتناقلها الناس ، فيرونها خلف عن سلف ، ونظروا الى ما أعقبت من سوء الذكر ، وتبيح الأحداث ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال ، استبغوها ، وأعرضوا عنها واطرحوها ، وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها ، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت ، استحسنوا ذلك ، ورغبوا فيه ، وثابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التى دفعوا بها مضرات الأعداء ، وخلصوا بها من المهالك ، واستصانوا نفائس المدن ، وعظيم الممالك ، ولولم يكن فيها غير هذا لكفى به نفعاً . ومنها ما يحصل للانسان من التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما تصير إليه عواقبها ، فانه لا يحدث أمر إلا وقد تقدم هو أو نظيره ، فيزداد بذلك عقلاً ، ويصبح لأن يقتدى به أهلاً . ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيت العقل عقلي . . . فطبوع ومسموع
فلا يتفجع مسموع . . . إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفج الشمس . . . وضوء العين ممنوع
يعنى بالمطبوع العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان ، وبالمسموع
ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة ، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً وتعظيماً له ،
والا فهو زيادة في غفلة الأول . ومنها ما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل
من ذكر شيء من معارفها ونقل طريقة من طرائفها ، فترى الأسماع مصغية اليه ،
والوجوه مقبلة عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره .

أما الفوائد الأخروية فنها أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ورأى تقلب
الدنيا بأهلها ، وتتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيتها ، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم ،
وأعدمت أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير ، ولم يسلم من نكدها
غنى ولا فقير ، زهد فيها وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، ورغب في
دار تنزهت عن هذه الخصائص ، وسلم أهلها من هذه النقائص . . . ومنها التخلق
بالصبر والتأسي ، وهما من محاسن الأخلاق ، فإن العاقل إذا رأى أن مصاب
الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من البشر ، علم أنه
يصيبه ما أصابهم ، وينوبه ما نابهم . . . (١) .

ونقل من مقدمة أبي بكر محمد بن محمد بن علي بن خنيس لكتابه « تاريخ
مالقة » ، الفقرة التالية : « إن أحسن ما يجب أن يعتق به ، ويعلم بجانبه ، بعد
الكتاب والسنة ، معرفة الأخبار ، وتقديد المناقب والآثار ، ففيها تذكرة

بتقلب الدهر بأبنائه ، وإعلام بما طرأ في سالف الأزمان من عجائبه أولبائه ،
وتنبيه على أهل العلم الذين يجب أن تتبع آثارهم ، وتدون مناقبهم وأخبارهم ،
ليكونوا وكأنهم ماثلون بين عينيك مع الرجال ، ومتصرفون ومخاطبون لك
في كل حال ، ومعروفون بما هم به متصفون ، فيتلو سورهم من لم يعاين صورهم ،
ويشاهد محاسنهم من لم يعطه السن أن يعاينهم ، فيعرف بذلك مراتبهم ومناصبهم ،
ويعلم المتصرف منهم في المنقول والمفهوم ، والتميز في المحسوس والمرسوم ،
ويتحقق منهم من كسته الآداب حليها ، وأرضعته الرياسة ثديها ، فيجد في الطلب
ليلحق بهم ، ويتمسك بسببهم ، (١) .

ونقل عن أبي اسحق إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم بن أبي الدم الفقيه الحموي ،
موضحاً أهمية التاريخ بالنسبة للعلماء فقال : « إنما الفائدة في التاريخ الاسلامي مع
قربه من الصحة ، ذكره لعلاء الأمة المحمدية ، وذكر محاسنهم ، وعلومهم ،
ومواعظهم ، وحكمهم ، وسيرهم التي يستدل العامل بها في أمورهم ، ويتدبرها
ويتفكر فيها ، فينتفع بما قالوه وعانوه ، وما ينقل عنهم من المحاسن دنيا
وأخرى ، (٢) .

وقد اهتم ابن خلدون (ت ٨٠٩ هـ) في مقدمته بفن التاريخ ، فأشار إلى أنه
في الظاهر لا يعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدول القديمة والأمم
الماضية ، ولكنه في الباطن نظر وتحقيق ، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها ، وهو
يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث ، وكيفية حدوثها (٣) . ثم خصص فصلاً

(١) السخاوي ، الاعلان ، ص ٤١٧ ، ٤١٨

(٢) نفس المصدر ، ص ٤١٨

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٥٧

تمهيدا عدد فيه فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه ، فقال : « اعلم أن فن التاريخ عزيز المذاهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياساتهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرويه في أحوال الدين والدنيا . » ثم يشير إلى ما يحتاج إليه المؤرخ في تأريخه للأحداث ، من اتساع المعارف ، وحسن النظر ، والتثبت ، كي يتجنب عن المزالات والمغالط ، وينصح بعدم الاعتماد على المنقول ، وبضرورة إلمامه بقواعد السياسة وطبيعة العمران في الاجتماع الإنساني ، والاطلاع على طبائع الموجودات ، والإحاطة باختلاف الأمم والبقاع في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب ، ومعرفة الحاضر من ذلك ، ومائلة ما بينه وبين الغائب ، وتعليل المتفق منها والمختلف (١) .

ب - أقطاء المؤرخين العرب في رأي ابن خلدون :

يعتبر ابن خلدون أول من بحث من كتاب العرب في الاجتماع الإنساني ، والعمران ، ونظم الحكم والسياسة في العصر الإسلامي ، وأول من طبق منهم منهج البحث العلمي في الكتابة التاريخية ، فنظر إلى التاريخ العام الإسلامي نظرة شاملة ، واستخلص من الدراسات التاريخية السابقة عليه آراء جديدة في علم التاريخ ضمنها نظرات فلسفية ، تتضمن من النقد والتحليل ما لم تعرفه مصنفات العرب في التاريخ قبله ، وقد عمل ابن خلدون على تطبيق آرائه في فلسفة التاريخ ، عند تعرضه لدراسة تاريخ الدول الإسلامية في المشرق والمغرب ، على نحو يختلف عن نهج من سبقه من مؤرخي العرب ، وإن كان قد وقع في بعض الأغلاط التي

(١) ابن خلدون ، نفس المصدر ، ص ٢٥١

أخذها على غيره من المؤرخين (١) :

وقد أخذ ابن خلدون على الباحثين في التاريخ والمصنفين له مأخذ تلخصها فيما

يلي :

١ - نقل بعض المؤرخين روايات مصنفة لكتاب سابقين عليهم بأغلاطها وزلاتها ، أو سجلوها في كتاباتهم كما سمعوها ، دون أن يقوموا بتصفيتها من شوائبها أو تنقيحها ، ودون أن يعملوا ذهنهم في فهمها ثم تقديمها بعد ذلك . وفي ذلك يقول : « وإن فحول المؤرخين في الاسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها ، وخطبها المتطفلون بدسائس من الباطل وهموا فيها أو ابتدعوها ، ورخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقتنى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها ، وأدروا إلينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها . فالتحقيق قليل ، وطرف التنقيح في الغالب قليل ، والغلط والوهم لسبب للأخبار وخلييل ، والتقليد عريق في الأديمين وسليل ، (٢) . والنقل إذا تم دون أن يقوم الناقل بمراجعة ما نقله ودون قياس الماضي بالحاضر ، والغائب بالشاهد ، عده خطأ كبيراً ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « إن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها من العثور ، ومنزلة القدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٦٠

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٢٠٩

الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار (١) .

ويأتي ابن خلدون بشواهد تاريخية توضح نتائج الاعتماد على النقل دون تحكيم البصر والبصيرة فيما نقلوه خاصة فيما يتعلق بالإحصاءات العددية للجند والأموال ، فيذكر منها ما نقله المسعودي وغيره في جيوش بني إسرائيل أن عدتهم في التيه ستمائة ألف أو يزيدون ، وهو رقم مبالغ فيه ، لا يصح لمؤرخ مثل المسعودي أن ينقله دون تعليق أو نقد . ويشير ابن خلدون الى مبالغة المؤرخين في ذكر أعداد الجيوش ، أو في احصاء أموال الجبايات ، فيتجاوزوا في ذلك حدود المعقول ، وكان لابد لهؤلاء المؤرخين عند قيامهم بنقل هذه الأعداد التحقق من موافقتها للنطق

٢ - ويميب ابن خلدون على المؤرخين المعتمدين على النقل البعد عن الواقعية في سرد الحقائق التاريخية ، والاغراب في الخيال الى حد تزيف الخبر وتشويهه ، ويضرب أمثلة في ذلك . فيذكر أن بعض المؤرخين الذين ينقلون أخبار التباينة يذكرون خروجهم من قراهم باليمن إلى إفريقية من بلاد المغرب ، وأن إفريقش بن قيس بن صيفي من أعظم ملوكهم الأول ، وكان معاصراً لموسى عليه السلام على حد قولهم . غزا إفريقية وأثنى في البربر ، وأنه هو الذي أطلق عليهم اسم البربر عندما سمعهم يرطنون ، وأنه حجز هنالك قبل انصرافه من المغرب جماعات من القبائل الحميرية ، اختلطوا بأهل المغرب ، ومنهم صنهاجه وكتامه ، ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي الى القول بأن صنهاجه وكتامة من حمير (٢) .

(١) ابن خلدون ، نفس المصدر ، ص ٢١٩

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ص ٢٢٣

ويواصل ابن خلدون حديثه عن هذه المبالغات الأسطورية التي لا يخلو منها كتاب يتناول تاريخ التباينة ، أو يتعرض لذكر عاد (١) ، ثم يورد أمثلة أخرى تصورا لأخبار المملقة الموضوعة لتبرير حادث من الحوادث وقع في العصر الإسلامي ، من ذلك ما أدخله المؤرخون من قصة العباسية أخت الرشيد مع جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي تبريرا لنسبة الرشيد للبرامكة ، ويرجح ابن خلدون السبب الحقيقي لنسبة البرامكة إلى استبدادهم بشؤون الدولة واحتجائهم أموال الجباية (٢) ، ثم يحدثنا ابن خلدون عن أخطاء المؤرخين الذين يطعنون في نسب العبيديين خلفاء الشيعة بالقيروان والقاهرة إلى اسماعيل الامام بن جعفر الصادق ، اعتمادا على أحاديث لفقت للمستضعفين من خلفاء بني العباس تزلفا لإيهم بالقبح فيمن ناصبهم ، ويعيب ابن خلدون على هؤلاء المؤرخين غفلتهم عن التفطن لشواهد الواقع وأدلة الأحوال التي اقتضت خلاف ذلك من تكذيب دعواهم والرد عليهم ، (٣) . ومن الأمثلة التي يوردها ابن خلدون في الطعن في الانساب ، ما ذكره في نسب إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن ، والتشكك في نسبه إلى أبيه الإمام إدريس الأول فيزعم هؤلاء أنه لراشد مولى إدريس فيقول : « ما أجملهم ! أما يعلمون أن إدريس الأكبر كان أصهاره في البربر وأنه منذ دخل المغرب إلى أن توفاه الله عز وجل عريق في البدو ، وأن حال البادية في مثل ذلك غير خافية ، إذ لا مكان لهم يتأتى فيها الريب ، وأحوال حرمهم أجمعين بمراى من جاراتهن لتلاصق الجدران ، وتطامن البنيان ، وعدم الفواصل بين المساكن ؟ » (٤) .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٢٧

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٤٠

(٤) نفس المصدر ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٤٤

٣ — ومن الأخطاء الشائعة التي يقع فيها المؤرخون غفلتهم عن تبدل أحوال الأمم والأجيال بمرور العصور والأيام ، واعتقادهم أن أحوال العالم في عصرهم هي نفسها في العصور الماضية لم تتغير ، فيحكمون على الشخصيات التاريخية القديمة على أنها معاصرة لهم ، فيقول : « ومن الغلط الحق في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام ، وهو ذاء دوى شديدا الخفاء ، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب متطاولة ، فلا يكاد يتفطن له إلا الآحاد من أهل الخليفة . وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر ، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة ، وانتقال من حال إلى حال » (١) . ثم يقول : « فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ، ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها ، فيجريها لأول وهلة على ما عرف ، ويقيسها بما شهد ، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً ، فيقع في مهواة من الغلط » (٢) .

ويأتي ابن خلدون بأمثلة في هذا الباب ، فيشير إلى ما يقع فيه بعض المؤرخين المتأخرين والمتصفحين لكتب التاريخ عندما يظنون أن ابن أبي عامر الحاجب المستبد على هشام المؤيد ، وكان قاضياً للوارث في زمن الحكم المستنصر ويخرج في نفس الوقت بالعسكر ، أن خطة القضاء في ذلك العهد تماثل خطة القضاء في زمنهم .

(١) نفس المصدر ، ص ٢٥٢

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٥١

ج - الشروط الملزمة توفرها في الكتابة التاريخية

(في رأى ابن خلدون والسخاوى)

يشترط ابن خلدون في المؤرخ أن يكون عالماً بقواعد السياسة وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع والاعصار في السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال ، والاحاطة بالحاضر من ذلك ، وبمماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادئ ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث ، وافية على أصول كل خبر (١). ويشترط السخاوى في المؤرخ أن تتوفر فيه العدالة مع انضبط التام والتحرى في العادات ، وعدم المداينة للسدوح واللبز واستخدام الاشارات الخفية لشخص يفضنه بسبب منافسة في رتبة ، أو اختلاف في رأى أو ما نحو ذلك (٢) . والمؤرخ الفاضل لا ينبغي أن يصرح بالتجريح اى باتهام زميل له بتهمة الكذب أو الوضع ، اذا كان قد أخطأ في أمر من الأمور ، والافضل أن يكسو الفاظه أحسنها ، اذا أراد الجرح ، أو بأدنى تصريح (٣) ، كذلك لا ينبغي للمؤرخ الفاضل أن يجزم بأمر من الأمور اذا كان هذا يحتمل قولين ، فلا بد له من الإحتياط والوقوف ، الى أن يصل في حكمه بتأويل صحيح . ويشترط السخاوى أيضاً أن يكون عارفاً بما ينقله من غيره ، حتى لا يجزم الا بما يتحققه ، فان لم يحصل له مستند معتمد في الرواية ، لم يجوز له

(١) نفس المصدر ، ٢٥٩

(٢) السخاوى الاعلان ، ص ٤٨٢ وما يليها

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٩٢

النقل لقوله صلى الله عليه وسلم (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)، وليكون بذلك محترزا عن وقوع المجازفة والبهتان ، والافتات والعدوان ، وهو لا يشعر ولا يبصر ، (١) ، كما يشترط أيضا في المؤرخ التمييز بين المقبول والمردود ، وبين الرفيع والوضيع ، وفهم الألفاظ ومواقفها خوفا من اطلاق الفاظ لا تليق بالمرجمين ، والصالح والتقوى ، حتى لا يأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف (٢).

(١) نفس المصدر ، ص ٤٩٤

(٢) نفس المصدر ، ص ٤٩٨ — التبر المسبوك ، ص ٤

الفصل الثاني

نشأة علم التاريخ عند العرب

(١)

أخبار العرب في الجاهلية

وصلت إلينا أخبار العرب في الجاهلية الأولى ، التي سجلها المؤرخون في مدوناتهم لأول مرة في العصر الأموي ، مشومة ، لاتعدو أن تكون أخباراً يغلب عليها الطابع الأسطوري ، أو أخباراً أدخلها المغرضون عن اعتنقوا الإسلام من أهل الكتاب ، لاسيما ما كان يتعلق منها بتاريخ اليمن وأخبار ملوكها وأقيالها . أما التاريخ الجاهلي القريب من الإسلام ، والذي وصل إلينا في المصادر العربية ، فأقرب بكثير إلى الواقع التاريخي من الروايات التي سجلها الأخباريون عن عصر الجاهلية الأولى المرفقة في القدم ، لأن أخباره كانت ماتزال ثابتة في ذاكرة القوم لقربها من أحداث عصر النبوة ، ولاتصالها الوثيق بحياة الرسول قبل المبعث . وحتى هذه الأخبار القريبة في جاهليتها إلى الإسلام ، رغم قربها من الواقع التاريخي عن غيرها من أخبار الجاهلية الأولى ، لاتخلو من تحريف وقصص ، الأمر الذي دعا الدارسين في تاريخ العرب في هذه الحقبة إلى بذل جهود هائلة لتصفيتها مما يشوبها من التحريف (١) .

ويرجع السبب في تشويه أخبار الجاهلية الأولى واضطرابها ، واختلاطها

(١) السيد عبد العزيز سالم ، دراسات في تاريخ العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل

بالقصص والاساطير إلى انتشار الامة بين العرب قبل الإسلام، ففضل الرواة الحفظ على الكتابة، واعتمدوا على الذاكرة (١)، ولذلك ظلت هذه الاخبار تتداول شفاهاً على الالسة جيلاً بعد جيل، ولحمة إثر لحمة، إلى أن دوت في العصر الاموي عندما ثبتت دعائم الدولة الإسلامية واستقرت أركانها، وبدأ العرب يعنون بأخبارهم القديمة، وقد دخل فيها الكثير من عناصر القصص. ولم تدون هذه الاخبار قبل العصر الاموي لعوامل ثلاثة: الاول — أن العرب بعد الإسلام نظروا إلى عصر الجاهلية على أنه عصر انحطاط أخلاق (٢)، فلم يهتموا برواية أخباره الإهتمام الكافي، والثاني — أن العرب شغلوا بالدعوة الإسلامية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، كما شغلوا بالفتوحات الإسلامية والتنظيمات الإدارية والاقتصادية والدفاعية للدولة العربية الإسلامية في زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وبفترة الامصار في خلافة عثمان، وبالصراع بين أهل العراق وأهل الشام في خلافة علي، وبالصراع بين العصيتين العربيتين اليمنية والمغربية في زمن مروان بن الحكم، ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية، عن تدوين أخبارهم القديمة. أما العامل الثالث فيرجع إلى أن المواد التي كان يسجل عليها العرب أخبارهم كانت سهلة الكسر، سريعة الضياع.

ولاشك أن أخباراً جاهلية، تنقل على هذا النحو في العصر الاموي، على لسان الرواة لم تكن تعدو قصصاً خرافية وأساطير تخلو من الصفة التاريخية، وتبعد عن الحس والمنظور التاريخيين اللذين يعتمدان على النقل والتحليل والنظر

(١) عبد المنعم ماجد، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي، ص ٢٣ — سيدة اسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الاسلامي، ص ١٢ — روزتال، ص ٩٨ — لها ملتون جب، دواست في حضارة الاسلام، ص ١٤٤ وما يليها.

(٢) روزتال، ص ٣٠

والتحقيق (١). هذه الاخبار على حد قول ابن خلدون « بعيدة عن الصحة ، عريقة في الوم والغلط ، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة » (٢) ، وهي لذلك لا يمكن الوثوق بها أو الاعتماد عليها لما تتضمنه من مبالغات وخرافات (٣) . ومعظم ما وصلنا في كتب ، الاخباريين يتناول أخبار اليمن وملوكها من التبابعة ، وأخبار عاد وثمود وطسم وجديس وجرم ، أو يتضمن أخباراً وقصصاً عن بني اسرائيل . أما في شمال الجزيرة العربية فالأمر يختلف كثيراً ، فقد كان لدى المناذرة كتب تتضمن أخباراً تفصيلية عن عرب الحيرة وأنسابهم وسير ملوكهم ، كانت محفوظة في بيع الحيرة أفاد منها ابن الكلبي في مصنفه عن الحيرة (٤) ، ومنها استقى ابن هشام والطبري وغيرهما أجزاء كبيرة من مادتهم التاريخية . كذلك كان لعرب الحجاز أخبارهم عن أحوالهم الاجتماعية والانساب تتمثل في أيامهم وأشعارهم ، وأيام العرب بمجموعة روايات شفوية قبلية جماعية تتخللها الأشعار ، جمعت في القرن الثاني للهجرة (٥) . ومع أن روايات الأيام مضطربة من الناحية الزمنية والتوقيت كما أنها لم تكن تخلو من عسوية ، بالإضافة إلى أنه ينقصها التماسك والحبكة التاريخية ، فإنها مع ذلك كانت تتضمن كثيراً من الحقائق

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ١ ص ٢٠٩

(٢) نفس المصدر ، ٢٢٤

(٣) جب ، علم التاريخ دائرة المعارف الاسلامية ، القسم العرب ، ص ٤٨٣ (مجلد ٤ ، عدد ٨)

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، المجلد الأول ، قسم ٢ ، تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢ ص ٧٧٠ . يقول هشام « كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سبهم من بيع الحيرة »

(٥) عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٧

التاريخية (١) ، بحيث يطالب حاجي خليفة يجعلها فرعاً من فروع التاريخ (٢) . أما الشعر العربي في الجاهلية فقد كانت له أهمية في إطلاعنا على الأحوال الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام ، فهو ديوان العرب ، وبه حفظت الانساب ، وعرفت المآثر ، ومنه تعلت اللغة العربية (٣) . وإلى جانب الشعر العربي وأيام العرب في الجاهلية ، اهتم العرب في الجاهلية بحفظ الانساب القبلية ، ولا يخفى ما لرواية الانساب من أهمية كبرى بالنسبة للدراسة التاريخية .

وشهد القرنان الأول والثاني للهجرة اهتماماً خاصاً بدراسة أخبار العرب في الجاهلية والإسلام ، وأخبار الأمم والشعوب التي اتصلت بهم أو اتصلوا بها ، وتألف من مجموع هذه الأخبار مجموعة من الكتابات التاريخية في أخبار اليمن وأشعارها ، وفي أخبار وقائع العرب في الجاهلية ، ومن المؤرخين العرب الذين اشتغلوا برواية أخبار العرب قبل الإسلام عبيد بن شربة الجرهمي اليمني ، ووهب بن منبه (ت ١١٠ هـ) ، ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، وابنه أبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي (ت ٢٠٩ هـ) . وإلى هؤلاء المؤرخين نضيف جماعة من الأخباريين ممن كان لهم إهتمام كبير بالانساب والشعر ، نخص منهم بالذكر أبا مخنف الأزدي (ت ١٥٧ هـ) ، وعوانة بن الحكم الكوفي (ت ١٤٧ هـ) ، وسيف بن عمر (ت ١٨٠ هـ) ، ونصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) ،

(١) جب ، علم التاريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، القسم العرب ، ص ٤٨٤

(٢) حاجي خليفة ، كشف الظنون ، طبعة اسطنبول ، ج ١ ص ٢٠٤ (١٩٤١)

(٣) القرشي ، جبهة أشعار العرب ، بولاق ١٣٣٨ هـ ، ص ٣ — السيوطي . الزهر

في علوم اللغة ، شرح الأستاذ محمد احمد جاد المولى وآخرين ، ج ٢ ص ٤٧٠ ، أخذ أمين

لجر الإسلام ، ص ٥٧ — السيد عبد العزيز سالم ، عصر ما قبل الإسلام ، ص ٣٦

وعلى بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ)، وعن اهتم بجغرافية بلاد العرب بوجه خاص أبو محمد الحسن بن أحمد الحمداني (ت ٣٣٤).

ومادمننا نتحدث عن أخبار العرب في الجاهلية، فسكتني بذكر الفريق الاول من المؤرخين الذين عنوا بالكتابة عن الجاهلية :

١ - عبيد بن شربة الجرهمي اليمني :

اختلفوا في أصله، فروى أنه كان من أهل صنعاء، وقيل إنه من الرقة بالعراق، والارجح أنه كان يمنياً وجرهمياً بالذات، وكان قصاصاً أخبارياً، أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يسمع منه شيئاً. ثم وفد على معاوية بن أبي سفيان، وبرز في بلاطه (١)، وذكروا أنه كان يسمع معاوية كل ليلة شيئاً من أخبار العرب وأيامها وأخبار العجم وملوكها وسياستها لرعيتهما (٢)، وأنه ألف له كتاب الملوك وأخبار الماضين (٣) الذي طبع في ذيل كتاب التيجان في ملوك حمير، المنشور في حيدر أباد دكن في الهند سنة ١٣٤٧ هـ بعنوان «أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها» لابن محمد بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣). وكتاب ابن شربة يتضمن كثيراً من أخبار العرب في الجاهلية، كما يشتمل على كثير من الأشعار التي وضعت على لسان عاد وثمود

(١) ابن قتيبة، كتاب المعارف، ص ١٨١ — المسعودي، مروج الذهب ومعادن

الجواهر، ج ٢، طبعة عيسى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٨ ص ٨٥

(٢) المسعودي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤٠

(٣) راجع مقدمة الدكتور نبيه أمين فارس للجزء الثامن من كتاب الاسكندر، برنستن

وطسم وجديس والتبابعة . كذلك يضم الكتاب بعض أخبار عن بني اسرائيل ، ويغلب على جميع هذه الاخبار طابع القصص الشعبي المتأثر بالاسرائيليات (١) . وقد أفاد الهمداني في كتابه الإكامل من أخبار عبيد بن شربة ، فنقل نقلا منها .

وهب بن منبه:

كان يمنية من اهل ذمار ، واصله فارسي ، وقيل انه كان يهوديا واسلم . وينسبون إليه معظم الاسرائيليات الواردة في المصادر العربية ، وقد ركز وهب بن منبه اهتمامه على اخبار اليمن في الجاهلية ، وهو في ذلك يعتمد على مصادر نصرانية ، إذ ان روايته عن نصارى نجران تطابق الروايات النصرانية (٢) . ومن الكتب المنسوبة إليه كتاب الملوك المتوجة من حير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم ، وقد وصلت إلينا اجزاء منه في كتاب التيجان في ملوك حير ، لابن هشام .

ويغلب على اخبار وهب طابع القصص الشعبي الخرافي ، وقد حمل ذلك المؤرخ هاملتون جب إلى القول بأن كتابي وهب بن منبه وعبيد بن شربة يمدانا وبرهان ساطع على أن العرب الاول كانوا يفتقرون إلى الحس والمنظور التاريخيين

(١) جواد علي ، العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ٤٤ — عبد العزيز الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ٢٦ . والمقصود بالاسرائيليات القصص والاساطير المأخوذة عن العهد القديم ، وقد جمعه وهب بن منبه وعبيد بن شربة من هذه القصص ما كان متداولاً بين المسلمين وخاصة مارواه كتب الاخبار (ت ٣٢ — ٣٤ هـ) . وعبد الله بن سلام (ت حوالي ٤٠ هـ) ، وأضافا إليها ما تمسكنا من جمعه عن طريق اتصالاتهما بأهل الكتاب ، ومن دراستهما الشخصية للكنيسة المقدسة .

(٢) جواد علي ، ج ١ ص ٤٥ .

حتى عندما يتطرقان إلى ذكر أحداث تكاد تكون معاصرة لهما، (١) .

وينسب إلى وهب كذلك كتاب المبتدأ ، الذى يشير عنوانه إلى ابتداء الخليفة ، وهو أول محاولة عند العرب لكتابة تاريخ الرسائل ، وقد اعتمد عليه ابن قتيبة فى المعارف (٢) ، والطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك (٣) ، والمقدسى فى كتابه البدء والتاريخ (٤) ، واحمد بن محمد الثعلبى فى كتابه عرائس المجالس فى قصص الانبياء ، وقد وجد اتجاهه فى كتابة التاريخ العالمى منذ بدء الخلق صدى قويا عند مؤرخ مشهور من مؤرخى المدينة هو ابن اسحق (٥) . كذلك ينسبون إلى وهب كتاب المغازى الذى لم يبق منه إلا مجموعة أوراق مخطوطة ما زالت محفوظة فى مكتبة هيدلبرج بألمانيا ، وكان قد عثر عليها الاستاذ بيكر (٦) وقد اعتمد الطبرى على كثير من أقوال وهب بن منبه فى تفسيره الكبير (٧) .

وكان وهب بن منبه يجيد عدداً من اللغات القديمة ، فقد كان يتقن اليونانية والسريانية والحميرية ، كما كان يستطيع قراءة الكتابات القديمة التى يتعذر على

(١) جب ، دراسات فى حضارة الاسلام ، ١٤٤ .

(٢) كثيراً ما تردد اسم وهب فى صفحات كتاب المعارف لابن قتيبة فى الفصل الخامس بمبدأ الخاق (ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، القاهرة ١٣٠٠ هـ من ٣٠)

(٣) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق دى غوية ، لندن ١٨٨١

(٤) مطهر بن طاهر المقدسى ، كتاب البدء والتاريخ ، نقره كلمان هوار ، باريس

١٨٩٩

(٥) عبد العزيز الدورى ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢٦ — جب ، علم التاريخ ، دائرة

المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٢

(٦) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٣ . عبد العزيز الدورى ، المرجع

السابق ، ٢٥

(٧) هاملتون جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٤

العلماء في زمنه قراءتها ، وفي ذلك يقول المسعودي نقلاً عن عثمان بن مرة الخولاني : « لما ابتدأ الوليد ببناء مسجده دمشق ، وجد في حائط المسجد لوحاً من حجارة فيه كتابة باليونانية ، فعرض على جماعة من أهل الكتاب ، فلم يقدروا على قراءته ، فوجه به إلى وهب بن منبه ، فقال : هذا مكتوب أيام سليمان بن داود عليهما السلام ، فقرأه ، (١) .

٣ - هشام بن محمد بن السائب الكلبي :

كان أبوه محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) عالماً بالأنساب واللغة والتاريخ ، وتشير دراساته للأنساب إلى محاولة لجمع الروايات القبلية معتمداً على أفضل نسابة في كل قبيلة (٢) ، وخلفه ابنه أبو المنذر هشام في هذا العلم ، فتببع دراساته أبيه في الأنساب وتقدم بها ، وقد وصل إلينا قطعة من كتابه « جهرة النسب » مخطوطة محفوظة في المتحف البريطاني ، ويتضمن ملاحظات عن مشاهير الرجال . ويقول عنه ابن قتيبة « كان هشام أعلم الناس بالأنساب أخذ هذا العلم عن أبيه (٣) » ، أما عن دراساته التاريخية فغزيرة متنوعة ، فقد تعرض لتاريخ الأنبياء . وتاريخ العرب في الجاهلية وذكر أيامهم ، كما تناول تاريخ الفرس ، وتاريخ العرب في العصر الإسلامي ، ولذلك يعتبر هشام من أعظم الأخباريين في تاريخ العرب في الجاهلية وكان يعتمد على الأصول والمصادر التاريخية التي تتعلق بموضوع دراساته ؛ ففي تاريخ الأنبياء كان يعتمد على أهل الكتاب ، وفي تاريخ الفرس

(١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ١٦٦ وما يليها

(٢) عبد العزيز الدوري ، المرجع السابق ، ص ٤٠

(٣) ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، ص ١٨١

كان يستقى مادته من الترجمات عن الفارسية ومن الأخبار والقصص المتداولة ، وفي دراساته عن تاريخ اليمن يستمد مادته من القصص الشعبي المتواتر في تاريخ اليمن (١) ، وفي بحثه عن الحيرة (٢) يعتمد على محفوظات كنائس الحيرة ، وعلى المواد الفارسية المترجمة .

ولشام بن محمد الكلبي كتب كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، يبلغ عددها نحو ١٤ كتاباً ، وصل إلينا منها قطعة من كتاب جمهرة النسب ، ووصل إلينا كتاب « الأصنام » ، الذي نشر بمصر (٣) ، وكتاب « نسب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام » . وقد أفاد كثير من مؤرخي العرب بالطبري والمسمودي وابن قتيبة . ومع ذلك فقد اتهم هشام وأبوه بالوضع (٤) ، وتجنب جماعة من العلماء الرواية عنه ، ولكن الأستاذ بروكلمان يدافع عنه (٥) ، كما يدافع عنه أيضاً الأستاذ أحمد زكي محقق كتاب الأصنام (٦) .

-
- (١) عبد العزيز الدوري ، ص ٤١ .
(٢) ذكر ابن النديم في الفهرست كتابين من تأليفه بعنوان : « كتاب الحيرة » ، وكتاب « الحيرة وتسمية البيع والديارات ونسب العباديين » (راجع روثثال ، ص ٣٩٠ — جب ، علم التاريخ ص ٤٨٥)
(٣) ابن الكلبي ، كتاب الأصنام ، نشره أحمد زكي باشا ، بولاق ١٣٣٢ ، وصورته الدار القومية للطباعة والنشر في ١٩٦٥ .
(٤) أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغاني ، ج ١ ص ١٩ — راجع أيضاً مقدمة كتاب الأصنام ، ص ١٤ .
(٥) جب ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ — جواد علي ، ج ١ ص ٤٧ .
(٦) مقدمة كتاب الأصنام ، ص ٣٧٤١١ .

٤- أبو عبيدة معمر بنه المثنى التميمي:

كان فارسي الأصل ، يهودى الآباء ، ولكنه كان عربيا تميميا أو تيميا بالولاء (١) ، وهو لذلك السبب كان على جانب كبير من الثقافة والاطلاع ، إذ جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية ، وقد أخذ أبو عبيدة من شيوخه أمثال أبو عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وعمد إلى روايات البدو فجمعها ، ولذلك كان يعتبر من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .

وأبو عبيدة من طلائع مؤرخى العرب فى الجاهلية والاسلام ، اهتم بصفة خاصة ببلاد العرب الشمالية ، فروى عن أخبار قبائلها وأيامها ، كما شملت أخباره قسما من التاريخ الاسلامى فأحاطت بتاريخ العرب فى عصر النبوة والفتوحات الاسلامية (٢) . وقد صنف أبو عبيدة عددا كبيرا من الكتب عن المدن والأمصار ، وعن دالفاخر ، ودالمثالب ، القبلية ، وفى الأخبار ، وعن شخصيات تاريخية ، وعن المعارك ، وعن الأحزاب (وخاصة الخوارج) ، وعن القضاة ، وعن الموالى ، بالإضافة إلى دراساته فى القرآن والحديث والشعر (٣) . وذكر فى الفهرست أنه كان شعوبيا يطن فى الأنساب ويؤلف فى مثالب العرب (٤) ، ويعلل الأستاذ احمد امين نزعتة الشعوبية بأصله الفارسي الذى حرره من الخضوع .

(١) احمد امين ، ضعى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

(٢) من بين كتبه فى الفتوحات ، كتاب فتوح أرمينية ، وكتاب السواد وفتحه ،

وكتاب فتح الاموار ، وكتاب خراسان (روضةالصال ص ٢٨٤)

(٣) الدورى ، ص ٤٤ .

(٤) فجر الاسلام ، ص ٢٦٥ — ضعى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

للعصبية العربية (١) ، ولكن الأستاذ جب يرفع عنه التهمة (٢) ، ويعتبر ما اتهم به حجة على الدراية المجردة من ثوب الغرض والتحيز لا عن التحيز المقصود لذاته (٣) .

٥ - أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب المعروف بابيه الحائك الهمداني :

هو مؤرخ يمني ، عرف بسمعة الاطلاع ، ودقة التعريف بمواضع جزيرة العرب بوجه عام ، واليمن بوجه خاص ، ووصفها ، وذكر قبائلها ، وتاريخها . ولد في صنعاء في زمن غير معروف ، ونشأ بصنعاء ، ثم رحل إلى بلاد العرب ، وارتادها دارسا معالمها وآثارها ، وأقام حيناً من الوقت بمكة ، اتصل خلاله بعلمائها ومؤرخيها ، ثم عاد إلى اليمن ، وأقام بمدينة ، إلى أن اتهم بهجاء النبي ، فزج به في السجن ، وتوفي في سجنه في عام ٣٣٤ هـ (١) .

ويعتبر كتابه وصف جزيرة العرب ، من أهم مصادر تاريخ العرب في الجاهلية ، خاصة في القسم الجنوبي من الجزيرة العربية ، لدقته البالغة في وصف الآثار ، واعتماده على المشاهدة (٥) . وقد ساعدت معرفته بخط المسند الحميري على قراءة الكتابات الأثرية والنقوش التي شاهدها في المواضع التي ارتادها (٦) .

(١) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) هاملتون جب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ص ١٤٦ .

(٣) جب ، علم التأريخ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ص ٤٨٥ .

(٤) السيوطي ، بنية الوعاة ، القاهرة ، ١٣٢٦ هـ ، ص ٢١٧ .

(٥) الهمداني ، كتاب وصف جزيرة العرب ، لشر محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ،

١٩٥٣ .

(٦) وردت في كتابه الإكليل عبارات يفهم منها أنه كان عارفاً بالخط المسند (الإكليل ،

ج ٨ ، لشهره نبيه أمين فارس ، ص ٤٢ ، ٥٣) .

وكتابه الاكليل أم ما ألفه في ماضى الزمن قبل أن يصنف كتاب «صفة جزيرة العرب» ، ، ويتكون الإكليل من عشرة أجزاء لم يصل إلينا منها سوى الجزآن الأولان . والجزآن الثامن والعاشر (١) . والقسم الأعظم من كتاب الإكليل يتضمن وصفا لآثار الزمن المعمارية من قصور وسدود وقلاع ومدن ومياكل ، وصفها الهمداني وصفا دقيقا ، اعتمد فيه على المعاينة والفحص الدقيق . ويعتبر الهمداني أول رحالة ارتاد الزمن ، ووصف آثارها ، وقرأ نقوشها قبل أن يقوم الرواد الأوروبيون في العصر الحديث بهذا العمل بقرون طويلة .

(١) راجع مقدمة كتاب الإكليل ، الجزء العاشر ، لعمدة سراج الدين الخطيب ، القاهرة

(٢)

كتاب السيرة والمغازي وبداية الكتابة التاريخية عند العرب

أ - مدرسة التاريخ في المدينة

ازدهرت الحركة العلمية في العصرين الأموي والعباسي ، وقامت مراكز علمية هامة في الأمصار الإسلامية ، ففي الحجاز تألفت الحركة العلمية في مكة والمدينة ، وفي العراق اشتهرت البصرة والكوفة في العصر الأموي في علوم النحو والصرف واللغة ، وفي الأدب ، وفي الكلام ، وفي التاريخ ، وانضمت اليهما بغداد في العصر العباسي ، ونافستهما في الشهرة العلمية . وفي مصر كانت القسطنطينية المركز العلمي الأول في القرآن الحديث والفقه بوجه خاص ، وكان مركزها جامع عمرو بالقسطنطينية . أما في الشام فقد ازدهرت فيه الحركة الدينية ، وظهر به علماء أجلاء في الفقه والحديث ، وكان مركزها جامع دمشق .

والقرآن هو المصدر الأول لدراسة علم التاريخ عند العرب ، ويليه الحديث والسنة ، وكانت بداية التأليف العلمي في التاريخ وثيقة الصلة بهذين المصدرين ، وعلى هذا الأساس كان علم التاريخ العربي الإسلامي عند نشأته يقوم بأدب ذي بدء على دراسة سيرة النبي وأخبار الغزوات ومن أسهم فيها ، وكان مركز النشاط في هذه الحركة التاريخية يتمثل في مكة والمدينة . وكان المؤرخون الأول من المسلمين يعتمدون فيه على الروايات الشفهية شأنهم في ذلك شأن رواة الحديث ، فكان كل جيل منهم يستمد أخباره من الجيل السابق ، وكان الخبر التاريخي يستمد من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم وهو ما يعرف بالاسانيد ، وهي وسيلة للاجماع على صحة الخبر ، وهي نفس الوسيلة التي اتبعها المحدثون في روايتهم للحديث ، مما يدل على أن التاريخ العربي عند نشأته سلك نفس الطريقة التي سلكها الحديث ،

فكان الخبر التاريخي على هذا النحو يتألف من عنصرين : رواة الخبر على التتابع ، ويعرف ذلك بالسند أو الإسناد ، ثم نص الخبر ويسمى المتن (١) . . . وينتقد ابن خلدون هذه الطريقة في رواية الخبر ، ويهاجم الاخباريين بقوله : « كثير ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ، ولا فاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمقيار الحكمة ، والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ، فضلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط » (٢) . وفي موضع آخر يقول : « فقد زلت أقدام كثير من الإثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء ، وعلقت بأفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة من ضعفه النظر والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضا كذلك من غير بحث ولا روية » (٣) .

وأقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ هي كتب المغازي والسيرة ، فقد دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله للاهتمام بها والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي ، وفي النظم الإدارية ، الكتاب إلى الكتابة في سيرة الرسول وفي مغازيه ومغازي الصحابة (٤) ، وكان من الطبيعي أن تتألق هذه الحركة في المدينة باعتبارها دار هجرة الرسول ودار السنة التي عاش فيها الصحابة ، وسمعوا أحاديث الرسول ورووها بدورهم إلى التابعين .

وينقسم مؤرخو السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة إلى ثلاث طبقات :

(١) ضعي الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — عبد العزيز الدوري ، ص ٢٠ — سيده

كاشف ص ٢٥

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٥١

(٤) ضعي الاسلام ، ج ٢ ص ٣١٩ — الدوري ، ص ١٩ ، ٢٠

فبرز في الطبقة الأولى منهم : أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠٥) ، وعروة بن الزبير (ت ٩٢ هـ) ، وشرحبيل بن سعد (ت ١٢٣) . ومن رجال الطبقة الثانية : عبد الله بن أبي بكر بن حزم (ت ١٣٥) ، وعاصم بن عمرو بن قتادة (ت ١٢٠) ، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤) . ومن رجال الطبقة الثالثة : موسى بن عقبة (ت ١٤١) ، ومحمد بن اسحاق بن يسار (ت ١٥٢) ، والواقدي (ت ٢٠٧ هـ) . وكلاهما من المدينة دار السنة باستثناء ابن شهاب الزهري فهو مكي ، ونضيف إليه وهب بن منبه الذي كتب في السيرة بجانب كتاباته في قصص الأنبياء وأخبار القدامى .

الطبقة الأولى :

١ — أبان بن عثمان بن عفان : كان والياً على المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان ، واشتهر بالحديث والفقه ولكنه كان يميل إلى دراسة المغازي ، وكتابته في المغازي لاتعدو أن تكون صحفاً تضمنت أحاديث عن حياة الرسول . ولم ينقل له أو يرو عنه أحد من كتاب السيرة الأول كابن سعد وابن هشام ، شيئاً في السيرة (١) . ويعمل الدكتور الدوري ذلك بأنه فيما يظهر كان يمثل مرحلة الانتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي (٢) .

٢ — عروة بن الزبير بن العوام : ينتسب إلى بيت من أشرف بيوت

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٢٦

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٢٢١

(٣) الدوري ، ص ٢١

العرب (١) ، ويدخل في عداد الطبقة الأولى من مؤرخي السيرة ، وكان ثقة فيما يرويه من الحديث ، فقد مكنته نسبه من أن يروى الكثير من الأخبار والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فروى منها عن أبيه الزبير ، وعن أمه أسماء ، وعن خالته عائشة (٢) ، وعن أبي ذر . نشأ عروة في المدينة ، وأخذ الحديث عن كثير من الصحابة أمثال : أبوه الزبير ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عباس (٣) . ثم رحل إلى مصر وأقام بها ما يقرب من سبع سنوات ، وتزوج فيها ، وزار دمشق عدة مرات .

وعن عروة أخذ ابنه هشام بن عروة ، وابن شهاب الزهري . وكان لعروة ابن الزبير فضل كبير على كتاب السيرة كابن هشام وابن سعد ، إذ يدين كلاهما بجزء كبير من كتابتهما لما رواه عروة ، وكذلك رجع إليه الطبري في صفحات عديدة من كتابه تاريخ الأمم والملوك ، كما وردت فقرات من مغازيه في مصنفات الواقدي وابن كثير ، تتناول جوانب متعددة من حياة الرسول (٤) ، ولم تقتصر كتابات عروة على المغازي ، فقد تجاوزتها إلى فترة الخلفاء الراشدين ، ويتضح هذا في بعض المقتبسات التي وصلت إلينا في تاريخ الأمم والملوك للطبري ، إذ تعرض لذكر غزوة أسامة بن زيد ، وخبر ردة القبائل ، وخبر أجنادين ، وخبر وقعة اليرموك ، وخبر وقعة الجمل ، ولكن رواياته في هذا الشأن قصيرة موجزة .

(١) أبوه الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر ، وأخوه عبد الله بن الزبير ، وجدته خديجة بنت خويلد زوج الرسول ، وخالته عائشة أم المؤمنين .

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٢ .

(٣) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، طبعة ليدن تحقيق الدكتور سترسمين ١٣٢٢ هـ

(١٩٠٥) ج ٥ ص ١٣٣

(٤) الدوري ، ص ٢١

٣ — شرحبيل بن سعد : كان يروى من موالى الانصار ، ويعتبر في الطبقة الاولى من مؤرخى السيرة ، روى كثيراً عن زيد بن ثابت وأبى سعيد الخدرى وأبى هريرة (١) ، وقد أسهم شرحبيل فى كتابات السيرة بقوائم أثبت فيها أسماء الصحابة البدرين الذين اشتركوا فى غزوة بدر ، وأسماء الصحابة الذين اشتركوا فى غزوة أحد ، كما أورد أسماء المهاجرين إلى الحبشة ، وأسماء من هاجر من مكة إلى المدينة ، ولكنه مع ذلك لم يبلغ ما بلغه أبان بن عثمان بن عفان أو عروة ابن الزبير من مكانة فى هذا المجال ، فلم يرو عنه ابن اسحق والواقدي شيئاً (٢) ،

ويضاف إلى هذه الطبقة من مؤرخى السيرة ، مؤرخ أشرنا إليه فيما سبق هو وهب بن منبه الذى كتب فى المغازى كتاباً ، وصلت إلينا منه قطعة مازالت محفوظة فى مكتبة ميد لبرج ذكر فيها وهب العقبة الكبرى ، واجتماع قريش فى دار الندوة ، والهجرة النبوية ، ولكننا لم ندخله فى عداد المدوين من كتاب السيرة باعتباره يميناً .

الطبقة الثانية :

١ — عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصارى : كان مدنياً من أهل المدينة ، وكان جده الأعلى عمرو بن حزم الانصارى أحد كبار الصحابة ، ولله النبى صلى الله عليه وسلم نجران باليمن ، وكتب له حين بعثه إلى اليمن كتاباً أمره فيه بتقوى الله فى أمره كله ، وأخذ خمس المغنم وعشر ماسقى بالسوانى

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٢

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٢٣

والذوايب من الصدقات ، ونصف العشر بما سقى بالدلو (١) . أما جده محمد بن عمرو فقد توفي يوم الحرة ، وأما أبوه أبو بكر فقد ولي قضاء المدينة في ولاية عمر بن عبد العزيز ، ثم ولي أمر المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ، وعرف أبو بكر بمقدرته في رواية الحديث ، ولذلك عهد إليه عمر ابن عبد العزيز بجمع الحديث . وورث ابنه عبد الله بن أبي بكر هذه المواهب ، فاختص برواية الحديث المتصل بالمغازي ، فكان حجة في ذلك ، وعنه روى ابن اسحق والواقدي وابن سعد ، الطبري روايات تتعلق بأخبار الرسول في المدينة .

٢ — عاصم بن عمر بن قتادة الظفري : كان أنصاريا من أهل المدينة ، شهد بيعة قتادة موقعة بدر واشترك فيها مع المسلمين ، وكان عاصم بن عمر راوية للعلم ، له معرفة بالمغازي والسيرة ، وكذلك عهد إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز بالجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن المغازي وعن مناقب الصحابة ، وقد اعتمد عليه كل من ابن اسحق والواقدي (٢) .

٣ — ابن شهاب الزهري : هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب من بني زهرة ، ويعتبر من أعظم مؤرخي المغازي والسيرة إذ يرجع إليه الفضل في تأسيس مدرسة التاريخ في المدينة ، وإليه يرجع كذلك الفضل في توضيح خطوط السيرة أخذ الزهري على كبار المحدثين في المدينة وهم سعيد بن المسيب ، وأبان ابن عثمان بن عفان ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو

(١) البلاقرى ، فتوح البلدان . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٦

ج ١ ص ٨٤

(٢) نهجى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٥

سلة بن عبد الرحمن ، وقد كان يعتز بتلقيه العلم عليهم ، فكان يقول . « أدركت أربعة بحور : عبيد الله بن عبد الله أحدهم ، وقال أيضا : « سمعت من العلم شيئا كثيراً فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كأنى كنت في شعب من الشعاب ، فوقعت في الوادى ، وقال مرة صرت كأنى لم أسمع من العلم شيئا ، (١) .

استثنى ابن شهاب الزهرى معظم مادته في السيرة من الحديث ، فهى تكاد تخلو من قصص الأنبياء ، كما أنه لم يستخدم الشعر في كتابته إلا فى أحوال نادرة . وقد عرف الزهرى بقوة أسانيده . ولكنه يمتاز عن غيره فى ذلك بنوع جديد من الإسناد ، هو الإسناد الجعى ، حيث يدمج عدة روايات فى خبر متسلسل ، وقد سار بذلك خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المتصلة (٢) .

واعتمد الزهرى فى المغازى على عروة بن الزبير اعتمادا كبيرا ، ولذلك فإن روايات عروة تعتبر المصدر الأول الزهرى فيما وصل إلينا من مغازيه (٣) . كذلك اعتمد فى الرواية على سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة (٤) ، اللذين كان يعتز كل الاعتراز بتلقيه العلم عليهما .

ولم يقتصر الزهرى على الكتابة فى السيرة والمغازى ، بل شملت كتاباته الأنساب وتاريخ صدر الإسلام ، فصنف كتابا فى نسب قريش اتخذ المصعب

(١) أبو الفرج الأصفهاني ، كتاب الأغانى ، ج ٨ ص ١٧٨ .

(٢) عبد العزيز الدوري ، ص ٢٤ ، ٩٤ .

(٣) نفسه ، ص ٧٩ .

(٤) الواقدي ، مغازى رسول الله ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٧٦ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٦٤ .

البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٩٤ ، ٢٠٥ ، ٢٥٦ . . . إلى آخره .

الزبيرى مصدراً لكتابه المعروف ونسب قريش، (١)، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين حتى انتقال الخلافة إلى الأمويين ، فذكر الاحداث الكبرى التى كان لها أثر كبير فى كيان الدولة العربية الاسلامية فى زمن الخلافة الراشدة من فتن ومعارك . ويستدل بما أورده الطبرى نقلاً عنه أنه تعرض فى كتاباته لمشكلة اختيار أبى بكر خليفة للمسلمين موضحاً الأثر الذى تركه اختياره ، ورد فعل على بن أبى طالب (٢) ، ويبدو أن الزهرى لم يكتب فى تاريخ الأمويين وإنما كتب — استجابة لرغبة الوليد بن عبد الملك — عن سنى حكمهم .

ويعلق الدكتور عبد العزيز الدورى على أهمية ما كتبه الزهرى فى نشأة الكتابة التاريخية فيقول : « إن هذا القسم من دراسات الزهرى يدل أن الاهتمام بتجارب الأمة كان عاملاً آخر له أهميته فى نشأة الكتابة التاريخية . فبدأ الاجماع وظهور الأحزاب السياسية ، والجدل بينها حول الاحداث الماضية ، وخاصة « الفتنة » ، ومسألة الخلافة ، وهل هى بالانتخاب أم بالوراثة ، ومشكلة تنظيم الضرائب ، والديوان — كل هذه المسائل كانت تتطلب الإيضاح بواسطة الدراسة التاريخية .. » (٣). وفى موضع آخر يقول الدكتور الدورى ، « وإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ ، فإن الزهرى أسس المدرسة التاريخية فى المدينة » (٤) .

الطبقة الثالثة :

١ — موسى بن عقبة : كان مولى لآل الزبير ، واشتهر بالمغازى متبعاً طريقة

(١) الصعب بن عبدالله الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق ليقى بروفسال ، القاهرة ١٩٥٣

(٢) الطبرى ، ج ١ قسم ٤ طبعة ليدن ، س ١٨٢٠ — ١٨٢٤ ، ١٨٢٥ ومايلها .

(٣) الدورى ، ص ٩٨ .

(٤) نفس المرجع ، ١٠١

مدرسة المدنيين إذ تتلذذ على الزهرى ، واستفاد بآثاره ، بالاضافة إلى كتابات غيره من كتاب المغازى ، وكتب كتاباً في السيرة ذكروا أنه جاء مختصراً ، وصلت إلينا بعض مقتطفات منه فيما كتبه ابن سعد والواقدي والطبري (١) .

٢ — محمد بن اسحق : هو أشهر تلاميذ الزهرى ، من أصل فارسي ، إذ كان مولى لعبدالله بن قيس بن مخزومة بن عبد المطلب ، وإليه تنسب أقدم كتب السيرة التي وصلت إلينا ، وكتابه المغازى وصل إلينا مختصراً في سيرة ابن هشام (٢) . وتنقسم سيرة ابن اسحق إلى ثلاثة أقسام :

١ — المبتدأ ، ويبحث في هذا القسم في تاريخ الجاهلية مبتدئاً به منذ الخليفة .
٢ — المبعث ، وأفرده لتاريخ حياة النبي صلى الله عليه وسلم حتى السنة الأولى للهجرة .

٣ — المغازى ، وتناول في هذا القسم حياة الرسول في المدينة وغزواته حتى وفاته صلى الله عليه وسلم (٣) وفي مغازي ابن اسحق يقول الشافعي : « من أراد التبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق » (٤) ، وقد روى المبتدأ والمغازي عن ابن اسحق سلة بن الفضل الرازي ، والمغازي كل من جرير بن حازم (المتوفى سنة ١٧٠ هـ) ، ويحيى بن محمد بن عباد بن هاشم ، في حين اعتمد ابن هشام في

(١) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٢٧ — الدوري ، ص ٢٧ .

(٢) السخاوي ، الاعلان بالتويع ، ص ٢٦٠ .

(٣) أحمد أمين ، ج ٢ ص ٣٣٠ — جب ، علم التاريخ ، بدائرة المعارف الاسلامية ، ص ٤٨٧ —

الدوري ص ٢٧ — سيده كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٣٠ .

(٤) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ ، ج ١ ص ٢١٩ — السخاوي ،

المصدر السابق ، ص ٢٦٠

سيرته عليه (١) .

وكان ابن اسحق مكروها من هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس،
أما كراهية هشام بن عروة له فيرجع سببها إلى أن ابن اسحق روى بعض أخباره
عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر ، وفاطمة كانت زوجة هشام بن عروة،
فلما بلغ هشام ذلك أنكره وقال : « العدو الله الكذاب يروى عن امرأتى ؟
من أين رآها ؟ » (٢) . وأما عدا مالك بن أنس له فيرجع سببه إلى أن ابن اسحق
طعن في نسب مالك بن أنس كما طعن في عليه ، فكان يقول : « اتتوني ببعض
كتبه حتى أبين عيوبه ، أنا بيطار كتبه » (٣) . فكرهه مالك لذلك السبب وعاداه
واتهمه بالكذب والدجل ، فكان يقول فيه : « إنه دجال من الدجاجلة » ، وقال
فيه أيضا : « محمد بن اسحق كذاب » . كذلك اتهم ابن اسحق بالتشيع على
مذهب القدرية .

وأمام هذا العدا رحل إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية فنزل الكوفة
والجزيرة والري وبغداد ، واتصل بالمنصور ، وألف له كتابا في التاريخ منذ
خلق الله آدم إلى يومه ، واختصره في كتابه المغازي (٤) . وقد نقد ابن اسحق
لإعتماده على أهل الكتاب في الرواية ، فقد نقل عن بعض أهل العلم من أهل
الكتاب الأول وعن أهل التوراة ، وأخذ عن وهب بن منبه وأخذ عن العجم ،

(١) السخاوى ، المرجع السابق ، ص ٥٢٦ .

(٢) الخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ٢٢٢ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ — ياقوت الرومى ، كتاب ارشاد الأريب إلى معرفة

الأريب (معجم الأدباء) طبعة مرجليوث ، ج ٦ القاهرة ١٩١٣ ، ص ٤٠٠ .

(٤) الخطيب البغدادي ، ج ١ ص ٥٢١ — Margoliouth, Lectures on

arabic Historians, p. 84 .

ولأنه أورد كثيرا من الشعر المنحول ، ولأنه وقع في أخطاء في الالساب التي أوردتها في كتابه (١) .

ومع ذلك فقد كان لابن اسحق الفضل في الجمع بين أساليب المحدثين والقصص في كتاباته ، ويلحق جيب على كتابات ابن اسحق فيقول : « وكتابه في السيرة كان ثمرة تمكيد أبعد أفقا وأوسع نطاقا من تفكير سابقه ومعاصريه ، لأنه نزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب ، بل إلى تاريخ النبوة بذاتها ، (٢) وينسب إليه كتاب في تاريخ الخلفاء يبدو أنه جاء مختصرا ، عالج فيه تاريخ الخلفاء الراشدين والامويين ، بدليل أن الطبري ذكر ابن اسحق بين رواة في تاريخ الخلفاء الراشدين .

٣ — الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد الواقدي ، كان مولى لبني هاشم ، وقيل لبني سهم بن أسلم ، وكان معاصرا لابن اسحق ، أخذ العلم عن شيوخ عصره في المدينة ، فأخذ عن مالك بن أنس في الحديث وعن أبي معشر السدي في التاريخ ، ولذلك يعتبر الواقدي الثاني بعد ابن اسحق في اتساع علمه بالمغازي والسير والتاريخ ، بل يز ابن اسحق في دقته في المادة وفي الأسلوب مع زيادة في العناية بالتاريخ ، وفي تحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المتصل بالمواقع (٣) .

وقد اهتم الواقدي بالمغازي والسير والتاريخ الاسلامي الذي أصبح متخصما

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ، تحقيق مرجليوث ج ٦ ص ٤٠١ — Margoliouth

p. 85 — الدوري ص ٢٩ — جيب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٢) جيب ، علم التاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٣) الدوري ، ص ٣٠ ، ٣١ .

فيه ، فقد ذكر الخطيب البغدادي نقلا عن ابراهيم الحربي ، أن الواقدي كان أعلم الناس بأمر الاسلام ، « فأما الجاهلية فلم يعمل فيها شيئا » (١) .

وقد ألف الواقدي عددا كبيرا من الكتب في المغازي والتاريخ ، من بينها كتاب مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصل إلينا (٢) ، وكتاب « الطبقات الكبير » رتبة على حسب السنين ، وكتاب « الطبقات » رتبة على حسب طبقات الصحابة والتابعين ، وكتاب « السيرة » ، وكتاب التاريخ والمغازي والمبعث ، وكتاب « أزواج النبي » ، وكتاب « وفاة النبي » ، وكتاب « السقيفة وبيعة أبي بكر » ، وكتاب « سيرة أبي بكر ووفاته » ، وكتاب « مداعي قريش والانصار في القطائع ووضع عمر الدواوين وتصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها » ، وكتاب « الجمل » ، وكتاب « صفين » ، وكتاب « مقتل الحسن » ، وكتاب « الردة » ، وكتاب « فتوح الشام » ، وكتاب « فتوح العراق » ، وكتاب « أخبار مكة » ، وكتاب « ضرب الدنانير والدراهم » ، وكتاب « حرب الأوس والخزرج » (٣) . وأعظم

== وكان الواقدي محققا للواقع ، لا يعتمد على مجرد النقل ، وإنما كان يعضي إلى مواضع المأرك والوقائع ليدرسها على الطبيعة ، ولقد عبر عن ذلك بقوله : « ما أدركت رجلا من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسألته ، هل سمعت أحدا من أهلك يخبرك عن معناه وأين قتل ؟ فإذا أعلنني ، مضيت إلى الموضع فأعابته ، ولقد مضيت إلى المريسيم فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعابته » (الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٦)

(١) الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٥ .

(٢) نشر المستشرق النمساوي فون كريم جزءا منه في كتابه سنة ١٨٥٥/١٨٥٦ م ، وأعيد نشره في مصر سنة ١٩٤٨ .

(٣) راجع الكتب التي أوردها ابن النديم في الفهرست ، ملحق ١ من كتاب علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٧٣ — ٣١٦ .

ما كتبه الواقدي كتابه المعروف بكتاب « التاريخ الكبير » ، لم يقتصر فيه على غزوات الرسول ، بل أرخ لكثير من أحداث الاسلام في العهود التالية حتى عهد خلافة هارون الرشيد ، اقتبس منه الطبري في كتابه « تاريخ الرسل والملوك » ، حتى سنة ١٧٩ هـ . وقد وصل اليينا كتابه « فتوح الشام ومصر » ، وهو مخطوط محفوظ بالمتحف البريطاني ، نشر في لندن تحت عنوان « كتاب فتوح مصر والاسكندرية المنسوب إلى المؤلف الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني » (١) . كما وصلنا كتابه « فتح البهنسة وفيوم من ارض مصر » ، وهو مخطوط محفوظ بمدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بلندن وملحق بمخطوط لتاريخ أبي الفداء ، وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة في سنة ١٢٨٠ هـ تحت عنوان « فتوح البهنسا وما فيها من المعجائب والغرائب وما وقع فيها للمعجزة » ، كذلك وصلنا كتابه « فتوح مدينة إفريقية » ، المحفوظ في المتحف البريطاني ، وفي مكتبات لندن وباريس وكامبريدج والجزائر وفاس ، ونشر في سنة ١٣١٥ هـ بمعرفة عبد الرحمن الصنادلي (٢) ، ولكن معظم ما جاء في كتبه عن فتوح مصر في هذه الكتب ينقسم بمسألة أسطورية تبعدها عما عرف من روايات الواقدي ، ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن روايات الواقدي بدأت في اتخاذ شكلها الأسطوري في وقت متأخر نسبيا بعد القرن السابع الهجري ، والدليل على ذلك تلك

(١) طبع هذا الكتاب بمصر في سنة ١٣٦٨ بعنوان فتوح الشام ، في جزأين يتضمنان

فتح الشام ومصر والعراق .

(٢) سعد زغلول عبد الحميد ، فتح العرب لاغرب بين الحقيقة التاريخية والأسطورة الشعبية ،

دراسة ونقد لمخطوط « فتوح مدينة إفريقية » من مخطوطات الواقدي بالمتحف البريطاني ،

مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٦ ، ١٩٦٢ ، الاسكندرية ١٩٦٣

الشخصيات التي يذكرها مخطوط فتح البهينة مثل « سيدى أبو هدين، الذي توفي في أواخر القرن السادس الهجرى، و « سيدى أبى الحجاج الأفعرى، المتوفى في منتصف القرن السابع... ولما جانب الأثر الصوفى الشعبى المتأخر، تأثرت الرواية التاريخية هنا بأحداث تاريخية متأخرة كانت لها آثارها العميقة في خيال الناس... (١).

ولم يبق لنا مما يصح من كتبه إلا كتاب المغازى (٢). الذى أشرنا إليه فيما سبق.

ب - مدرسة التاريخ فى البصرة :

تتميز الدراسات التاريخية عند العرب فى بداية نشأتها بوجود اتجاهين متميزين : أحدهما دينى قوامه دراسة الحديث ومركزه المدينة، والثانى قبل كان استمراراً لبعض الأيام وروايات الأنساب فى الأسلوب والنظرة، إذ تناول من الموضوعات المعارك والفتوح الإسلامية، وكان مركز هذا الاتجاه فى البصرة والكوفة.

وهكذا تميزت البصرة والكوفة ببنائية خاصة من نواحي الدراسات التاريخية، وهى دراسة الأحداث الإسلامية والأنساب، نتيجة طبيعية للصراع الحزبى وللإقليمية والقبلية (٣). إلا أنه قام فى العراق مع هذا الاتجاه القبلى اتجاه آخر فى دراسة الحديث والسيرة، وهو الاتجاه الذى اختصت به المدينة، فوجد كتاب للسيرة والمغازى برز منهم : فعمرو بن راشد اليماني البصرى (ت ١٥٠ هـ)،

(١) سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص ٣٧، ٣٨.

(٢) أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج ٢ ص ٣٣٥.

(٣) عبد العزيز الدورى، ص ١٢٢.

وزياد البكائي (ت ١٨٢) ، وعبد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) . وستحدث فيما يلي عن الأول والثالث منهم .

١- كتاب المغازي :

معمر بن راشد البصري : هو أحد تلامذة الزهري ، وكان مثل العدد الأعظم من كتاب المغازي من الموالي ، فذكروا أنه كان مولى للأزد ، وولد بالبصرة ونشأ بها ، ثم انتقل إلى اليمن ، وكان معمر هذا عالما بالحديث والسير ، وقد صنف كتابا في المغازي ، وصل إلينا مخطوطا ، ما يزال محفوظا في استنبول (١) .

محمد بن سعد : هو تلميذ الواقدي وكاتبه ، وقد عرف لذلك بكتاب الواقدي ، وكان مولى لبنى عبدالله بن عبيد الله بن العباس ، ولد في البصرة وعاش فيها الفترة الأولى من حياته ، ثم رحل إلى المدينة ثم إلى بغداد ، حيث اتصل بالواقدي . وقد حفظ لنا من كتبه كتاب الطبقات الكبرى ، ويتألف من ثمانية أجزاء ، أفرد الجزآن الأولان لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه ، وخمسة من الأجزاء الستة الأخرى لأخبار الصحابة والتابعين ورتبها وفقا للأمصار الإسلامية . وسيرة ابن سعد في الطبقات أوفى بكثير من تقدمه من كتاب السيرة ، إذ تتضمن كثيرا من الأخبار عن رسائل النبي وسفاراته ، وتعنى بساين جديدين هما «علامات النبوة» ، «وصفة أخلاق رسول الله» ، ولذلك كان كتابه أساسا لما جاء في المصنفات المتأخرة (٢) .

٢- كتاب التاريخ (الأخبار بوجه) :

أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي (ت ١٥٧ هـ) : كان أخباريا من

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ، ص ٢٩

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٢

أهل الكوفة ، وكان جده الأول مختف صحابيا من أصحاب علي بن أبي طالب ،
فورث أبو مختف لوط من جده هذا الميل للعلويين ، وعن أبي مختف بكتابة الأحداث
الاحداث التاريخية الهامة في الاسلام بجانب اهتمامه بالأنساب ، فكتب عن الردة ،
وعن فتوح الشام ، وفتوح العراق ، وعن موقعة الجمل وعن موقعة صفين ، وعن
مقتل حجر بن عدى ، وعن مقتل الحسين ، وعن وفاة معاوية ، وعن نجدة الحروري ،
وعن الأزارقة الخوارج . ولستدل بما كتبه عن اهتمامه بالسياسة الحزبية . فقد
عن بالعلويين والخوارج . وقد اعتمد أبو مختف في كتاباته على الروايات العائلية
والروايات القبلية أى الخاصة بقبيلته ، كما أفاد من الروايات الكوفية الأخرى
والروايات المدية (١) ، ولم يبق من كتبه الصحيحة إلا ما نقله الطبري عنه (٢) .

سيف بن عمر الكوفي الأسدي التميمي (ت ١٨٠ هـ) : كان مثيل معاصره
أبي مختف أخباريا كوفيا أخذ عن شيوخ الكوفة ، كما أفاد من الروايات المدية
في أخباره ، واعتمد في مادته على روايات قبيلته تميم (٣) . ولذلك اتسمت أخباره
في الفتوحات ، وخاصة ما كان منها متعلقا بالعراق ، بميل واضحة المعالم لقبيلته
وتعصب ظاهر لها (٤) .

وكتب سيف بن عمر في الفتوح وفي الردة ، وتعرض في كتاباته عن الفتوح
للفتنة التي قامت بين الإمام علي ومعاوية ، وخاصة وقعة الجمل ، وذكر له ابن النديم
في الفهرست كتابا عن « الجمل ومسير عائشة وعلي » ، وكتابا بعنوان : « كتاب

(١) الدوري ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ١٢٣

(٢) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٣٤٢

(٣) الدوري ٣٧

(٤) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ، ج ٢ ص ٣٤٣ — الدوري ، ص ٣٧

الفتوح الكبير والردة ، (١) .

عوانة بن الحكم (ت ١٤٧ هـ) : كان أخباريا كونيا أيضا ، على دراية كبيرة بالأخبار والفتوح مع علم بالشعر والانساب ، (٢) ، ونستنتج من رواياته والتي أوردتها الطبري والبلاذري أنه التزم موقفا حياديا من الصراع بين الأمويين والعلويين ، فلم يتعصب لفريق على فريق ، وقد تتلمذ على عوانة هذا الهيثم بن عدي والمدائني . وصنف عوانة كتابا بعنوان : « سيرة معاوية وبني أمية » ، ويعتقد فرانز روزنتال أنه نهج فيه منهج كتب التاريخ المرتبة على الدول (٣) .

نصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) : كان أخباريا من أهل الكوفة ، ويتميز عن سبقه من الأخباريين بأنه كان شيعيا ، وتدور معظم كتاباته حول موضوعات لها علاقة بالشيعة مثل : « الجمل » ، « صفين » ، « مقتل الحسين » ، « مقتل حجر بن عدي » ، « أخبار المختار » ، وتنعكس في هذه الرسائل ميوله العراقية والشيعة ، إذ يظهر فيها تحيزه للعلويين ضد معاوية وأنصاره ، وتخلل كتابته في « صفين » أشعار معظمها موضوعة ، وأسلوبه في هذا الكتاب متأثر بأسلوب كتاب قصص أيام العرب (٤)

علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ) : كان أخباريا من البصرة ، ثم استوطن

(١) ابن النديم ، « الكتب التي أوردتها في الفهرست » ، ملحق ١ من كتاب : « علم التأريخ

عند المسلمين » ، ص ٢٨٠ ، ٢٨٣

(٢) ياقوت ، « معجم الأدباء » ، ج ٦ ص ٩٤

(٣) روزنتال ، « علم التأريخ عند المسلمين » ، ص ١٢٨

(٤) الدوري ، ص ٣٨

المدائن فنسب اليها ، وكان من تلاميذ عوانة بن الحكم ، وقد أفاد في كتاباته من روايات البصرة ومن روايات المدينة ، واعتمد في رواياته على الأسناد ، كما أنه اتبع في كتاباته أسلوب المحدثين في نقد الروايات ، ولهذا السبب حظى المدائني بثقة العلماء المعاصرين له والذين جاءوا من بعده ، وذكره الخطيب البغدادي ، فقال : « كان عالما بأيام الناس ، وأخبار العرب وأنسابهم ، عالما بالفتوح والمغازي وروايه الشعر ، صدوقا في ذلك » (١) . وكثرت تواليفه في التاريخ الاسلامي والفتوحات ، فشغلت صفحات ست من معجم الأدباء لياقوت ، وللأسف ضاعت كل هذه المصنفات ، ولم يبق منها الا تنف رواها الطبري والمسعودي وأبو الفرج ، والمبرد ، والبلاذري . ومن بين كتبه التي ذكرها ابن النديم في المغازي كتاب « المغازي » ، وكتاب « صفة النبي » ، وكتاب « أزواج النبي » ، وكتاب « الوفود » ، وكتاب « أمهات النبي » ، وكتاب « أخبار المنافقين » ، وكتاب « المنافقين ومن نزل القرآن فيه منهم ومن غيرهم » ، وكتاب « رسائل النبي » ، وكتاب « صلح النبي » ، وكتاب « خطب النبي » ، وكتاب « عهود النبي » ، وكتاب « سرايا النبي » ، ومنها ما ذكره في الخلفاء مثل كتاب « أخبار الخلفاء » ، و« تاريخ الخلفاء » ، و« تسمية الخلفاء » و« كنههم وأعمالهم » ، وكتاب « مقتل عثمان » ، وكتاب « الجمل » ، وكتاب « النهروان » ، وكتاب « الخوارج » ، وكتاب « خطب علي وكتبه إلى عماله » ، و« كتاب مرج راهط » ، وكتاب « الردة » ، وكتاب « أخبار السفاح » ، ومنها ما ذكره في الفتوح : مثل كتاب « الردة » ، و« أمر البحرين » ، و« أمر عمان » ، وكتاب « فتوح الشام » ، وكتاب « فتوح مصر » ، وكتاب « موادة النوبة » ، وكتب أخرى في فتح برقة ، وفتوح الجزيرة ، وأرمينية ، العراق ، والسواد ، والبصرة ، والأبلة

والأهواز ، وفارس ، وسجستان ، وكرمان ، ومكران ، وبابل ، والري ، وجبال
طبرستان ، وجرجان ، وخراسان .

٣ - كتاب الانساب:

كان للدراسات التي قام بها بعض النسابين في الانساب أثر كبير في علم التاريخ ،
فلقد عنى العرب بالسابهم في الجاهلية ، وتجددت عنايتهم بالانساب عقب الفتوحات
الاولى ، عندما أنشأ عمر بن الخطاب الديوان ، وبدأ بالعباس عم النبي ، ثم ببني هاشم ،
ثم بمن بعدهم طبقة بعد طبقة ، مراعيًا في ذلك الاعتبار الديني والقبلي في آن
واحد (١) . وزاد اهتمام الأمويين بالانساب ، ووضعت لهذا الغرض سجلات
بها ، واشتدت العناية بالانساب أيضًا منذ أواخر العصر الأموي عندما
قامت الخصومات القبلية ، ولشأت الشموبية ، وأخذ الشموبيون يفتشون عن
مثالب العرب في الوقت الذي كانت القبائل تبحث عن مفاخرها (٢) .

ومن أشهر نسابة العراق ، محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، وكان من
علماء الكوفة ، اختص بدراسة الانساب ، وورث ابنه هشام (ت ٢٠٤) منه هذا
العلم ، وقد سبق أن أشرنا إليه . وظهر أيضًا من كتاب الانساب الزبير بن بكار
أحد تلاميذ المدائني ، وكان ابن بكار مدني النشأة ولكنه عاش في العراق فترة
طويلة حتى اعتبر من أهله (٣) ، ومنهم أبو اليقظان النسابي (ت ١٩٠ هـ) الذي
صنف كتبًا كثيرة في الانساب .

(١) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٩

(١) الدوري ، ص ٤٠

(٣) ضحى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٤٥

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الاسلامي

(١) منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

أ - التاريخ الحولي او حسب السنين

ب - التاريخ حسب الموضوعات

(٢) تنوع صور المادة التاريخية

أ - التاريخ العالمي

ب - التاريخ المحلي

ج - التاريخ المعاصر والمذكرات

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي

(١)

منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

رأينا كيف أن المؤرخ المسلم بدأ كتابته التاريخية معتمداً على الرواية المسندة التي تنسم بثلاثة مظاهر :

- ١ - انفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها .
- ٢ - الطابع القصصي الذي لا يخلو من الحوار .
- ٣ - الاستشهاد بالشعر .

ثم انقضى أكثر من نصف قرن على وفاة الرسول قبل أن يشرع المسلمون في التدوين ، وأصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني للهجرة ، يعتمد في كتابته التاريخية ، إلى جانب الذاكرة والحفظ ، على الكتب التاريخية التي سبقه في كتابتها المؤرخون الأولون ، ولم يلبث المؤرخ المسلم أن تحرر تدريجياً من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد أخباري ، أي ناقل للخبر ، إلى الكتابة المرسلة التي تعني بالخبر في ذاته ومناقشته ، وبينما كان الطبري ومن سبقه من الأخباريين يهتمون اهتماماً خاصاً بالإسناد ، وتسلسل الرواة ، فقد ظهر فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا في كتابتهم عن طريقة الإسناد ، واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها (١) ، ومن هؤلاء : اليعقوبي (ت ٢٨٤) ،

(١) محمد عبد الفتى حسن ، علم التأريخ عند العرب ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٦٦

والمسعودى (ت ٣٤٦ هـ) ، وكان هؤلاء المؤرخين يكتبون بذكر مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات كتبهم ، مع دراستها في بعض الأحيان دراسة نقدية كما فعل المسعودى في مقدمة كتابه مروج الذهب ، فهو يثنى على كتابة الطبرى والصولى وقدامه بن جعفر ، ويحمل على سنان بن ثابت بن قرة الحرانى حملة عنيفة ، فيقول في مدح الطبرى : «وأما تاريخ أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى، الزاهى على المؤلفات ، والزائد على الكتب المصنفات ، فقد جمع أنواع الأخبار ، وحوى فنون الآثار ، واشتمل على صنوف العلم ، وهو كتاب تكثر فائدته ، وتنفع عائدته ، وكيف لا يكون ذلك ومؤلفه فقيه عصره ، وناسك دهره ، إليه انتهت علوم فقهاء الأمصار ، وحمله السنن والآثار» (١) . ومدح أصالة الصولى في كتابته التاريخية فقال : «وكذلك سلك محمد بن يحيى الصولى فى كتابه المترجم بكتاب الأوراق فى أخبار الخلفاء من بنى العباس وبنى أمية ، وشعرائهم ، ووزرائهم ، فإنه ذكر غرائب لم تقع لغيره ، وأشياء تفرد بها لأنه شاهدا بنفسه ، وكان محظوظا من العلم ، ممدودا من المعرفة ، مرزوقا من التصنيف ، وحسن التأليف» (٢) . ويمدح كتابة أبى الفرج قدامة بن جعفر وأسلوبه ، فيقول : «فإنه حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجزا للألفاظ ، مقربا للمعاني ...» (٣) . ثم ينتقد كتابة سنان بن ثابت بن قرة الحرانى ، فيقول : «ورأيت سنان بن ثابت بن قرة الحرانى - حين انتحل مالىس من صناعته ، واستنهج ما ليس من طريقته - قد ألف كتابا جملة رسالته إلى بعض إخوانه من الكتاب ...» (٤) .

(١) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٥

(٢) نفس المصدر ، ج ١ ص ١٥

(٣) نفس المصدر ، ص ٦١

(٤) نفس المصدر ، ص ١٦ ، ١٧

وكما تطورت الكتابة التاريخية من حيث الطريقة ، تطورت من حيث الأسلوب ، فبعد أن كان التاريخ يجمع في معظمه في صدارة جل قصيدة جافة لا ترتبط فيما بينها بصلة ، أصبح الأسلوب التاريخي مرسلا بسيطا وواضحا في آن واحد ، يكاد يخلو في معظمه من الشعر ، ويكتفى بما استخدم السجع في الكتابة التاريخية ، على الرغم من أن التاريخ لم يكن قط فرعاً من الآداب التي تشجع على استخدامه ، ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالسجع في كتاباتهم التاريخية : العماد الأصفهاني والكاتب الأندلسي الفتح بن خاقان . فمن قول العماد الأصفهاني في الفتح القدسي ، يذكر خروج صلاح الدين بن أيوب من دمشق في سنة ٥٨٣ هـ لملاقاة الصليبيين في حطين ، وبرز من دمشق يوم السبت مستهل المحرم قبل استنجاد الجنود ، واستحشاد الحشود ، واصحار الأسود ، وإحمرار البيض والسود ، مضى العزم ماضى العزم ، صائب السهم ، نائب الفهم ، ثابت السعود ، كابت الحشود ، وخيم على قصر سلامة من بصرى ، وكفت يد رعبة الطولي من الفرنج اليد القصرى ، وأقام على ارتقاب اقتراب الحجاج ، وقد رتب الفرنج من الأرصاء أفواجا على تلك الفجاج ، لاسيما أبرنس الكرك ، فإنه كان حريصا على الدرك ، ناصبا شر الشرك ، نصب الشرك ... (١) . ومن قول الفتح بن خاقان في كتابه مطمح الأنفس ومسرح الناس في مدح جعفر المصحفي الحاجب : « تجرد العليا ، وتمرد في طلب الدنيا ، حتى بلغ المنى ، وتسوغ ذلك الجنى ، فما دون سابقة ، وارتقى إلى رتبة لم تكن لبيئته بمطابقة ، فالتاح في أفياء الخلافة ، وارتاح إليها بعطفه كنشوان السلافة ، واستوزره المستنصر ، وعنه قد كان يسمع وبه يبصر ، فأدرك بذلك ما أدرك ،

(١) العماد الأصفهاني ، الفتح القدسي في الفتح القدسي ، تحقيق الاستاذ محمد محمود صبيح

ونصب لأمانيه الجبائل والشرك ... (١).

وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجوعة أمثال المؤرخ الأندلسي أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان المتوفى في ٤٦٠ هـ ، الذي يستخدم العبارات المسجوعة في بعض الأحيان ، كما يفعل عندما أشار إلى ابن باشة الذي تولى هدم قصور بني أمية ، فيقول : « وانكدر باثر وفاته ابن باشة هدام القصور ، ومبور المعمور ، وكان من التبجح في اللوم ، والالة حاف للشؤم ، مع دناءة الأصل والفرع وتنكب السداد ، وتقبل الفساد ، على ثبح عظيم ، بيده بادت قصور بني أمية الرفيعة ، ودرست آثارهم البديعة ، وحطت أعلامهم المنيرة ... » (٢).

ووجد من مؤرخي المسلمين من استخدم في كتاباته أسلوبا بسيطا سهلا ، تجنب فيه الزخرفة اللفظية والالفاظ الدارجة ، من أمثال هؤلاء المؤرخين ابن حيان ، وابن الأثير وابن طباطبا ، وقد اهتم هؤلاء بإبراز المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة يستسيغها القارئ . فابن حيان استخدم للتعبير عن الأحداث أسلوبا سهلا واضحا خال من التعقيد ، ويتجلى ذلك فيما وصل إلينا من كتابه المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، وهو كتاب يجمع بين الكتابة حسب المنهج الحولي والكتابة حسب العهود ، فعندما يفتح الحديث عن أحداث سنة ٣٦٣ هـ (زمن الحكم المستنصر) ، يقول : « في يوم الاربعاء لثمان

(١) الفتح بن خاقان ، كتاب مطمح الأتقى ومسرح الناس في ملجأ أهل الأندلس ،

قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) ص ٤

(٢) ابن بسام الشيرازي ، التخيصة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني

القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١١ — ١١٢

خلون من المحرم فاتحها ، قدم قنقه ، فتي الوزير القسامد غالب بن عبد الرحمن ،
بكتاب مولاه غالب ، يذكر ماضيه الله لأمير المؤمنين من افتتاح مدينة البصرة
التي كان انتزى فيها محمد بن حنون المخدول ، وأنه كان سار عنها في خيله
لبعض ما عن له من شؤونه ، وخلف بها خاله محمد بن عبد السلام الذي كان ظهيرا
له ، ومديرا لشأنه ، لا يقدم امرا ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته ، وكان
مشنوا إلى أهل البلد ، فدبروا عليه عند إبعاد ابن حنون عنهم وقتلوه ، فتك
به ثعبان بن أحمد البربري البطل واحتز رأسه ، وذلك في يوم الجمعة لثلاث خلون
من المحرم منها . . . (١) .

أما ابن الأثير ، فينفرد عن غيره من المؤرخين بأسلوب بسيط واضح لا يجاريه
فيه أحد ممن كتب قبله أو بعده ، وكثيرا ما يدخل في كتاباته عبارات أقرب إلى
الأمثال (٢) . مثل قوله عندما حاصر الصليبيون دمياط في سنة ٥٦٥هـ . وأخفقوا في حملتهم
عليها ، فيسخر منهم ابن الأثير بقوله : هذا موضع المثل ، ذهبت النعمة تطلب
قرنين ، فعادت بلا أذنين ، (٣) .

(١) ابن حيان ، القتبس في أخبار بلد الاندلس ، تحقيق الاستاذ عبد الرحمن هل الحجي ،

بيروت ، ١٩٦٥ ، ص ١٤١ ، ١٤٢

(٢) عبد القادر طليعات ، المؤرخ ابن الأثير ، (رسائله المقدمة لنيل درجة الدكتوراه) ،

ص ٢٢١ .

(٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تحقيق عبد القادر طليعات ، القاهرة ،

١٩٦٣ ص ١٤٤

أما ابن طباطبا ، فقد التزم أسلوبا خاسا به لم يتقيد فيه بروايات المؤرخين أو الأخباريين السابقين عليه ، فهو يعرض مادته الخبرية في وضوح وبساطة وإيجاز ، ويتجلى ذلك في قوله عندما تعرض لترجمة يزيد بن معاوية : « كان موفا الوائغة في اللهو والقنص والخمر والنساء والشعر . وكان فصيحاً كريماً شاعراً مفلحاً ، قالوا بديء الشعر بملك وختم بملك إشارة إلى امرئ القيس وإليه ، ثم يذكر أم الأحداث في عصر يزيد ، وهما حادثان : مقتل الحسين وموقعة الحرة ، وفي مقتل الحسين يقول : « هذه قضية لا أحب بسط القول فيها استعظاما لها واستفظاء ، فإنها قضية لم يجر في الإسلام أعظم فحشا منها ، ولعمري إن قتل أمير المؤمنين عليه السلام هو الطامة الكبرى . ولكن هذه القضية جرى فيها من القتل الشنيع والسبى أو التمثيل ما تقشعر له الجلود . واكتفيت أيضا عن بسط القول فيها بشهرتها فإنها أشهر الطامات . فلعن الله كل من باشرها وأمر بها ورضى بشيء منها... وجملة ما جرى ، في ذلك أن يزيد ، لعنه الله ، لما بوبع لم يكن له هم إلا تحميل بيعة الحسين رضي الله عنه ، والنفر الذي حذرهم أبوه منهم ، فأرسل إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، وهو يومئذ أمير المدينة ، يأمره بأخذ البيعة عليهم . فاستدعاهم ، لحضر الحسين ، عليه السلام ، عنده ، فأخبره بموت معاوية ، رضي الله عنه ، ودعاه إلى البيعة ، فقال له الحسين عليه السلام : مثل لا يبايع سرا ولكن إذا اجتمع الناس نظرنا ونظرت . ثم خرج الحسين ، عليه السلام ، من عنده ، وجمع أصحابه وخرج من المدينة قاصدا مكة ، متأيا من بيعة يزيد ، آنفا من الانحطاط في زمرة وعيته .

فلما استقر بمكة اتصل بأهل الكوفة تأييه من بيعة يزيد ، وكانوا يكرهون بني أمية ، خصوصا يزيد لقبح سيرته ، وبجهرته بالمعاصي ، واشتهاره بالقبايح ،

فراسلوا الحسين عليه السلام ، وكتبوا اليه الكتيب يدعونه إلى قدوم الكوفة ،
ويبذلون له النصرة على بنى أمية ... ، (١) .

فم غزت الكتابة التاريخية في العصور المتأخرة ألفاظ أعجمية وعامية ،
فشاعت في كتابات المؤرخين المتأخرين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين أساليب
عامية ، ومن هؤلاء المؤرخين ابن إياس في كتابه « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ،
وأبو المحاسن بن تغري بردي في كتابه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ،
وابن الفرات في كتابه « تاريخ الدول والملوك » . فابن إياس (ت ٩٣٠ هـ)
يكثّر من الألفاظ الدارجة مثل : « وكان في تلك الأيام ديوان المفرد وديوان
الدولة وديوان الخاص في غاية الانشحات » ، (٢) ، ومثل « وكان السلطان مخصّصا
في جسده » ، (٣) (أى عيلا) ، ومثل « وقيل إن جاني بك لما رأى أن الأمير
طومان باي الدوادار محطّا عليه سأل السلطان وبأس رجله بأن يعفيه من
التحدث » ، (٤) ، وقوله : « وكان السلطان من حين بلغه أن الفرنج تزايد عبثهم في
البحر الملح وطفشت به مراكب الفرنج » ، (٥) ، ومثل : « تنكّد السلطان » ، (٦)

(١) محمد بن علي بن طباطبا ، كتاب الفخرى في الآداب السلطانية ، بيروت ١٩٦٠

ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) ابن إياس ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، ج ٤

القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٥٩

(٣) نفس المصدر ، ص ٣٧٢

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٨٠

(٥) نفس المصدر ، ص ٤٥٨

(٦) نفس المصدر ، ص ٤٦٣

ومثل قوله : « وغالب الرعية بحلب وغيرها من ظلم النواب وجورهم يميلوا إلى ابن عثمان ، (١) ».

كذلك أكثر ابن الفرات (ت ٩٠٧) من استخدام الألفاظ الدارجة ، مثل ذلك قوله : « فنزل السالمى عن فرسه ومسك كم العبادى وقال له أنا وإنت إلى عند الشرع الشريف عند من تختاره من القضاة ، فقال العبادى أنا ما أروح إلا عند السلطان . . . فقال له السلطان ايش هذا الذى جرى لك يا يلبغا كفروك . . . » (٢) ، ومثل قوله : « ودخل بهما إلى عند السلطان فتحدث السلطان معهم كلام كثير وبأس الأمير علاء الدين (٣) » .

* * *

ولقد سلك المؤرخون العرب فى كتاباتهم التاريخية منهجين ، الأول التاريخ الحولى أو التاريخ حسب السنين ، والثانى : التاريخ حسب الموضوعات :

١- التاريخ الحولى أو حسب السنين :

وجد من المؤرخين المسلمين من أرخ للأحداث سنة بعد سنة ، فكانت مختلف الحوادث تجمع فى كل سنة ، وتربط فيما بينها بكلمة « وفيها » ، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية ، فيستخدم الجملة الآتية : « ثم دخلت سنة كذا ، أو دهم جاء فى سنة كذا » .

(١) نفس المصدر ، ص ٣٦٤

(٢) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، تحقيق الدكتور

ق- ط- طين زريق ، مجلد ٩ ج ٢ ، بيروت ١٩٣٨ ص ٤٠٨

(٣) نفس المصدر ، ص ٤٣٦

وعيب هذا المنهج التاريخي أنه يمزق سياق الحادثة التاريخية الطويلة ، التي تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، فلا يذكر المؤرخ الذي يتبع المنهج الحولي منها إلا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل أحداثها ، فإذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية وثالثة ، ذكرها متفرقة بمزقة ، في جملة أحداث كل سنة . ولقد انتقد المؤرخ الكبير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري والملقب بعز الدين (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) هذا المنهج ، فيقول : « ورأيتهم (١) أيضا يذكرون الحادثة الواحدة في سنين ، ويذكرون منها في كل شهر أشياء ، فتأتي الحادثة مقطعة ، لا يحصل منها على غرض ، ولا تفهم إلا بعد إمعان نظر ، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد ، وذكرت كل شيء منها في أي شهر أو سنة كانت ، فأنت متأسفة متتابعة ، قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وذكرت في كل سنة ، لكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصها . فأما الحوادث الصغيرة التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة ، فإنني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة فأقول : ذكر عدة حوادث . وإذا ذكرت بعض من تسع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه ، فإنني أذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به ، وذكرت في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهورى العلماء والأعيان والفضلاء ، وضبطت الأسماء المشتبهة المؤتلفة في الخط ، المختلفة في اللفظ ، الواردة فيه بالحروف ضبطا يزيل الأشكال ، ويعنى ويعنى عن الانقاط والأشكال ، (٢) .

(١) يقصد من كتب على المنهج الحولي ، أمثال الطبري وابن الفلاس .

(٢) ابن الأثير ، الكامل ، ج ١ ص ٦٥٥

وقد حاول ابن الاثير بقدر ما استطاع من جهد أن يتجنب الوقوع في العيب الذي أوضحه في الكتابة على المنهج الحولى ، فجمع عناصر الحادثة ، التى تتصل إلى عدد من السنين ، ويصل بين أجزائها فى سنة معينة وفى موضع واحد حتى تبرز القيمة الخبرية للحادثة ، وتتابع عناصرها بانتظام وترابط يستسيغه القارىء فيستوعب الموضوع فى سهولة ويسر ، ولكنه مع ذلك لم يستطع فى جميع الأحوال أن يطبق هذه الطريقة دائماً ، مثل ثورة الزنج التى دامت أحداثها ما يقرب من ١٤ سنة ، فقد وردت أخبارها فى الكامل ممزقة على السنين ، على النحو الذى عرضها للطبرى فى كتابه تاريخ الرسل والملوك (١).

وقد يسر ابن الاثير أيضاً مهمة القارىء ، إذ وضع الأحداث عناوين تعلن عن مضمونها ، فى حين وضع كل مجموعة من المجموعات الصغار التى وقعت فى السنة الواحدة تحت عنوان ذكر عدة حوادث ، يختصها بترجمة أشهر الوفيات فى السنة المذكورة .

كذلك انتقد الكاتب الكبير شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٢٢ هـ) فى مقدمة القسم الخامس من كتابه « نهاية الارب فى فنون الادب » هذه الطريقة الحولية ، للعيوب نفسها ، وآثر الكتابة حسب الموضوعات ، فكتب فى تاريخ الدول دولة دولة ، فلا ينتقل من الحديث عن تاريخ دولة إلا إذا انتهى من عرض تاريخ الدولة السابقة ، متبعاً فى نفس الوقت المنهج الحولى فى ذكر أحداثها وفى ذلك يقول : « ولما رأيت غالب من أرخ فى الملة الإسلامية وضع التاريخ على حكم السنين ومسايقها ، لا الدول واتساقها ، علمت أن ذلك ربما قطع على المطالع

(١) عبد القادر طليبات ، المؤرخ ابن الاثير ، ص ٥٣

لذة واقعة استبجلاها ، وقضية استبجلاها ، فانقضت أخبار السنة ولا استوعب
تكملة فصولها ، ولا انتهت إلى جملتها وتفصيلها ، وانتقل المؤرخ بدخول السنة التي
تليها من تلك الوقائع وأخبارها ، والممالك وآثارها ، والدولة وسيرها ، والحالة
وخبرها ، فتقل من الشرق إلى الغرب ، وعدل عن السلم إلى الحرب ، وعطف من
الجنوب إلى الشمال ، وتحول من البكر إلى الآصال ، وقد تحول به خيل الاستطراد
فيبعد ، وتحول بينه وبين مقصده الشئون ، فيغور تارة وتارة ينجد ، فلا يترجع
المطالع إلى ما كان قد أهمه إلا بعد مشقة ، وقد يعدل عنه إذا طالت المسافة
وبعدت عليه المشقة . فاخترت أن أقيم التاريخ دولة ، ولا أبغى عن الدولة
إذا شرعت فيها حولا ، حتى أورد ما من أوائلها إلى أواخرها ، وأذكر جملا
من وقائعها وما أثرها ، ونساق أخبار ملوكها ، ونظم عقود سلوكها ، ومقر بمالكها
وتشعب مسالكها ، فإذا مضت مدتها وانقضت عدتها ، وانتقلت من العين إلى
الأخر ، ومن العيان إلى الخبر ، رجعت إلى غيرها ، ففوت أثرها ، وشرحت
خبرها . . . (١) . وتستدل من مقدمه كتابه على أنه قسم التاريخ الاسلامي إلى
دول ، فتحدث عن السيرة النبوية ، وأخبار الخلفاء ، وأخبار الدولة الاموية ،
والعباسية ، والعتابية ، ودول ملوك الاسلام المستقلة بالملك في عصر الدولة
العباسية (الدول المنقطعة) (٢) .

والطبري ، عمدة مؤرخي العرب ، هو أول مؤرخ وصلنا إنتاجه التاريخي مرتبا
على السنين ، منذ بداية التاريخ الهجري حتى سنة ٣٠٢ هـ . والطبري ينسب إلى
طبرستان ، إذ ولد ببلدة آمل من طبرستان الواقعة عند الساحل الجنوبي من بحر

(١) محمد عبد الفتى تحت علم التاريخ عند العرب ، (عن النويري) ص ١٧٦

(٢) راجع مقدمة النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، السقر الاول (مجموعة

طبرستان (قزوین) ، في سنة ٢٢٤ هـ . ورحل من صغره لتلقى العلم من مسقط رأسه إلى الري ، فأخذ على شيوخ هذه المدينة ، ودرس فقه العراق ، ثم مضى إلى بغداد ، وسمع عن علمائها ، وانتقل منها بعد ذلك إلى الكوفة . وأخذ يتنقل بين مراكز العلم في المشرق الاسلامي سعياً وراء تحصيله ، فرحل إلى الشام ، وأطال المقام في بيروت ، ثم رحل إلى مصر ، ولقي بها أبا الحسن السراج المصري ، وأخذ الفقه الشافعي عن الربيع والمزني وأبناء عبد الحكم (١) . كما أخذ عن يونس ابن عبد الأعلى الصيرفي قراءة حمزة وورش . وعاد إلى بغداد وعاش فيها بقية عمره حتى توفي في سنة ٣١٠ هـ . وقد ذاعت شهرة الطبري بتفسيره للقرآن الكريم المعروف بتفسير الطبري ، وبكتابه التاريخ العظيم وتاريخ الرسل والملوك ، المعروف أيضاً بتاريخ الأمم والملوك ، وهو أقدم مصدر كامل للتأريخ العربي ، بدأه بالخلقة وانتهى فيه إلى سنة ٣٠٢ هـ ، ورتب حوادثه وفقاً للمنهج الحولي . وقد اتبع الطبري في روايته للأخبار والحوادث طريقة الإسناد ، أي إسناد الرواية إلى سلسلة من الرواة توثيقاً للأخبار التي يرويها ، فلقد كانت نظرة الطبري إلى التاريخ متأثرة إلى حد كبير بدراسته الأولى وثقافته كمحدث وكفقيه (٢) ، ولذلك كانت قيمة الروايات تعتمد في نظره على قوة أسانيدھا ، وكلما كان الإسناد في أوله قريباً من الحادثة كان ذلك مدعاة لصحتها ، غير أن الطبري لم يكن يفضل رواية على رواية ، وإنما كان يكتفي بعرض الروايات ، فيقف بذلك موقفاً حيادياً (٣) . ولعل اعتماد الطبري على

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مقدمة الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ١٩٦٠ ، ج ١ ص ٥ — ١٠ — أحمد محمد الحولي ، الطبري ، سلسلة أعلام العرب ، القاهرة ١٩٦٣ ص ٣٦ — ٤١

(٢) الدوري ، نشأة علم التأريخ عند المسلمين ، ص ٥٥

(٣) الدوري ، ص ٥٦ ، يشبه الطبري في هذا من سبقه من المؤرخين أمثال

عبد الرحمن بن عبد الحكم (ت ٢٥٧ هـ) الذي كان يعتمد في رواياته التاريخية على الأسانيد

الإسناد كان سببا في وفرة مصادره ، وكان لذلك أعظم الأثر في اعتماد من جاء بعده من المؤرخين عليه ، أمثال : مسكويه ، وابن الأثير ، والذهبي .

ويشك روزنثال في أن الطبري هو أول من طبق الصورة الحولية على الكتابة التاريخية ، وذلك لكبر حجم كتابه من جهة ، ثم لأنه يستند في ذلك على أنه وصلتنا أخبار تشير إلى استعمال المؤرخين الأول لصورة الحوليات قبل الطبري (١) ، من ذلك أبو عيسى بن النجم (ت ٢٧٩ هـ) الذي كتب قبل الطبري كتابا في تاريخ سني العالم ، لعل حوادثه كما هو واضح من عنوانه كانت مرتبة حسب السنين ، ومنهم محمد بن يزداد الذي صنف ، حسبما يذكر ابن النديم ، كتابا أكمله ابنه عبد الله إلى سنة ٣٠٠ هـ ، مما يدل على أن كتاب محمد بن يزداد كان يتبع منهج التاريخ الحولي . كذلك يستند الأستاذ روزنثال في رأيه على أن تاريخ حمزة الاصفهاني وتاريخ إلياس النصيبى يتضمنان مقتطفات مقتبسة من تاريخ محمد بن موسى الخوارزمي الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ، تدل على أن كتاب الخوارزمي كان مرتبا على حسب السنين (٢) .

ومما يدل على أن الطبري لم يكن أول من كتب الحوليات ، أن الهيثم بن عدي (ت ٢٠٦ هـ) ألف كتابا في التاريخ على المنهج الحولي بعنوان « كتاب التاريخ على

الكاملة » حرصا على بيان رواياتها ، وأمانة في النقل ، دون أن يعنى بتقديمها ، وكذلك يشبه الطبري مؤرخا آخر سبقه في الكتابة التاريخية هو أحمد بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) الذي تأثر بدوره بما دونه الواقدي والمدائني وغيرهما في الفتح (راجع السيد عبيد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، الاسكندرية ١٩٦٦ ، ص ٩٣ — ٩٦) .

(١) روزنثال ، ص ١٠٢ وما يليها .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٤ .

السنين ، (١) ، وهو أمر يشير إلى أن الكتابة التاريخية على المنهج الحولى كانت معروفة في العراق في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة (٢) . كذلك وزد في الفهرست لابن النديم أن جعفر بن محمد بن الأزهر (ت ٢٧٦) ألف كتاباً في التاريخ مرتباً على السنين .

وقد اتبع طريقة المنهج الحولى بعد الطبرى عدد كبير من مؤرخى المسلمين ، نخص بالذكر منهم مسكويه وابن الجوزى وابن الأثير وأبو الفداء والذهبي .

وفكرة الكتابة التاريخية على النهج الحولى أو وفقاً للسنين ليست في رأى روزنثال ابتكاراً لمؤرخى العرب ، فلقد كانت الكتابة التاريخية على طريقة الحوليات — فى رأيه — معروفة فى المكتب الإغريقية . وكانت الحوليات الإغريقية وقد ظهرت للإسلام تشابهاً كثيراً مع الحوليات الإسلامية المتأخرة . ويرى الأستاذ روزنثال أن الحوليات الإغريقية تتمثل فيما كتبه إونيس ملاس وكما يتمثل المنهج الحولى فى الأدب السريانى فيما كتبه يعقوب الرهاوى (من القرن الأول الهجرى) ، وفكرة الكتابة التاريخية على المنهج الحولى انتقلت على هذا النحو إلى مؤرخى العرب الأولين عن طريق اتصالهم بأولى العلم من السريان المسيحيين أولاً ، ثم عن طريق رجوعهم إلى المصادر الإغريقية الأصلية مباشرة (٣) . ويرى روزنثال أنه ليس من الضروري أن يكون هناك كتاباً معيناً أوحى بفكرة المنهج الحولى إلى المؤرخين العرب ، لأن هذه الفكرة من السهل انتقالها بمجرد اطلاع

(١) روزنثال ، ملحق ٩ من ٢٧٤ سنة الدورى ، ص ٤٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٥ ، ٦ .

(٣) أولبرى ، مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب ، ترجمة دكتور تمام حسنا ، القاهرة

سطحي على تاريخ مكتوب على السنين ، او من مجرد مناقشة عرضية بين مؤرخ نصراني ومؤرخ مسلم ، ولقد كان احتكاك العرب المسلمين بالنصارى في المجال الثقافي قوياً بوجه خاص في سورية ، إذ كانوا يعيشون معاً مرتبطين فيما بينهم بروابط اجتماعية وثيقة .

وخلاصة القول أن مؤرخى العرب — في اعتقاد روزنتال — قد استلهموا طريقة التاريخ الحولى من مؤرخى الإغريق والسريان ، على الرغم من أن الكتابة السريانية أو الإغريقية لم يكن لها تأثير على مؤرخى العرب ، وأن ما اقتنسه العرب منهم يقتصر على علوم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافية والكيمياء والطب والحجرات والعقائير (١) . ثم أبدع العرب في هذه الطريقة ، وطوروها ، وتقدموا بها تقدماً أبعد ما عن مصدرها الاصلى ، وساعدوا على تسهيله عرض المادة التاريخية استمرار الجهود الإسلامية وتواصلها (٢) ، وتفاعل العرب الغالبين مع الشعوب المغلوبة . ومع ذلك فالاستاذ روزنتال يشك في الاعتقاد بوجود صلات متينة بين علم التاريخ الإغريق — السريان ، وعلم التاريخ العربى الإسلامى ، ونشك في أن التاريخ العربى القائم على المنهج الحولى عرفه العرب عن طريق مباشر من كتب التاريخ الإغريقية مثل كتاب يوزيبوس (٢٦٥ — ٣٤٠ م) لأن كتاب يوزيبوس الذى عرفه بعض مؤرخى العرب عن طريق السريان والوسطاء المسيحيين لا علاقة له بالنظام الحولى في التاريخ الإسلامى (٣) .

ولاشك الاستاذ عبد الحميد العبادى في أن توقيت الأحداث بالسنين

(١) نفس المرجع .

(٢) روزنتال ، ص ١١٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١١٢ .

والشهور والأيام ضابطاً انفرادياً مؤرخو المسلمين عن نظرائهم من اليونان والرومان وأوروبا في العصور الوسطى (١). وتؤكد الدكتور سيدة كاشف أن الكتابة التاريخية السريانية لم يكن لها قط تأثير على المؤرخين المسلمين على الرغم من قيام مدارسهم في الرها ونصيبين وجنديسابور بممارسة نشاطها العلمي في الترجمة عن الإغريق ، وتذكر الأستاذة الدكتور أن التأثير الأجنبي الذي نلسه عند بعض المؤرخين والمسلمين القدماء إنما كان في كتب التاريخ الفارسية فيما يختص بالتاريخ الإيراني القديم (٢).

* * *

ثم طرأ تطور على كتابة التاريخ الحولى في العصور الإسلامية المتأخرة ، وذلك عندما أحس المؤرخون في هذه العصور بحاجتهم إلى ترتيب إضافي للبادء التاريخية ، التي كانت تزيد يوماً بعد يوم ، في وحدات زمنية أوسع ، فأدخل مؤرخ الإسلام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) في كتابه الكبير « تاريخ الإسلام » الذي يتألف من ٢١ مجلداً ضخماً ، والذي بدأ به التاريخ الإسلامى حتى بداية القرن الثامن الهجرى ، تقسيماً فرعياً للحوادث متبعاً نظام العقود ، أى من السنة الأولى إلى السنة العاشرة هـ ، وهكذا . . . ، وطبق هذا التقسيم إلى عقود على كل أجزاء كتابه . غير أن التقسيم إلى عقود في تاريخ الذهبي إنما استمد أصوله من تاريخ السيرة ، والذهبي في ذلك يربط بين تاريخه وبين آداب الطبقات والتراجم (٣) .

(١) هرتزو ، علم التأريخ ، ص ٦٧ .

(٢) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٩٠ .

(٣) روزنتال ، ص ١٢١ .

كذلك ترجع أصول التقسيم حسب القرون إلى كتب الطبقات والتراجم ، ككتاب ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، للفوطى ، وكتاب ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر العسقلانى ، وكتاب ، الضوء اللامع في رجال القرن التاسع ، للسخاوى ، وكتاب ، النور السافر في أخبار القرن العاشر ، لابن العيدين ، وكتاب الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة ، للغزى ، وكتاب ، نخبة الزمن في أعيان القرن الحادى عشر ، للبحى ، وكتاب ، نزهة الحادى بأخبار ملوك القرن الحادى ، لمحمد الصغير (وهو كتاب على عن المغرب) .

وهذه الكتب إما مرتبة حسب السنين كالتجارب النافعة للفوطى ، أو مرتبة حسب حروف الهجاء كالدرر الكامنة لابن حجر .

ب - التأريخ حسب الموضوعات :

وهى التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام ، وإما للسير أو للطبقات ، فالكتابة حسب هذا المنهج قوامها الأشخاص ، وأغنى بهم أشخاص الخلفاء أو الحكام ، بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين .

١ - التأريخ للدول : وجد فريق من مؤرخى العرب كان يؤثر الكتابة التاريخية على حسب الأسرات الحاكمة أو الدول أو العهود ، فنجد بعضهم يكتب فى تأريخ الدول والأمراء الحاكمة مثل أبو حنيفة الدينورى فى « أخبار الطوال » ، وأبو شامة فى « الروضتين فى أخبار الدولتين » ، وابن واصل فى « مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ، وأبو بكر الصدى فى « الأنوار الجلية فى أخبار الدولة المرابطية » ، ولسان الدين بن الخطيب فى « الملححة البدرية فى الدولة النصرانية » ، وأبو

الوليد إسماعيل بن الآخر في «روضة النسر» في دولة بني مرين ، وابن خلدون في كتابه الكبير ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر .

كذلك نجد بعضهم يكتب في تاريخ الخلفاء والملوك والسلاطين مثل : البلوى في سيرته لأحمد بن طولون ، وابن الداية في سيرة أحمد بن طولون ، وابن زويلاق في سيرة الأخشيدي ، والصولي في أخبار الرازي والمتقي بالله ، وابن شداد في سيرة صلاح الدين ، والبيذق في أخبار المهدي بن تومرت ، ومحيي الدين بن عبد الظاهر في «تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور» ، وبدل الدين العيني في «الروض الزاهر في سيرة الملوك الظاهرة» (طبري) ، «والسيف المهند في سيرة الملك المؤيد» ، والسيوطي في «تاريخ الخلفاء» ، والمقرئزي في «دلائل الخلفاء بذكر الأئمة الخلفاء» .

ويتميز هذا النظام في الكتابة التاريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية والإدارية ، الذي كان مظهراً من مظاهر أثر التاريخ القومي الفارسي في مؤرخي العرب القدامى ، فلقد كان التاريخ الفارسي يطبق طريقة تقسيم المادة التاريخية حسب عهود الحكام ، وكان مؤرخو الفرس يرون أن أخلاق الحكام والإدارة السياسية في هذه أهم عناصر التاريخ ، ولذلك يمكننا إرجاع منهج الكتابة التاريخية على حسب تاريخ الدول إلى أصول فارسية (١) .

ومن أقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا في الدول وفي العهود : أحمد بن أبي يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي (٢٨٤ هـ) ، وكان معاصراً للطبري ، وكان

(١) روزنثال ، ص ١٢٩ — سيدة كاشف ، ص ١٠٠ .

اليعقوبي مؤرخا ورحالة (١) في آن واحد ، وكتابه في التاريخ يتألف من جزئين :
الأول : في التاريخ القديم ، عبر فيه عن فكرة التاريخ العالمي في العصر
السابق على الاسلام وفي التاريخ الاسلامي حتى سنة ٢٥٩ هـ ، متبعا في كتابته
التسلسل التاريخي للاحداث ، ويبدأ في هذا الجزء بالخليقة وتاريخ الانبياء وتاريخ
الفرس القديم ، وتاريخ العرب في الجاهلية ، وتاريخ البابليين والآشوريين
والهنود واليونان والروم وتاريخ المصريين والبربر والاحباش والزوج والترك
والصينيين (٢) . والاثر الجغرافي واضح في كتابته عن هذه الشعوب بحكم كونه
رحالة ومؤرخا في آن واحد .

والثاني : أفرد للتاريخ الاسلامي ، ربه حسب الخلفاء مع مراعاة تسلسل
الاحداث على السنين فبدأه بولد الرسول ومغازيه حتى وفاته ، ثم تتبع تاريخ الخلفاء
حتى المعتمد العباسي .

وقد تأثر المسعودي (٣٤٦ هـ) في كتابته بكتابة اليعقوبي ، فقد جمع الحوادث
التاريخية تحت رؤوس موضوعات تتعلق بالشعوب أو الاسرات والدول
والحكام ، وكتابه مروج الذهب شأنه في ذلك شأن تاريخ اليعقوبي يجمع بين
التاريخ حسب الموضوعات المختلفة كتاريخ الهنود والفرس والروم واليهود
والصينيين والعرب والأتراك في العصور القديمة ، وبين التاريخ حسب الدول
والحكام .

وكان معظم مؤرخي العرب الذين اتبعوا هذا المنهج في الكتابة التاريخية أمثال

(١) ينجل ذلك كتابه « البلدان » الذي اشره دي غوبه مع كتاب « الأعلام »

لابن رسته ، في الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ١٨٩٢ .

(٢) الدوري ، نشأة علم التاريخ عند العرب ، ص ١٠

ابن عذارى المراكشي في البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، وابن قتيبة الدينوري في كتاب المعارف، واليعقوبي في تاريخه المرسوم باسمه، يضيفون قبل المضي في دراستهم لشخصية الحاكم أو الخليفة موضوع الدراسة، الصفات الخلقية والمعنوية له، ويذكرون أيضا صفاته الجسمانية، وأحيانا يوردون قوائم بأسماء أولاده ونسائه وموظفيه، وبعضهم يضيف إلى ذلك قوائم بأسماء القضاة والوزراء والكتاب والعلماء والشعراء المعاصرين لهذا الحاكم. فابن عذارى عندما يكتب عن قيام دولة بني أمية في الأندلس وإمارة عبد الرحمن بن معاوية يحدثنا عن نسبه وكنيته، ويذكر اسم أمه، وتاريخ مولده والبلدة التي ولد فيها، وتاريخ وفاته وتاريخ مبايعته بالامارة، ويذكر أسماء وزرائه وعددهم وأسماء حجابيه وقضاته، ويصفه ثم يذكر عدد أولاده (١). وابن قتيبة عندما يترجم للصحابية، يهتم بذكر أنسابهم وصفاتهم ويحصى عدد أولادهم ويذكر أسماءهم كما يذكر أسماء مواليتهم (٢). ومن أوائل المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن الدول والعهود، ابن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٠ هـ)، وكتابه المعارف مثل من أمثلة الكتابة التاريخية العالمية. يبدأ فيه بيده الخليفة وينتهي بأيام المعتصم، أما كتابه «الأخبار الطوال» فهو مثل آخر من أمثلة التاريخ العام العالمي، وقد عالج في القسم السابق على الإسلام تاريخ الفرس والروم والعرب.

(١) ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار المغرب، ج ٢، أخبار الأندلس، بيروت

١٩٥٠، ص ٧١

(٢) ابن قتيبة، المعارف، القاهرة ١٣٠٠ هـ: راجع ترجمة الزبير بن العوام، ص ٧٤ وما يليها

وترجمة طلحة بن عبيد الله، ص ٧٧، وترجمة عبد الرحمن بن عوف، ص ٨٠، وترجمة سعد بن أبي وقاص، ص ٨٢، وترجمة سعيد بن زيد، ص ٨٣... إلى آخره.

٢ — التأريخ حسب الطبقات : التأريخ حسب الطبقات إسلامي أصيل ، لم تكن له علاقة في الأصل بطريقة التأريخ حسب السنين ، لأن تقسيم الطبقات جاء نتيجة طبيعية لفكرة صحابة رسول الله ، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث ارتباطاً وثيقاً ، كما ارتبط بالعلوم الدينية . فطبقات ابن سعد ، لاتعدو ان تكون تراجم لشخصيات محدثة هامة . وطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ، وطبقات الصوفية للسلمي ، وطبقات الخنابلة لابن يعلى ، والطبقات الكبرى للشمراني ، تراجم لشخصيات فقهية .

ثم استخدمت الكتابة في الطبقات في ميادين غير دينية مثل : طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، وطبقات الشعراء لابن المعتز ، وطبقات النحويين للزبيرى ، وغير ذلك من الطبقات التي سنوردها عند دراستنا لكتب الطبقات في المصادر .

٣ — التأريخ حسب الانساب : أصبح للقرشيين وللعنانيين ولأبناء الصحابة الأولين مكانة كبيرة في الاسلام ، فظهروا في صورة ارسنقراطية عربية في الاسلام ، وساعد ذلك على الاهتمام بدراسة الانساب ، وخاصة بنسب قريش ، فظهر من النسابين فريق اهتم باحصاء فضائل قريش ، وذكر مزايدهم وما آثرهم ، وأقدمهم مصعب الزبيرى (ت ٢٢٣) الذى صنف كتابين : احدهما بعنوان « النسب الكبير » ، والثانى بعنوان « نسب قريش » ، وصلنا منهما الكتاب الثانى (١) ، وبليه في طبقات النسابة لقريش الزبير بن بكار (ت ٢٥٩) وهو من نسل عبدالله ابن الزبير ، وقد صنف فى الانساب كتاباً بعنوان « نسب القرشيين » ، فى مجلدين ،

(١) المصعب بن عبدالله الزبيرى ، نسب قريش ، تحقيق ابى بروفنساله ، القاهرة ١٩٥٣

سم البلاذرى (ت ٢٧٩) الذى ألف كتاباً بعنوان «أنساب الأشراف» وهو كتاب عنى فيه بدراسة نبلاء العرب أى الخلفاء منهم ومن كان يفرض له فى بيت المال ألف درهم أو ألفان وخمسمائة (١)، خص فيه نسب قريش باهتمام بالغ فلا ينتهى من نسب قريش إلا فى المجلد العاشر من مجموع مجلداته وعددها ١٢ مجلداً .

ولقد وجدت الكتابه فى الأنساب فى المغرب الاسلامى والاندلس ارضاً خصبه ، وكان علم الأنساب يشغل فى بلاد الاندلس مكانة عظمى ربما فاقت مكانة بقيه العلوم الاسلاميه ، فألف فيه عدد من المؤرخين نخص بالذكر منهم : عبد الملك بن حبيب، واحمد الرازى ، ومحمد بن حزم القرطبي وابن عبد البر، ويرجع السبب فى العناية بالأنساب فى المغرب والاندلس إلى قلة عدد العرب الصريحى النسب فى الاندلس ، بعد ان تعقد المجتمع الاندلسى ، واصبح يتكون من اخلاط بشرية غير منظمة ، مما ترتب عليه قيام طوائف جنسية مختلفة تقوم على العنصرية الجنسية او العصبية . كالعرب والبربر والمولدين ، وقد اوجد ذلك مادة خصبة لعلم الأنساب (٢) .

(١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ ،

ج ١ ص ٢٢ من المقدمة .

(٢) ابن حزم ، جبهة أنساب العرب ، تحقيق ليفى بروفسال ، القاهرة ، ١٩٤٨ ،

ص ٩ من المقدمة

(٢)

تنوع صور المادة التاريخية

١ - التاريخ العالمى :

أشرنا فيما سبق إلى أنه ظهرت منذ أواخر القرن الثالث الهجرى ثلاثة أنواع من كتب التاريخ العالمى، سبقها كتاب الأخبار الطوال لأبى حنيفة الدينورى، الذى يبدأ من آدم عليه السلام، ويستعرض فيه تاريخ عرب الجاهلية والفرس، ثم تاريخ صدر الإسلام، دون التعرض لسيرة النبى صلى الله عليه وسلم، وينتهى بنهاية ملك يزدجرد. ونلاحظ فى هذا الكتاب اهتماما خاصا بتاريخ الفرس.

أما النوع الأول: فيتمثل فى تاريخ اليعقوبى، وقد سبق أن تحدثنا عنه، والجزء الأول من كتابه يتضمن موضوعات متعددة ابتدأ فيها بقصة التوراة. ثم وصف الأناجيل الأربعة واستعرض التاريخ الجاهلى، ولكنه اضطر إلى التعرض لموضوعات ثقافية عامة عندما لم يجد مادة فى التاريخ السياسى، فأخذ يحدثنا عن الإغريق والهنود والعرب وعن بعض الموضوعات العامة، مثل كتب أرسطو وأبقراط والشعراء الجاهليين.

والنوع الثانى: من كتب التاريخ العالمى فى القرن الرابع الهجرى يمثل كتاب «تاريخ الرسل والملوك» لابن جرير الطبرى، وهو أهم بكثير من تاريخ اليعقوبى، إذ جمع فيه الطبرى بين تفصيل المتكلمين، وتدقيق الفقهاء، وتبصر السياسة فى الأمور، الأمر الذى رفع من قيمة الكتاب، وجعله من أهم المصادر فى التاريخ العام أو العالمى، وأنموذجا للصورة التى ينبغى أن يكتب بها التاريخ، ويقتصر القسم السابق

على العصر الإسلامى من تاريخه على مجموعة من الأخبار عن الاسرائيليات ، وتاريخ العرب ، وتاريخ الفرس . أما حديثه عن سيرة النبى فقد اتبع فيه نهج كتاب السيرة والمغازى مع تتبع الأحداث التى مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ الهجرة النبوية ، وفقا لترتيبها الزمنى ، والاهتمام فى آن واحد بذكر سلسلة الإسناد فى الروايات المختلفة . وقد طبق الطبرى منهج الكتابة الحولية ، واهتم فى الوقت ذاته ، بإيراد تراجم للخلفاء فى سنى وفاتهم (١) .

والنوع الثالث : يمثل كتابا ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، و التنبية والإشراف ، للسعودى (ت ٢٤٦ هـ) . والكتاب الأول موسوعة تجمع فى مادتها بين الدراسة التاريخية والجغرافية ، ولم يقتصر السعودى فى هذا الكتاب على دراسة الموضوعات المألوفة عند المؤرخين الذين سبقوه أو عاصروه ، وإنما وإنما انتقل إلى ذكر قصة خلق العالم ، ووصف طبيعة الأرض ، ودراسة الشعوب الأعجمية التى عرفها المسلمون (٢) ، وبحث فى تاريخ العرب فى الجاهلية ، مؤكدا على العناصر الحضارية فى تاريخهم ، ثم كتب بإيجاز فى السيرة النبوية ، واهتم بالأحداث التى كان لها اتصال مباشر بعلى بن أبى طالب اهتماما خاصا ، ثم بحث فى تاريخ الخلفاء متتبعا لترتيب الزمنى . أما الكتاب الثانى فقد ضمنه آراءه فى فلسفة التاريخ والكوز (٣) ، واهتم بوجه خاص بوصف البلدان المختلفة بما يجعلنا نعتبر السعودى أدق من اليعقوبى فى تأكيد المعنى العالمى للتاريخ (٤) .

وقد اكتفى كل من اليعقوبى والسعودى بذكر قائمة بأسماء الأخباريين الذين

(١) روزتال ، ص ١٨٦ ، ١٨٧

(٢) نفس المرجع ، ١٨٨

(٣) سيرة كاشف ، ص ٣٦

(٤) روزتال ، ص ١٨٧

أفادا منهم في كتابتهما ، ولذلك حذفنا الاسانيد من رواياتهما بخلاف الطبرى ،
الذى كان يبذل كل ما استطاع من جهد في العناية بتسلسل السند في الروايات
المختلفة .

هؤلاء المؤرخون الثلاثة يمثلون مؤرخى العرب في كتابة التاريخ العالمى في
القرنين الثالث والرابع الهجرى . ولكن كتب هؤلاء المؤرخين ليست الكتب
الوحيدة في هذا المجال ، فهناك كتب أخرى لمؤرخين مسلمين ونصارى وقليل منهم
يهود ، حذت هذا الحذو ، ولكنها لم تبلغ في تطبيق الصورة العالمية مبلغها ، ومستعرض
أمثلة من هذه الكتب فيما يلى وفقا للترتيب الزمنى :

١ — حمزة بن الحسن الأصفهاني (ت قبل سنة ٣٦٠ هـ) : كتاب تاريخ سنى
ملوك الأرض والأنبياء ، ويتضمن عشرة أبواب ، قام فيها بدراسة تاريخ الفرس
وطبقات ملوكهم ، وتاريخ ملوك الروم ، وتاريخ اليونان ، وتاريخ القبط ، وتاريخ
ملوك الحيرة ، وتاريخ ملوك غسان ، وتاريخ ملوك كندة ، ثم تاريخ قريش .
واهتم المؤرخ بتاريخ خراسان وطبرستان ، فأفرد لولاية خراسان الفصل التاسع
من الباب العاشر ، وأفرد لولاية طبرستان الفصل العاشر من الباب نفسه (١) .

٢ — أغايوس (الملقب بحبوب بن قسطنطين الرومى المنبجى) : كتاب
العنوان (٢) ، بحث فيه جغرافية العالم وتاريخ بنى إسرائيل واليونان والروم ، كما
تعرض لتاريخ العرب ، وقد أفاد أغايوس كثيرا من الأخبار الواردة في
الحوليات البيزنطية .

(٣) حمزة الأصفهاني ، تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ، برلين ١٣٤٠ هـ .

(٤) تحقيق نازى باييف ، جزآن ، باريس ١٩٠٩ .

٤ - سعيد بن بطريق (المعروف بيوتيوخوس ت ٥٢٢٨) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (١) ، وهو تاريخ طويل مكتوب بالعربية ، بدأ فيه المؤلف من عهد آدم حتى سنى الهجرة متبعا لطريقة التاريخ الحولى . والكتاب يتضمن عرضا رائعا لتواريخ ما قبل الإسلام من وجهة نظر المؤلف المسيحية ، مثل بنى اسرائيل ، والإغريق ، والرومان ، والنصارى ، والروم ، والفرس . وينعكس اهتمامه بالمسائل الدينية فى مناقشته للبانوية والنساطرة ، وإشاراته إلى الأحداث الهامة فى تاريخ الكنيسة .

وقد أكل يحيى بن سعيد الأنطاكي (ت ٤٥٨ هـ) هذا الكتاب بعد أن مضى ما يقرب من قرن على تأليفه ، ووضع له العنوان التالى : وصلة كتاب سعيد بن بطريق ، (٢) ، واتبع فيه منهجه التاريخى ، وإن كان يبدو من كتابته أكثر وعيا من سعيد بن بطريق فى تفهم التاريخ العام العالمى .

٤ - الأب جريجوريوس (أبو الفرج بن هرون الملقب) المعروف بابن العبري (ت ٦٨٥ هـ) : تاريخ مختصر الدول ، (٣) ، وهو كتاب مصنف بالعربية ، تعرض فيه ابن العبري لأحداث الدولة العربية ، وتحدث عن السيرة النبوية ، وعن الخلفاء الراشدين ، مستخدما طريقة الحوليات عند تعرضه لبعض الأحداث ، وقد استقى ابن العبري مادته من مصادر سريانية وعربية ، وروى حوادث عصره ، خاصة الغزو المغولى ، كما شاهدها وعانها . واهتم ابن العبري بالترجمة لكبار النصارى من العلماء والأطباء .

(١) طبعة بيروت ، فى جزأين ١٩٠٥ - ١٩٠٩

(٢) لفره الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٠٩

(٣) طبعة بيروت ، تحقيق الأب أنطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ١٨٩٠

٥ — مقتطفات من تاريخ سعديا الجاعوني اليهودي (القرن الرابع الهجري) ،
واردة في مجهول أ كسفورد ، المؤلف في القرن السادس الهجري . يهتم المؤلف
بجهول الاسم بالأحداث التي لها أهمية في اعتباره بالنسبة للقضايا اليهودية ، ومعظم
صفحات الكتاب خصصها لتاريخ الفترة الواقعة ما بين بدء الخليقة ونهاية الحياة
السياسية اليهودية . أما الأخبار الخاصة باليونان والرومان والفرس والعرب
فمقتضبة (١) .

٦ — مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد ، ت ٤٢١ هـ) : كتاب « تجارب الأمم » ، (٢)
كان مسكويه أميناً لمكتبة ركن الدولة الفضل بن العميد ، ثم دخل في خدمة عضد
الدولة بن بويه ، كما كان متمكناً من اللغة الفارسية (٣) ، ولذلك اتسمت كتابته
بتغلب النزعة الفارسية . وكتاب تجارب الأمم يعتبر من أكثر المصادر ثقة ، إذ
اتخذ فيه مسكويه من أحداث التاريخ وتجارب الأمم أمثلة ومواعظ ، ويدير في
كتابته عن خبرة بشؤون السياسة ، وإدراك كامل وتفهم شامل للتاريخ ، وهو
لذلك يقتصر على السياسيات التي يمكن لأهل زمانه أن يفيدوا من تجاربها ، فيتجنب
الخوض في تاريخ الأنبياء ، ولا يتعرض للتاريخ الديني لدولة الرسول في المدينة ،
ولأنما يكتفي بعرض موجز سريع للجانب السياسي ، ولا يهتم إلا بما كان تدبيراً بشرياً
لا يقترن بالاعجاز ، ويبدأ مسكويه كتابه بدراسة لتاريخ ملوك فارس ، ثم يتطرق
في معرض حديثه عنهم إلى ذكر ملاحظات عرضية عن البابليين والإغريق والنصارى

(١) روزتال ، ص ١٩٢ .

(٢) مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) تحقيق آمل روز ، القاهرة ١٩١٤ — ١٩١٥

(٣) سيدة كاشف ، ص ٢٦

والروم والعرب قبل الإسلام ، ولا يتبع مسكويه في القسم الاسلامي من كتابه المنهج الحولى في السنين الاولى من الإسلام ، ولكنه يتبع هذا المنهج بعد ذلك ، ويعتمد مسكويه على الطبرى اعتمادا كلياً في الحوادث التي لم يدركها ، وذلك بعد بعد أن حذف من تاريخ الطبرى سلسلة الاسناد ، واختصر الرواية (١) .

٧ — الثعالبي ، (ت ٢٩٤ هـ) كتاب الغرر في سير الملوك وأخبارهم (٢) .
لم تبق من الغرر إلا أجزاء متفرقة تكفى في حد ذاتها للحكم بأنه لم يبلغ في الاحساس والتبصر التاريخي مبلغ مسكويه . ولقد اعتمد الثعالبي في القسم الاسلامي (حتى عصر الدولة العباسية) اعتماداً خاصاً على الطبرى ، وانبع في هذا القسم منهج التاريخ حسب عهود الخلفاء (٣) .

٨ — ابن الجوزى (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، ت ٥٩٨ هـ) : كتاب شذور العقود ، وقد لخص فيه ابن الجوزى كتابه المنتظم ، واهتم في القسم السابق على الإسلام بتصوير جغرافية العالم ، وتعرض في هذا القسم لتاريخ بني اسرائيل حتى زمن المسيح ، ثم لتاريخ ملوك الفرس وغيرهم من الشعوب الاعجمية . ويستعرض ابن الجوزى حوادث التاريخ الاسلامي بايجاز متبعاً منهج التاريخ الحر ، إلى أن يتطرق إلى الحديث عن الاسماعيلية والقرامطة . ويهتم المؤلف بأخبار الوفيات من كبار الشخصيات ، ويذكر بعض الحوادث

(١) روزنثال ، ص ١٩٦ — سيدة كاشف ، ص ٣٦

(٢) الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم ، لفره مع الترجمة الفرنسية زوتنبرج Zotenberg ، باريس ١٨٠٠ .

(٣) روزنثال ، ص ١٩٧

الثافة التي يتوهم أنها خطيرة ، كالولادات الشاذة ، والزلازل ، والأوبئة ، والمجاعات ، والحرائق ، وموجات البرد الشديد ، وظاهرة تزوج امرأة رجلين ، وغير ذلك من الحوادث الشاذة .

٩ — سبط ابن الجوزي (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزوغلي ، ت ٦٥٤هـ) : كتاب مرآة الزمان (١) . هو تاريخ عام ، قدم المؤلف في القسم الخاص بعصر ما قبل الإسلام من المعلومات والأخبار التاريخية ما يفوق في الكثرة ما قدمه ابن الجوزي الجدد ، ويتجلى في كتابته غزارة العلم والدقة والتحري .

١٠ — ابن الأثير (ت ٦٢٠هـ) ، الكامل في التاريخ .

هو أحسن ما صنف من كتب التاريخ العالمي الإسلامي على نسق الحوليات ، ولقد حرص ابن الأثير في كتابته على حفظ التوازن بين أجزاء تاريخه المختلفة كما بذل جهدا كبيرا في مراعاة التوازن بين الأحداث في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وعندما يقترب من عصره يحاول تفصيل الأحداث التاريخية دون أن يخل بنسبة المادة التي يوردها . ومن حيث المنهج ، نلاحظ أنه طبق منهج الكتابة على حسب السنين مع عدم الإخلال برواية الحادثة الواحدة التي جاءت مقطعة في سنة واحدة ، كما أنه وضع الأخبار الثانوية تحت عنوان ذكر عدة حوادث . . ويمتاز كتابه الكامل بميزات منها : التمهيد للخبر بمقدمة مختصرة تذكر القارىء بما كان قد رواه منه قبل ذلك ، فيتيح للقارىء بذلك أن يربط بين أجزاء الخبر ، ومنها تلخيص الخبر أولا ، ثم روايته مفصلا بعد ذلك ، بالإضافة إلى قيامه بتنبيه القارىء إذا كان للخبر بقية أو بانقضاء حادث هام كسقوط دولة ،

ومن مميزات كتابه الكامل أنه يخلو من الاسانيد التي تعرقل متابعة القارىء للمادة التاريخية (١) .

* * *

ثم ظهرت منذ القرن السابع الهجرى مجموعة من الكتب العامة سيطر في كتابتها الاهتمام الدينى ، فاهتم المؤلفون فيها بالسيرة النبوية اهتماما كبيرا ، وبدءوا تواريخهم بالسنة الاولى من الهجرة . ويعبر عن هذا الاتجاه : عماد الدين أبو الفداء اسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ) في « البداية والنهاية » (٢) ، والفقيه ابن أبي الدم (أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم) في تاريخ الإسلام ، يبدأ بحياة الرسول ، والكنبى (ت ٧٦٨ هـ) في عيون الاخبار .

ثم فقد التاريخ العام العالمى قدرته على تصوير العالم تصويراً شاملاً ، بعد أن أثر المؤرخون في القرن الثامن الهجرى التراجع ، ويمثل هؤلاء المؤرخين : الذهبى في كتابه « تاريخ الإسلام » ، والسخاوى في « التبر المسبوك » .

ب - التاريخ المحلى :

هذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية ، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه ، واعتزازه بوطنه ، وإن كان عدد كبير من كتب التاريخ الإسلامى المحلى صنف من أجل اعتبارات دينية . وقد عبر كل من السلاوى وابن الربيع القيروانى عن ضرورة اهتمام المؤرخ بالكتابة عن إقليمه وأرضه قبل أى اعتبار

(١) عبد القادر أحمد طليبات ، المؤرخ ابن الأثير ، ص ٥٣ — ٦٣

(٢) طبعة مصر ١٣٥٨ هـ

آخر ، فيذكر المؤرخ أبو علي الحسين السلمي (ت ٣٧٤ هـ) في كتابه أخبار
ولاية خراسان ، أن الواجب على صاحب المعرفة من أهلها أن يعلم جمل أبنائها ،
ويحفظ أيام أمراتها ، لأشياء أزرى عليه من أن يجمل أخبار أرضه ، ولعله يتطلب
أخبار غيرها ، ويكون كمن ترك الواجب وتبع النوافل ، (١) كذلك
يعيب أبو علي الحسن بن محمد بن الربيع (٢) التميمي القيرواني على مؤرخي
الاندلس تقصيرهم في الكتابة عن بلدهم ، وذلك في رسالة وجهها إلى ابن حزم القرطبي
قال فيها : و ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفریط من أجل أن علماء
الأمصار ، دونوا فضائل أمصارهم ، وخلدوا في الكتب مآثر بلدانهم ، وأخبار
الملوك والأمراء ، والكتاب والوزراء ، والقضاة والعلماء ، فأبقوا لهم ذكرا في
الغابرين ، يتجدد على مر الليالي والأيام ، ولسان صدق في الآخرين يتأكد مع
تصرف الأعوام . وعلاقواكم مع استظهارهم على العلوم ، كل امرئ منهم قائم
في ظله لا يبرح ، وراتب على كعبه لا يتزحزح ، يخاف إن صنف أن يعنف ،
وإن ألف أن يخاف ولا يؤالف ، أو تخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان
سحيق ، لم يتعب أحد منهم نفسا في جمع فضائل أهل بلده ، ولم يستعمل خاطره
في مفاخر ملوكه ، ولا بل قلوبا بمناقب كتابه ووزرائه ، ولا سودا قرطاسا بمحاسن
قضاته وعلمائه ، (٣) . فرد عليه الوزير الحافظ أبو محمد علي بن حزم مدافعا عن

(١) السخاوي ، الاعلان بالتوبيخ ، نس وارد في كتاب علم التاريخ عند المسلمين

لروزنتال ، ص ٤٤٣

(٢) ورد الاسم في المقرئ مختلفا ، فقد ذكر المقرئ أنه أبو علي الحسن بن محمد بن أحمد

بن الربيع التميمي القيرواني

(٣) المقرئ ، نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد

القاهرة ١٩٤٩ ، الجزء الرابع ص ١٥٢ ، ١٥٣

مؤرخى الأندلس ، مشيدا بذكر أبحاثهم ومصنفاتهم . فقال : ... فإذا فيه خطاب لبعض الكتاب من مصافيننا في الدار أهل أفريقية ، ثم من ضمنته حاضرة قيروانهم ، إلى رجل أندلسي لم يعينه بإسمه ، ولا ذكره بنسبه ، يذكر له فيها أن علماء بلدنا الأندلس — وإن كانوا على الذروة العليا من التمكن بأفانين العلوم ، وفي الغاية القصوى من التحكم على وجوه المعارف — فإن همهم قد قصرت عن تخليد مآثر بلدهم ، ومكارم ملوكهم ، وحاسن نقبائهم ، ومناقب قضائهم ، ومفاخر كتابهم ، وفضائل علمائهم ، ثم تعدى ذلك إلى أن أخلى أرباب العلوم منا من أن يكون لهم تأليف يحيى ذكرهم ، ويثبث علمهم ... فأما مآثر بلدنا فقد ألف في ذلك أحمد بن محمد الرازي التاريخي كتابا جمه : منها كتاب ضخيم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها ، وأمهاات مدنها وأجنادها الستة ، وخواص كل بلد منها ، وما فيه مما ليس في غيره ، وهو كتاب مريح مليح ، وأنا أقول : لو لم يكن لأندلسنا إلا ما رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر به ووصف أسلافنا المجاهدين فيه بصفات الملوك على الأسرة في الحديث الذي روينا به من طريق أبي حمزة أنس بن مالك أن خاله أم حرام بنت ملحان ، زوج أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعنهم أجمعين ، حدثته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أخبرها بذلك ، لكفى شرفا بذلك يسر عاجله ، ويغبط آجله ... (١) .

ويمكننا أن نميز في الكتابة في التاريخ المحلي تيارين واضحين المعالم ولكنهما متصلين ، أحدهما تيار ديني ، والثاني ديني .

(٢) نفس المصدر ، ص ١٥٤ — ١٥٦

وقد تجاوز كل من روزنثال والدكتور صالح أحمد العلي الصواب في نسبة أقوال ابن الريب القيرواني إلى ابن حزم ، مع أن ابن حزم هو القدي دافع عن مؤرخى الأندلس ، وذكر أمثلة متعددة لمؤلفاتهم عن الأندلس .

١- التاريخ المحلي الديني :

وترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلي الديني الإسلامية الى العراق ، مما يبعدها عن الأمثلة المسيحية الموجودة في سوريا (١) . وأقدم ما ألف في تاريخ العراق كتابان أحدهما عن تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر طيفور (ت ٢٨٨ هـ) ابنه عبدالله ، والثاني عن تاريخ الموصل لأبي زكريا يزيد بن محمد بن إياس الأزدي (ت ٣٣٤ هـ) ، وقد بقيت من هذين الكتابين في القرنين الثالث والرابع الهجري أقسام كبيرة . وكتاب أخبار بغداد ، لابن أبي طاهر كان يشتمل على فصل خاص بخط بغداد (٢) .

وقد أشار إلى ذلك الوزير أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، عندما تعرض لذكر شيوخ مؤرخي الأندلس وعلى رأسهم أحمد بن محمد بن موسى الرازي الذي ألف كتاباً ، في صفه قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، على نحو ما بدأ به ابن أبي طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبي جعفر المنصور بها (٣) . أما أبو زكريا الأزدي ، فعن اهتمامه بالترجمة لمحدثي الموصل ، فإن القطعة الباقية من هذا الكتاب ، تتضمن دراسة تاريخية على المنهج الحولي ، عن فيها المؤلف بالموصل فيما بين سنتي ١٠١ ، ١٢٤ هـ .

وذكر ابن حزم أربع كتب عن خطط البصرة وقطائعها وذكر أسواقها

(١) كان التاريخ المحلي معروفاً في سورية قبل الفتوحات العربية ، ولكن هذه الكتب لم تكن في رأي روزنثال من القدم بحيث تؤثر في التاريخ المحلي الاسلامي (راجع روزنثال ص ٢٠٩)

(٢) تحفة منسكركر ، باسل ، ١٩٠٨

(٣) المقرئ ، ج ١ ص ١٦٦

ومحالتها وشوارعها ، أحدهما من تأليف عمر بن شبة (ت ٥٢٦٢هـ) ، والثاني من تأليف رجل من ولد الربيع بن زياد المنسوب إلى أبي سفيان ، والثالث والرابع لرجلين من أهل البصرة (١) ، وتوجد في كتاب معجم البلدان لياقوت عدة تطافات من كتاب عمر بن شبة ، اقتبسها ياقوت (٢) . كذلك ذكر ابن حزم كتابا عن الكوفة لعمر بن شبة (٣) .

أما عن الموصل فينسب إلى سعيد ومحمد بن هاشم الخالدين كتاب كان يشبه في موضوعاته وترتيب أبوابه تاريخ أبي زكريا ، اقتبس منه ابن العديم الحلبي كثيراً من مادته في «بغية الطلب في تاريخ حلب» ، كما ينسب إلى ابن الأثير المؤرخ كتاب غير كامل عن تاريخ الموصل ، عنوانه : «التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية» (٤) .

أما فيما يختص بكتب التاريخ عن مصر . فإن أقدم ما وصلنا عنها يعبر في مادته عن شعور التفاخر بماضيها وبتراثها القديم بخلاف الأسر فيما يختص بكتب التاريخ عن العراق ، فتاريخ مصر وفضائلها لأبي محمد الحسن بن زولاق (ت ٣٨٧هـ) ، الذي يهتم فيه بذكر أخبار مصر القديمة ، وكتاب محمد بن عبيد الله بن أحمد المسبحي (ت ٤٢٠هـ) الذي ذيل له محمد بن علي بن يوسف بن ميسر (ت ٦٧٧هـ) في كتاب عن تاريخ مصر ، أمثلة من كتب التاريخ المحلي عن مصر بوجه عام . واختصت الاسكندرية ، بوجه خاص ، بعناية بعض المؤرخين المصريين الذين اهتموا بإحصاء فضائلها وما تمتاز به دون غيرها من مدن مصر ، ومن بين المصنفات عن الاسكندرية كتاب بعنوان : «رسالة في فضائل الاسكندرية» ، لمؤلف مجهول اشتملت على فتح الاسكندرية وفضل المراقبة فيها وأسوارها ومساجدها ، وكتاب بعنوان «الدرة

(١) نفس المرجع ، ج ٤ ص ١٦٠ .

(٢) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ، من كتاب روزنتال ، ص ٦٢١ .

(٣) المقرئ ، ج ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

(٤) تحقيق الأستاذ عبد القادر طليمات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .

السنية في تاريخ الاسكندرية ، منصور بن سليم السكندري (ت ٦٧٤ هـ) ، وكتاب بعنوان « فضائل الاسكندرية » ، لابي علي الحسين بن عمر بن الحسن الصباغ (١) ، وكتاب بعنوان « الإلمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية » ، (٢) ، لمحمد بن قاسم بن محمد التويري السكندري ، وقد ضمن المؤلف دراسته عن وقعة القبارصة في سنة ٧٦٧ دراسة تمهيدية عن الاسكندرية منذ إنشائها .

ثم تطورت الكتابات انجليزية عن مصر منذ القرن التاسع الهجري . فظهرت كتب هامة وردت فيها أخبار تتعلق بالتخطيط والعمران والآثار ، أعظمها على الإطلاق كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » للؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقرئ ، قدم له المؤلف بدراسة جغرافية تاريخية مسهبة تناول فيها المدن المصرية والآثار الفرعونية والاسلامية ، مبتدئا بالاسكندرية مع الاهتمام بخطط الفسطاط والقاهرة (٣) . ومن هذه الكتب أيضا كتاب « الدر المنظوم فيها ورد في مصر من موجود ومعدوم » ، لعل بن داود الجوهري (ت ٨٩٠٠ هـ) ، وكتاب « حسن المحاضرة بأخبار مصر والقاهرة » ، لجلال الدين عبد الرحمن بن

(١) حسن عبد الوهاب ، الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة الكتاب ، يناير

١٩٤٧ ، ص ٣٧٩

(٢) مخطوطة رقم ١٤٤٩ ومخطوطة رقم ٤١٩٣ بدار الكتب المصرية (راجع كتابي

تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦١ ملحق رقم و ، ص ١٩٦ ، وملحق رقم ز ، ص ١٩٨ وما يليها — وكتابي طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٧ ، ملحق رقم ١ ص ٤٥٩ — ٤٧١)

(٣) محمد مصطفى زيادة ، المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، القاهرة ،

١٩٥٤ ، ص ١٢

محمد السيوطي (ت ٩١١) وهو كتاب لتاريخ البلاد المصرية والقاهرة بوجه خاص، مع بعض فصول إضافية في النظم المملوكية وأسايلها وطبقات العلماء والصوفية في مصر (١) .

وفي الشام ظهرت أقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي منذ القرن السادس الهجري ، فابن القلانسي (أبو يعلى حمزة ، ت ٥٥٥ هـ) خصص تاريخه الحولى لمدينة دمشق وما يدور حولها من أخبار (٢) ، ثم ألفت في تاريخ مدن الشام ، وخاصة في تاريخ مدينة حلب مصنفات هامة نامظيسى ولابن المنلا ، ولكن أعظم ما كتب عن حلب ، ينسب إلى المؤرخ عمر بن أحمد بن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـ) ، الذى خصص كتابه « زبدة الحلب من تاريخ حلب » (٣) ، لدراسة التاريخ السياسى لهذه المدينة . ونلاحظ أن الحركة الصليبية أسهمت في تنشيط الدراسات التاريخية الاقليمية في الشام ، ويتجلى هذا فيما كتبه ابن شداد الحلبي صاحب كتاب «الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة » (٤) .

وهناك نوع من التاريخ المحلي السورى يجمع بين تاريخ الاسر الحاكمة ، وتاريخ المدن التى كانت تحكمها : مثل كتاب « تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين من بنى الغرب » لصالح بن يحيى (٥) .

(١) نفس المرجع ، ص ٦٤

(٢) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ١٩٠٨

(٣) كمال الدين أبو القاسم عمر بن العديم ، كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق

الدكتور سامى الدهان ، دمشق ١٩٥١

(٤) نشره الدكتور سامى الدهان ، المعهد القراسى بدمشق ، ١٩٦٢ (واجم روزتال

ص ٢١٥)

(٥) نشره الأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ١٨٩٨

أما فيما يختص باليمن ، فقد صنفت في تاريخها كتب محلية هامة منذ طليعة القرن الرابع الهجري ، امتزج فيها التأريخ بالدراسة العمرانية ، بالانساب . ومن كتب عن اليمن :

الهمداني (ت ٨٣٢٤) في كنايه الاكليل ، وصفة جزيرة العرب .

عمارة اليمنى (عمارة بن الحسن الحكني ت ٥٦٩ هـ) في كتابه المفيد في أخبار زبيد ، الذي أكمله ابن الديبع (ت ٩٤٤) بكتاب عنوانه ، كتاب بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد . وفي زبيد أيضا كتب جياش بن نجاح كتابا بعنوان ، تاريخ زبيد ، وهو تاريخ على اليمن قريب الشب . بكتاب الاكليل للهمداني (١) . ولا بن الديبع كتاب آخر في التاريخ السياسي لليمن ، جمع فيه تاريخ اليمن كله موضعها فضل اليمن وإسلامها وولاتها في العصرين الأموي والعباسي ، وتعرض لذكر القرامطة في اليمن ، واهتم بذكر دول صنعاء وعدن وزبيد (٢) .

وتتمثل الكتابة في التاريخ المحلي ذي الطابع الديوى في الأندلس والمغرب في كتب متعددة نخس بالذكر منها كتاب ألفه أحمد بن محمد بن موسى الرازي الملقب بالتاريخي (ت ٢٢٤) أحد ثلاثة يحملون اسم الرازي اشتغلوا جميعا بالكتابة التاريخية ، في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، على نحو ما كتبه ابن أبي طاهر في أخبار بغداد (٣) ، كما ألف كتابا في أخبار ملوك الأندلس ،

(١) روزثال ، ص ٢٨١

(٢) نفسه

(٣) المقرئ ، ج ٤ ص ١٦٦ — أنغل جنثال بالثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي ،

ترجمة الدكتور جيبين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١٩٦

بقيت منه ترجمة إسبانية لمقدمة هذا الكتاب عنوانها: « Cronica del Moro Rasis » ، نقلت عن ترجمة برتغالية وضعها القس خيل بيريس بأمر ملك البرتغال دون ديونيس (١٢٧٩ — ١٣٢٥ م) ، فأتى بمساعدة نفر من المغاربة يسمى أحدم ، المعلم محمد Maese Mobamad ، وقد كانت كتب الرازي ذات أثر كبير في التاريخ الإسباني الذي كتبه بدرو دل كرال (Pedro del Corral) (١) . وقد عثر في سنة ١٩٥٢ على الاصل الإسباني لمقدمة الرازي ، فنشر الاستاذ ليفي بروفنسال ترجمته إلى اللغة الفرنسية مع محاولة لاعادة جمع النص العربي (٢) من المقتطفات الواردة في نص فرحة الانس لابن غالب (٣) ، وازوض المعطار للحميري ، والمقتبس ، وغيرها من كتب التاريخ والجغرافية الاندلسية .

ومن كتب في تاريخ الاندلس أيضا من أسرة الرازي عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، فقد ألف كتابا منها : « تاريخ الاندلس » ، « وحجاب خلفاء الاندلس » (٤) . ويبدو أن هذا الكتاب الاخير كان تكملة لكتاب أحمد الرازي السابق الذكر .

(١) آنخل جنتا بالنتيا ، ص ١٩٨

(٢) Lévi-Provençal, La Description de l'Espagne d'Ahmad al Razi : Essai de reconstitution de l'original arabe et traduction Française, at Andalus, vol XVIII , Fasc. 1 , Madrid 1953, pp. 51-108 .

(٣) ابن غالب الاندلس (محمد بن أيوب) : قطعة من كتاب فرحة الانس في تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، مجلة المخطوطات العربية ، القاهرة ١٩٥٦ — لطفي عبد البديع ، الاسلام في أسبانيا ، ص ٦٩

(٤) آنخل جنتا بالنتيا ، ص ١٩٨

والإلى جانب كتب آل الرازي المؤرخين ، وجدت كتب أخرى متأخرة في تاريخ
الاندلس وفي أخبارها نخص بالذكر منها : كتاب « تاريخ افتتاح الاندلس » ،
لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي ، وكتاب « المقتبس في تاريخ
رجال الاندلس » ، لأعظم مؤرخي الاندلس أبي مروان حيان بن خلف بن حيان
(ت ٦٩٩ هـ) (١) . ومن الكتب التاريخية المحلية عن الاندلس كتاب : « تاريخ
المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين » لعبد الملك
ابن محمد بن أحمد بن محمد الباجي المعروف بابن صاحب الصلاة (ت في أواخر
المائة السادسة) ، نشره الأستاذ عبد الهادي التازي (٢) . ومنها كتاب « الحملة
السيرة » ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار (ت ٦٥٨ هـ)
نشرها الدكتور حسين مؤنس في جزأين (٣) ، وكتاب « البيان المغرب في ذكر
أخبار الاندلس والمغرب » ، لابن عذارى المراكشي (٤) ، وكتاب « أعمال
الاعلام » ، فيمن بويغ قبل الاحتلال ، من ملوك الاسلام ، للوزير الكاتب لسان
الدين بن الخطيب (٧٧٦ هـ) . وقد تولى المستشرق الأستاذ ليفي بروفنسال نشر
وتحقيق القسم الخاص بالاندلس (٥) ، وقام الأستاذان الدكتور أحمد مختار العبادي

(١) نشرت قطع من هذا الكتاب أولها قطعة من عهد الأمير عبد الله الأموي نشرها
الأب مفسور أنطونية ، باريس ١٩٣٧ ، ثم قطعة من هذا الكتاب موضوعها تاريخ لابن
الحسن من ٣٦٠ — ٣٦٤ من عهد الخليفة الأموي الحكم المستنصر ، نشرها الأستاذ عبد
الرحمن علي الحجى ، بيروت ١٩٦٥ . وأخيرا يقوم الزميل الدكتور محمود علي مكي بنشر قطعة
ثالثة من المقتبس تناول عصر الأمير عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد .

(٢) بيروت ، ١٩٦٤ .

(٣) القاهرة ١٩٦٣ .

(٤) تحقيق ليفي بروفنسال ، وطبعة بيروت ١٩٥٠ .

(٥) طبعة بيروت ١٩٥٦ .

ومحمد إبراهيم الكنتاني (١) بنشر وتحقيق القسم الخاص ببلاد المغرب من هذا الكتاب ، ولابن الخطيب كتب تاريخية أخرى عن الأندلس والمغرب ، عكف الزميل الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي على تحقيق بعضها ونشره (٢) .
ومن كتب في تاريخ المغرب في عصر الموحدين يحيى الدين عبد الواحد بن علي المراكشي (ت . في النصف الثاني من القرن السابع) (٣) ، وابن أبي زرع الفاسي (ت في منتصف القرن الثامن الهجري) (٤) .

ونلاحظ أنه تغلب على كتب المغرب والأندلس الناحية الدينية والتراجم ، فعظم ما كتب عنهما يتناول تاريخ فضاة وعلماء وفقهاء أهل المغرب والأندلس .
أما في فارس ، فقد تفوق التاريخ المحلي الديني ، باعتباره مظهرا من مظاهر القومية الفارسية التي تعرف بالشعوية ، وقد كان للحركة الشعبية أثرها في الدراسات التاريخية ، إذ سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب والاس عليهم ، فاهتموا بالتوسع في الثقافة الفارسية والتراث الفارسي ، فترجموا كتباً ذات طابع قومي مثل كتاب « خدائنامة » الذي ترجمه عبد الله بن المقفع (ت ١٤٤ هـ) عن البهلوية تحت عنوان « سير الملوك » (٥) . ومن الكتب التي ألفت في التاريخ

(١) طبع بالدار البيضاء ١٩٦٤ .

(٢) راجع : أحمد مختار العبادي ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة رسائله ، الاسكندرية ١٩٥٨ — ولنفس المحقق ، مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في المغرب ، مقال في مجلة « جرس » ١٩٥٩ عدد ٣ ، ٤ .

(٣) المعجب في تاريخ أخبار المغرب ، تحقيق الأستاذان محمد سعيد الريان ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩ .

(٤) كتاب الأنيس المطرب يروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق هورنبرج ، أبسانة ١٨٤٣ (في جزأين) .

(٥) « الميزان الدوري » ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

المجلد الديوى عن فارس كتاب « تاريخ أصفهان »، لمحة الأصفهاني (١)، و « تاريخ قم »، للحسن بن محمد القمي ، و « محاسن أصفهان »، للباقرى . وفي هذه الكتب مزج واضح بين المادة التاريخية والدراسة الطبوغرافية ، والظواهر الاقتصادية والثقافية (٢). ومن الكتب الفارسية المتأخرة ، « تاريخ طبرستان »، لابن اسفنديار، في القرن السابع الهجرى ، وكتاب « تاريخ طبرستان ومازندران »، لظهر اندين المرعى في القرن التاسع الهجرى .

وهناك بعض الكتب التاريخية التى يمكن أن تندرج فى التاريخ المجلد الديوى، وهى الكتب الخاصة بالفتوحات الإسلامية ، وإن كان أثر موضوعاتها محدودا . وتتناول هذه الكتب الممالك التى خاضعها العرب المسلمون فى الشام والعراق وفارس ومصر والمغرب والأندلس وأرمينية والجزيرة . ومن أقدم كتاب الفتوح محمد بن عمر الواقدي الذى تنسب إليه كتب فى فتوح الشام ومصر والفيوم وإفريقية (٣) . ومنهم أيضا على بن محمد المدائنى الذى كتب فى فتوح الشام وفتوح مصر والنوبة وبرقة والجزيرة وأرمينية والعراق والأبلة والاهواز وفارس وسجستان وكرمان ومكران وبابل والقلاع والاكراذ والرى وجبال طبرستان وجرجان وخراسان (٤) .

وأول من كتب فى الفتوحات الإسلامية كتابا شاملا هو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى (ت ٢٧٩) الذى ينسب إليه كتاب فتوح البلدان ، وقد استقى

(١) راجع قائمة الكتب التى أوردها ابن النديم فى القهرست ، نص رقم ١ و كتاب

علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٩٠

(٢) روزتال ، ص ٢٢٠

(٣) راجع ما سبق ص ٦٤ ، ٦٥

(٤) روزتال ، ص ٢٨٣ — ٢٨٥

مادة هذا الكتاب من المصادر الخاصة بفتح مصر ، عن الواقدي والمدائني (١) ، ومن المواد التي استطاع جمعها خلال زيارته للأمصار (٢) . وعلى الرغم من اعتماده على الإسناد في رواياته ، إلا أن أخباره تتميز بملاحظات الشخصية التي يرجح فيها رواية على رواية ، وهذا يفسر السبب في أن كتابه يعرض صورة متزنة متسقة للأحداث ، تجنب فيه إيراد روايات متعددة ومتضاربة حول الحادث .

ثم ظهر بكتب الفتوح المحلية أمثال كتاب فتوح مصر والمغرب والأندلس ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري (ت ٢٥٧ هـ) (٣) ، وكتاب الرايات ، الذي ألفه محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ) عن حملة موسى بن نصير إلى الأندلس (٤) ، وكتاب تاريخ افتتاح الأندلس ، لأبي بكر محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي (٥) (ت ٣٦٧ هـ) (٦) .

ومن الجدير بالذكر أن مصر لعبت دورا هاما في الكتابة التاريخية التي تتمزج فيها الخرافة بالتاريخ ، وقد ظهر فيها هذا النوع من الكتابة القصصية في زمن مبكر جدا . ولم تقف عناية المصريين في كتابة التاريخ عليها وحدها ، بل تجاوزتها إلى بلاد المغرب والأندلس ، وكانت مصر مركزا لما كان يكتب عن جميع القسم الغربي من الدولة الإسلامية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى طبقة التابعين الذين أخذوا عن الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص ، وشاركوا في فتوح المغرب والأندلس ، واستقر معظمهم في مصر بعد الفتح ، وأخذوا يروون قصة الفتح على

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٩٧

(٢) عبد العزيز الدوري ، ص ٤٩

(٣) تحقيق الاستاذ عبد المتعم عامر ، القاهرة ١٩٦١

(٤) الكتاب مفتود .

(٥) تحقيق دون خليان وبيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

(٦) Pons Boigues, Historiadores y Geografos, P. 85١

مسمع تلاميذهم من المصريين، ولذلك فهم أول من وضع أسس تاريخ الأندلس، ومن بين هؤلاء التابعين موسى بن نصير، وعلي بن رباح، وحنش الصنعائي، وأبو عبد الرحمن الحبلي، وجبان بن أبي جبلة القرشي، وبكر بن سودة الجذامي. وقد حظيت رواياتهم وروايات من بقي بمصر من أبنائهم أمثال موسى بن علي ابن رباح، وممدارك بن مروان بن عبد الملك بن موسى بن نصير الذي عاش في القرن الثالث وكتب في أخبار موسى بن نصير بعد عودته إلى المشرق، حظيت روايات هؤلاء باحترام كبير في مصر والمغرب والأندلس، وزاد هذا من مكانة العلماء المصريين في عيون تلاميذهم من أهل الأندلس حتى أصبحت مصر المصدر الأول لأخبار المغرب الإسلامي كله. ولعل السبب في اهتمام الفقهاء ومؤسسي المدارس الفقهية في مصر بقصة الفتح يرجع إلى اشتغال المحدثين والفقهاء المصريين منذ عصر مبكر بأخبار الفتح.

ويرأس هذه الطبقة الثانية من أصحاب الروايات عن الفتح الأندلسي موسى بن علي بن رباح (ت ١٦٣) الذي تلمذ عليه علماء ثلاث هم: الليث بن سعد (ت ١٧٥ هـ)، والوافدي (ت ٢٠٧)، وعبد الله بن طهية، المحدث المصري المعروف (ت ١٧٤ هـ). وكان الليث بن سعد مهتماً، إلى جانب اشتغاله بالفقه، بالتاريخ المغربي الأندلسي، الذي تلقى رواياته على موسى بن علي بن رباح. ومن تلاميذ الليث عبد الملك بن مسامة، ويحيى بن عبد الله بن بكير (ت ٢٣١)، وعبد الله بن وهب (١٩٧)، وعبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤)، وابنه عبد الرحمن (ت ٢٥٧)، وسعيد بن عفير (ت ٢٢٦)، وتلميذه أبو سعيد بن يونس الصديقي (ت ٣٣٦) الذي يعتبر آخر مؤرخ مصري شارك مشاركة فعالة في كتابة التاريخ الأندلسي.

وعلى هذه المدرسة اعتمد أبو مروان عبد الملك بن حبيب الألبيري (ت ٢٣٨)

في مادة كتابه التاريخي عز فتح الأندلس (١) الذي ما يزال مخطوطا في مكتبة بودليانا بأكسفورد وعنوانه الطويل كما يلي : « كتاب في ابتداء خلق الدنيا وذكر ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجنة والنار وخلق آدم وحواء ، وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبييا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين ، وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين امتفتاح الأندلس ، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجوهر والياقوت والزمرد والامتنعة ، وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ، ومن وليها ، ومن يليها ، وذكر شيء من الحدثان وما ... في بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقي إلى أن تقوم الساعة ، تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب » (٢) . وفي صفحات هذا الكتاب تكرر العبارات الدالة على اعتماده على تاريخ مصر ، مثل قوله : « حدثنا عبد الله بن وهب عن الليث بن سعد » ، وقوله « وحدثنا بعض مشايخ أهل مصر » ، بالإضافة إلى اعتماده على ما تناقله الأندلسيون لعده في شأن افتتاح الأندلس (٣) .

وإلى جانب هذه الكتب الخاصة بالفتوحات، هناك كتب أخرى تتعلق بالنظام

(١) Mahmud Makki, Egipto y los orígenes de la historiografía arabe española ، مقال في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الخامس ، العدد ١ — ٢ ، مدريد ١٩٥٢ م ، ١٥٧ — ٢٤٩ من القسم الأوربي .

(٢) Pons Boigues, Ensayo Bio-Bibliográfico sobre los Historiadores y Geógrafos arabigo-españoles, p. 32, 33.

وقد نشر الدكتور محمود علي مكي القسم الخامس بافتتاح الأندلس ذيئذ لمقاله السابق ، ص ٢٢١ — ٢٤٣

(٣) الطن عبد البديع ، الإسلام في إسبانيا ، ص ٦٧

الإدارى والقضائى فى الأقطار الإسلامية ، يمكن أن ندخلها فى عداد كتب التاريخ المحلى المنيوى ، مثل كتاب « رفع الإصر عن قضاة مصر » لابن حجر العسقلانى ، وتاريخ بخارى للرشحى ، وتاريخ مكة للفاكهى . وتاريخ ولاية خراسان للسامى ، ففي هذه الكتب فصول خاصة عن القضاة والولاة بالإضافة إلى اهتمام بعضها بالشؤون الإدارية .

ب- التاريخ المحلى الدينى :

وهناك كتب فى التاريخ الإسلامى المحلى لم تهتم بعرض الموضوعات المتعلقة بتاريخ المدن الإسلامية موضوع الدراسة ، أو بتراجم رجالها ، وإنما استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ المقدس لهذه المدن ، ولذلك اعتبرناها من كتب التاريخ المحلى ذى الطابع الدينى . ومن أمثلة هذه الكتب : كتاب « أخبار مكة » لآبى الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى (ت بعد سنة ٢٤٤ هـ) (١) ، وكتاب الدرّة الثمينة فى تاريخ المدينة ، لمحمد بن محمود بن النجار (٢) ، (ت ٦٤٧ هـ) ، وكتاب أخبار مكة لمحمد بن اسحق الفاكهى (ت فى أواخر القرن الثالث) ، وكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لآبى الطيب تقي الدين لمحمد بن أحمد العباسى (٣) (٧٧٥ - ٨٣٢ هـ) ، وكتاب « وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى » لجمال الدين أبو المحاسن عبد الله السمرودى (٤) .

(١) نضره رشدى الصالح ملحق ، مكة ١٣٥٢ هـ (جزآن)

(٢) نضر كحلحق ثان بالجزء الثانى من كتاب « شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام »

للفاسى ، القاهرة ١٩٥٦ هـ .

(٣) نضر بالقاهرة فى جزأين ، ١٩٥٦ هـ

(٤) طبعة مصر ١٣٢٦ هـ (جزآن)

ويلاحظ أن هذه التواريخ المحلية الدينية تتميز بأنها لا تهتم بالتراجم ، فالأزرقى أفرد ما يقرب من ثلاثة أرباع كتابه لذكر قصص تواترت على السنة القوم منذ الجاهلية حول حرم مكة ، ووصف الشعائر المتصلة بها ، أما الربع الأخير فقد خصصه لذكر الأماكن المقدسة الأخرى من مدينة مكة وخططها وأطرافها . وتاريخ الفساحى عن مكة يقتصر على أخبار خططها ، وذكر تاريخها المقدس ، أما ابن النجار فقد اقتصر في كتابه الدرة الثمينة على ذكر خطط المدينة (يثرب) مع عرض لتاريخها المقدس ، بقصد ترغيب الناس في زيارة الحرمين الشريفين . وسار الفاسى على منهج الأزرقى والفساحى وابن النجار ، فوصف سور مكة وأبوابها في زمنه ، ثم خصص فصلاً إضافياً للتراجم وأخبار عن أهل مكة وولاتها والحجاج .

وقد اتبع التاريخ المحلى الدينى ، عامة بصرف النظر عن تواريخ الأراضى المقدسة ، شكلاً واحداً موزعاً عن التاريخ المحلى الديوى ، فقد كان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وخططها ، وكانت هذه المقدمة فى القرون الثلاثة الأولى من الهجرة مطولة ، ولكنها أخذت تميل بعد ذلك إلى الإيجاز . أما مادة الكتاب فقوامها دراسة الشخصيات التى كان لها شأن بالبلدة أو القطر موضوع البحث ، وكانت هذه الشخصيات فى بادئ الأمر وقفاً على رجال الدين ، ثم تطورت بعد ذلك ، فشملت كل الشخصيات البارزة فى المجتمع من أدباء وعلماء وتجار وأعيان . ونقد نشأ هذا النوع من التاريخ المحلى بسبب الحاجة إلى زيادة الحيلة من اختلاق الأحاديث المكذوبة ، وذلك بدراسة مواطن الرواة ورجال الحديث ورواته فيها . وأقدم ما وصلنا من هذا النوع من التاريخ كتاب تاريخ واسط (١) ، لأبى الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف باسم

(١) مخطوطة « تاريخ واسط » محفوظة بالناصرة تحت رقم ١٤٨٣ تاريخ

بمحمل الواسطى (ت فيما يقرب من ٢٨٨ هـ) الذى يبحث فى تاريخ واسط وأطرافها
وفى علماء الدين فيها من تربطهم بمحمل سلسلة متصلة من الرواة ، وصنف الرواة
تبعا لعصرهم ، ومنها كتاب تاريخ قضاة قرطبة ،، لمحمد بن حارث الحشنى (١) .
(ت ٣٦١ هـ) .

وفى القرن الرابع الهجرى أصبحت التراجم ، مرتبة على حروف الهجاء ،
الاساس الذى تعتمد عليه كتب التاريخ المحلى الدينى . ولقد ضاعت معظم الكتب
التي صنفت فى هذا القرن ، وأقدم تاريخ محلى دينى باق ، رتبت تراجمه على نظام
المعاجم أى وفقا للترتيب الأبجدى حتى يسهل الوقوف بواسطة هذا الترتيب على
ترجمة كل شخص منها ، هو تاريخ علماء الأندلس (٢) لآبى الوليد عبدالله بن
الفرضى الأندلسى (ت ٤٠٣ هـ) . كذلك اتبع الخطيب البغدادى الذى عاش
فى القرن الخامس الهجرى فى كتابه ، تاريخ بغداد ، (٣) طريقة المعاجم فى ترتيب
أسماء التراجم وأسماء آبائهم . وراعى الخطيب فى هذه الكتاب أن تكون التراجم
شاملة ، وإن كان قد أبدى اهتماما خاصا بتراجم علماء الدين . ومحتويات التراجم
تعبّر عن اهتمام المؤلف بالحديث وتأكيده على الناحية الدينية دون غيرها من
من النواحي الأخرى . وقدم المصنف صحابة الرسول على غيرهم فى الترتيب
باعتبارهم أول من قدم إلى أطراف الموضع الذى أسست عليه بغداد قبل أن
تؤسس ، ولقد قدم الخطيب كتابه بفصل طويل أورد فيه أخبارا كثيرة عن
تاريخ بغداد وعن تخطيطها ، وعن أهم معالمها العمرانية .

(٢) تحقيق دون خليان ريبيرا Julian Ribera ، مدريد ١٩١٤

(٣) تحقيق دون فرنشكو كوديره Francisco Codera ، مدريد ١٨٩١

(جـ-زآن)

(٤) طبعة مصر ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزءا)

واتبع معظم مؤرخي مدينة بغداد وغيرهم من كتاب التاريخ المحلي الديني في العصور التالية نظام الخطيب في تأريخه المحلي . فالحافظ أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) افتتح كتابه « تاريخ دمشق » بذكر أخبارها وذكر السيرة النبوية ، ثم انتقل بعد ذلك إلى التراجم ، وافتتحها بالآحدين ، وذيّل تأريخه لولده القاسم بن علي (ت ٦٠٠ هـ) (١) ، ولم يهتم ابن عساكر في هذا التقديم بوصف دمشق أو بذكر معالمها الطوبوغرافية على النحو الذي طالعناه في تاريخ بغداد للخطيب .

وهناك مؤرخ شام آخر هو كمال الدين أبو القاسم عمر المعروف بابن العديم الحلبي (ت ٦٦٠ هـ) ألف كتاب تراجم على مثال تاريخ بغداد ، بعنوان « بغية الطلب في تاريخ حلب » (٢) ، هذا بالإضافة إلى كتاب تاريخي قيم عن مدينة حلب لم ينح له أن يستكمّله (٣) ، ومادة هذا الكتاب التاريخي تقف إلى حوادث سنة ٦٤١ هـ ، وعنوانه « زبدة الحب من تاريخ حلب » ، لم يحفظ منه سوى ثلثه (٤) . وقد قدم ابن العديم لكتاب « بغية الطلب » بفصل كبير استعرض فيه جغرافية بلاد الشام الشمالية ، وأورد في هذا الكتاب دراسة وافيه لمصادره . ومنهم السمعاني وابن الديبشي وابن النجار وابن أبي جرادة وياقوت والقوصي والمنذري والسلفي

(١) السخاوي ، الاعلان بالتوبيع ، من كتاب روزثال : علم التاريخ عند المسلمين ،

ص ٦٣١

(٢) نشرت أجزاء منه في *Recueil des Historiens des Croisades* ،

Historiens Orientaux, pp. 695 — 732, Paris 1884 .

(٣) *Claude Cahen, La Syrie du Nord*, p. 62, 63

(٤) نشره الدكتور سامي الدمان ، دمشق ١٩٥١

والانماطى وعبد السلام بن يوسف وعبد القاهر بن المهنا وابن أبي طى (١) ، وقد
أكل هذا الكتاب وذيل عليه العلاء بن خطيب الناصرية بعنوان : الدر المنخب
في تكملة تاريخ حلب ، ، لخص فيه مقدمة ابن العديم وعالج في تلخيصه لها أسماء
حلب ، وبناءها ، وموتها ، واتساع خطتها ، وفنائها . ثم انتقل بعد ذلك إلى
دراسة فتح العرب لحلب ، ثم وصف مياهها وآثارها التاريخية (٢) .

وعلى هدى بغية الطلب لابن العديم ، أخذت التواليف والمصنفات عن حلب
تتوالى واحداً بعد الآخر حتى القرن التاسع الهجرى ، ويمكننا أن نذكر من بينها
كتاباً ألفه أحمد بن إبراهيم المعروف بسبط ابن العجمي (ت ٨٨٤ هـ) استكلاً
لكتاب ابن خطيب الناصرية بعنوان : كنوز الذهب في تاريخ حلب ، ، ويعتبر
وصفه لمساجد حلب من الناحية الفنية أوفى وأكمل ما يمكن أن نتوقعه من مؤرخ
في العصور الوسطى (٣) . ومنها كتاب : الدر المنخب في تاريخ مملكة حلب ،
لأبي الوليد محمد الدين محمد بن محمد بن الشحنة الحلبي (٤) ، وقد أخذ فيه مادته عن
عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحلبي المعروف بابن شداد ، كما أخذ عن ابن
العديم وغيرهما من مؤرخي حلب ، بل يعتبره الأستاذ كلود كاهن في الواقع
مختصراً لكتاب ابن شداد (٥) . ولم يهتم ابن الشحنة بالتراجم ، وإنما اهتم بالمنشآت
الدينية في حلب من مساجد ومدارس وتواريخها . ومن مظاهر الكتابة في التاريخ

(١) C. Cahen p. 37 Note 3,

(٢) روزتال ، ص ٢٣٤

(٣) نفس المرجع .

(٤) اشره الأستاذ يوسف سركيس ، بيروت ١٩٠٩

(٥) Claude Cahen, op. cit p. 89

المحلى الدينى ، الكتب المخصصة فى فضائل البلدان أو خواصها ، وكان هذا النوع من الكتب يتضمن حتى القرن الخامس الهجرى دراسة مقارنة بين المدينة موضع المفاخرة وبين مدينة أخرى ، ثم تطورت الكتابة فى فضائل المدن إلى دراسة تتضمن مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث والمصادر المعتمدة التى تمتدح موضعاً معيناً مثل : كتاب « فضائل مصر وأخبارها » لأبى الحسن إبراهيم بن زولاق ، و « فضائل الاسكندرية » لأبى على الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ (ت فى منتصف القرن الخامس) ، وكتاب « فضائل دمشق » للرابعى أبى الحسن على بن محمد بن شجاع (ب ٤٣٥ هـ) ، وكتاب « فضائل الشام » لإبراهيم بن عبد الرحمن الفزارى .

ج - التاريخ المعاصر والمذكرات :

لا شك أن معاصرة المؤرخ العربى لأحداث زمانه تطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة ، فالمؤرخ الذى يعيش فى زمن قريب من الزمن الذى دارت فيه الأحداث التى يقوم بتأريخها أقدر من غيره من المؤرخين اللاحقين على تصويرها بألوانها الحقيقية ، ذلك لأن الكتابة التاريخية المعاصرة لزمن الأحداث تعتمد كثيراً على المعاينة والمشاهدة والسماع من مصادر متنوعة ، والمعاينة والتحقيق يجنبان المؤرخ من الوقوع فى الأخطاء التى وقع فيها من لم يحذ حذوه ، واعتد على النقول . وقد نجح ابن الأثير فى تصوير الغزوة المغولية على ديار الاسلام ، وأبدع فى وصفه (١) للغول وما اتصفوا به من وحشية تفوق خيال البشر ، لأنه

(١) يعبر ابن الأثير عن وحشية الغول التى شاهد بنفسه أمثلة كثيرة منها بقوله : « لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاً لما ، كارهاً لذكرها ، فأنا أقدم »

كان معاصراً للأحداث ، والمقرىزى نجح أيضاً في إمالة الثام عن أسباب المجاعة والطاعون الذى تفشى في مصر في زمنه (٢) ، فعالج هذه الأسباب في واقعية مختلف عن معالجته لأسباب الطواعين والمجاعات السابقة على عصره .

وكما أن المعاصرة فضل في الكشف عن الحقيقة التاريخية فإنها تكون في بعض الأحيان حجاباً يمنع المؤرخ عن تصوير الحقيقة ، إما بسبب الرهبة من الحاكم ، أو رغبة في التزلف اليه وبجاملته ، فكثيراً ما يعتمد المؤرخ إلى إخفاء بعض عيوب السلطان الحاكم خوفاً من بطشه أو درأاً لفضبه عليه إذا هو — أى المؤرخ — صرح بهذه العيوب ، وقد يعتمد إلى الإسراف في ذكر محاسنه وامتداحه ، مصانة له وتزلفاً إليه بغية الظفر بمنصب ، أو بجائزة سنية . ومن أمثلة هذا النوع من المؤرخين المسعودى حين يؤرخ للخليفة العباسى القاهر ، فقد تملقه ، وتغاضى عن ذكر جرائمه ، ومنهم سبط ابن الجوزى ، الذى برر أخطاء الأمير مظفر الدين صاحب إربل ، والتمس له الأعذار .

== رجلاً وأوخر أخرى ، فن الذى سهل عليه أن يكتب نعى الاسلام والمسلمين ، ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك ، فيأبى أن يلمن ، ويأبى أن يكت نبياً مندياً ... فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلهما اكان صادقا ، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقارنها ولا ما يدانيها ... ابن الأثير ، الكامل ، أحداث سنة ٦١٧

(٢) حدثت هذه المجاعة فيما بين عامى ٧٩٦ ، ٨٠٨ هـ ، وتوفيت ابنته الوحيدة سنة ٨٠٦ في الطاعون الذى أعقب إحدى فترات تلك المجاعة ، وقد رأى المقرىزى بعين المجرب البصيرة أن لهذه المجاعات والطواعين أسباب عميقة الجذور مصدرها سوء تدبير الحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح الرعية ، وفساد المناصب الدينية ، وولاية الخطط الساطية بالرشوة بالإضافة إلى غلاء الاطيان ورواج الفلوس (راجع المقرىزى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة ١٩٥٢)

وإذا كان المؤرخ المعاصر للأحداث يشغل منصبا إداريا رسميا فإن كتابه يكتب صفة المذكرات ، فهناك الدين ابن شداد (ت ٦٢٢ هـ) في النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية يسجل مذكراته عن صلاح الدين منذ أول جمادى الأولى سنة ٥٨٤ هـ ، أى منذ أن قام بخدمته ، ويخصص لها ثلاثة أرباع الكتاب ، ويعتمد في تسجيلها على المشاهدة والمعاينة أو على من يثق به من أهل الثقة ، والعماد الأصفهاني (ت ٥٩٧ هـ) في الفتح القسي في الفتح القدسي ، وهو كتاب يعتبر سجلا لما قام به صلاح الدين من حروب من سنة ٥٨٣ حتى وفاته سنة ٥٨٩ هـ .

ومن الكتب التاريخية التي تعتبر مذكرات : كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ (١) ، وكتاب النكت المصرية في أخبار الوزارة المصرية لعمارة اليمى (٢) (ت ٥٦٩) . ولكن كتاب الاعتبار يمتاز بغلبة عنصر الفلسفة الشعبية ، بينما يمتاز كتاب عمارة بتمثل عنصر الأدب على العنصر التاريخي (٣) ، ومن المذكرات أيضا كتاب البيان والتبيين ، أو مذكرات الأمير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة (٤) ، إذ يصور فيه الأحداث الأخيرة التي سبقت عزله من إمارته ، ونفيه إلى المغرب على أيدي المرابطين . ومنها كتاب أخبار المهدي بن تومرت

(١) مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن سرشد السكناي ، كتاب الاعتبار ، تحقيق الدكتور

فيليب حتى ، برنستون ١٩٣٠

(٢) أبو الحسن نجم الدين المعروف بهازة اليمى ، كتاب النكت المصرية و أخبار الوزارة

المصرية ، طبعة درنبرج ، باريس ١٨٩٧

(٣) روزنتال ، ص ٢٣٨

(٤) ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيرى) : مذكرات الأمير عبد الله الزيرى المصاحفة

بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ابنى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥

لابي بكر الصنهاجي المعروف بالبيذق (١) ، وكان رفيقا لابن تومرت ، رافقه في رحلاته ، ووصف مشاهداته معه ، ومعاركه الاولى مع المرابطين ، ومنها مجموعة رسائل ابن الخطيب في بلاد المغرب ، سجل فيها مشاهداته في هذه البلاد (٢) .

ومن كتاب المذكرات اليومية القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني (ت ٥٩٦ هـ) كاتب صلاح الدين ، وهي يوميات لها اعتبارها بالنسبة للدراسة التاريخية .

(١) البيذق ، كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق الأستاذ ليفي بروفسال ،

باريس ١٩٢٨

(٢) ابن الخطيب ، مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ،

مجموعة من رسائله ، نشرها وحققها الدكتور أحمد مختار العبادي ، الاسكندرية ١٩٥٨

البنايـع الثانيـ

مصادر التاريخ الاسلامي

الفصل الرابع : المصادر الاثرية .
الفصل الخامس : المصادر المكتوبة .

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

- ١ — الوثائق الرسمية المكتوبة والأوراق البريدية والوقفية .
- ٢ — الكتابات الأثرية أو النقوش
- ٣ — العملات .
- ٤ — الآثار المعمارية .

الفصل الرابع المصادر الأثرية

(١)

الوثائق الرسمية والدوائر البردية والوقفات

الوثائق الرسمية : تعنى بالوثائق الرسمية المكتوبة المستندات المعاصرة للتاريخ الذى تكتب فيه ، كالمسائل الصادرة من ديوان الانشاء فى الحاضرة إلى الولايات ، أو إلى الأقاليم التابعة للحكومة المركزية ، والمنشورات ، والسجلات ، والأحكام ، والفتاوى ، ونصوص المعاهدات ، والمخالفات وعقود البيع والشراء وغير ذلك ، وهى إما تصدر عن الدواوين أو فروع الإدارة الإسلامية كديوان الإنشاء والمسائل الذى كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة من الخلفاء والسلاطين ، كالمسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات والمخالفات ، وإما تكون مجرد اتفاقات فردية كالعقود الشخصية .

أما المستندات الأولى فهى أهم أنواع الوثائق الرسمية ، باعتبارها أدلة مصادر التاريخ السياسى الاقتصادى على الإطلاق ، وكانت تحفظ فى ديوان الإنشاء الذى كانت تصدر منه معظم أوراق الدولة الرسمية ، ويحفظ ما يرد منها فى أصابع عليها بطائق ، وتودع فى مخزن خاص (١) .

وكانت هذه الوثائق تكتب فى عصر الخلفاء الراشدين بلغات الشعوب التى تغلب عليها العرب ، إذ أن العرب تركوا النظم الإدارية والمالية فى البلاد المفتوحة

(١) عبد الزعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، القاهرة .

على مثل ما كانت عليه قبل الفتوحات العربية الإسلامية دون تعديل أو تغيير (١) ، وأقر عمر نظام الديوان الفارسي، ويذكر الصولي أن عمر بن الخطاب اتبع في ذلك مشورة الفيرزان (٢) . وكان ديوانا البصرة والكوفة : ديوان الجند والاعطية بالعربية، وديوان المال بالفارسية ، وكان ديوانا الشام بالعربية والرومية (٣) ، وكان ديوان مصر بالقبطية (٤) ، فتحول ديوان العراق إلى العربية في خلافة الوليد بن عبد الملك على يد أبي الوليد صالح بن عبد الرحمن البصري مولى بني مرة بن عبيد ، وكان من سبي سنجستان . وكان صالح هذا كاتباً لزادان فروخ على الدواوين أيام الحجاج ، فولاه الحجاج على الديوان ، فعربه (٥) . وتحول ديوان الشام الذي كان يتولاه سرجون بن منصور الرومي النصراني إلى العربية في خلافة عبد الملك على يد أبي ثابت سليمان بن سعد وإلى الأردن الذي حل في الديوان محل سرجون الرومي (٦) . أما ديوان مصر فتعرب في خلافة الوليد على يد عبد الله بن عبد الملك ، وإلى مصر سنة ٨٧ هـ ، ووليه ابن يربوع الفزاري من أهل حمص (٧) .

(١) برنارد لويس ، العرب في التاريخ ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ، والدكتور محمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ م ص ٧٧ - عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٣٧ .

(٢) الجهمياري ، الوزراء والكتاب ، تحقيق الأستاذة مصطفى النقا وإبراهيم ، الأبياري ، القاهرة ١٩٢٨ م ص ٣٨ - الصولي ، أدب الكتاب ، ص ١٩٠ وما يليها - ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٦١٤ .

(٣) نفسه ، ص ١٩٢ .

(٤) الكندي ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، بيروت ١٩٠٨ م ص ٥٩ ،

(٥) الصولي ، ص ١٩٢ .

(٦) نفس المصدر .

(٧) الكندي ، ص ٥٩ - المقرئ ، المخطوط ، ج ١ ص ١٧٥ (مطبعة بيروت) .

ونتج عن حركة التعريب انتشار اللغة العربية والخط العربي ، ونشاط حركة الترجمة من اليونانية والمارسية والهندية ، وأصبحت اللغة العربية على حد قول ابن خلدون ، لسانا حضريا في جميع أمصار الاسلام .

وللأسف لم تصلنا معظم هذه الوثائق الديوانية الهامة عربية أو غير عربية ، مع كثرتها ، ومع تفوق الحضارة الاسلامية على الحضارة الاوربية في العصور الوسطى . وترجع ندرة هذه الوثائق إلى عدة عوامل ، منها : —

١ — أن الشريعة الاسلامية التي تمثل النظام الدستوري ، والتي يعول عليها في الاجكام القانونية كانت تعتمد أساسا على القرآن الكريم والحديث ، ولذلك لم يكن من الضروري أن يحتفظ صاحب الحق بالوثائق التي تثبت ماله من حق ، إذ أن هذه الوثائق تفقد قيمتها إذا لم يؤيدها السند الشرعي .

٢ — أن المجتمع الاسلامي كان مجتمعا يقوم على المساواة أمام الشريعة الاسلامية التي لم تفرق بين مختلف طبقاته في الحقوق ، فلم يكن فيه هيئات كنسية ولا نظام الطوائف والنقابات والانقطاع الذي كان سائدا في أوروبا في العصور الوسطى ، وكلها هيئات كانت تحتفظ بالوثائق التي تثبت ما تكتسبه من حقوق (١) .

٣ — أدى قيام الدول المستقلة عن الخلافة العباسية وسقوطها وقيام دول أخرى على أنقاضها إلى ضياع الكثير من الوثائق الرسمية للحكومات البائدة ، أو

(١) زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث في التاريخ الاسلامي ، مجلة كلية

الآداب ، جامعة القاهرة ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠ ، ص ١٥٧ وما يليها - سيرة

كاشف ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

تلفها بسبب الخصومات السياسية أو المذهبية القائمة بين الدولة الجديدة والدولة السابقة عليها .

٤ - تعرضت الدواوين التي كانت تحفظ فيها الوثائق الرسمية في عصر الدولة الأموية للحرق ، مثل ديوان الكوفة الذي احترق بما كان يضمه من وثائق في سنة ٨٢ هـ ، وديوان القسطنطين الذي تعرض للحريق في عصر الدولة الأموية.

ومع ذلك فقد وصلت إلينا بعض المستندات والوثائق العربية ، وهي بالإضافة إلى قلتها ، يقتصر معظمها على وثائق تتعلق بالإدارة ، بينما يتعلق أغلبها ، وهي الوثائق البريدية ، ببعض النظم الاجتماعية والاقتصادية كالجزية ، والخراج ، والتعيين في مناصب الدولة ، والإدارة ، وطرق التجارة ، وأعمال البناء والتمير ، وإنشاء الأساطيل ، وعقود الزواج والبيع والشراء والتنازل .

البرديات : تتضح لنا الأهمية الكبرى لوثائق البريد باعتبارها مصدراً صادقاً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإسلام (١) ، إذ تعرض لموضوعات تتناول جميع مناحي هاتين الحياتين . ولقد تطلعت أنظار الباحثين إلى أهمية هذه البرديات منذ أن نشر المستشرق سلفستردى سامي مقالا عن ورقتين من البريد مكتوبتين باللغة العربية في صحيفة العلماء الصادرة في باريس في سنة ١٩٢٥ . ومنذ

(١) لدراسة الأوراق البريدية العربية راجع : زكي محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث ، ص ٦٥٨ - ٦٦١ ، سيدة كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ص ٢٥ ، ٣٣ ، ٤٣ ، ٥ - مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ٨٥ - ٨٧ ، الوليد بن عبد الملك ، سلسلة أعلام العرب ، ص ٤ - ٦

ذلك الحين ازداد العثور على أوراق بردية بالعربية واليونانية والقبطية في إقليم الفيوم بوجه خاص ، وفي أنخيم وسقارة والأشموين وميت رهينة وإدفو وكوم أشقاو بمحاظة أسيوط . وتتضمن هذه الوثائق البردية أخبارا هامة عن حالة المجتمع المصرى الاسلامى والادارة في عصر الولاة ، وخاصة في عصر قره بن شريك . (٩٠-٩٦) .

ولقد اهتم المستشرقون اهتماما بالغاً بدراسة هذه الوثائق باعتبارها مستندات معاصرة للأحداث التى تسجلها ومحايدة في نفس الوقت ، بالإضافة الى قيمتها العظمى في تصوير النظم الادارية والمالية والاجتماعية للمصر الذى كتبت فيه ، هذا الى أنها تحتفظ بقيمة تاريخية أثرية لا تقل عن قيمة التحف الأثرية التى يسفر عنها البحث الأثرى ، ونذكر من بين المشتغلين من المستشرقين بأوراق البردى العربية: أدولف جروهمان (١) ، ومرجليوث (٢) ، وأمارى (٣) ، ودى ساسى (٤) ،

A. Grohmann, *Corpus Papyrorum Raineri Archiducis* (١)
Austrioe, Wien, 1924, Grohmann, *Arabische Papyri im Oriental
Institute zu Prag* (Arch Orient.) t. x, 1938.

Margoliouth, *Catalogue of arabic Papyri in the John* (٢)
Rylands library, Manchester, 1933.

Amari, *I diplomi arabi del R. Archivio Fiorentino*, (٣)
Florence, 1863.

De Sacy, *Pièces diplomatiques tirées des Archives* (٤)
de Gênes (dans *Notices et Extraits des Manuscrits de la Bib-
liothèque Nationale*, t. XI).

وآبل (١)، وهوفاير (٢)، ويكر (٣)، وبيل (٤)، وما سيرو (٥)، وآبوت (٦).
ولكن المستشرق جروهمان — دونهم جميعاً — كرس جهوده لدراسة هذا النوع
من الوثائق، بحيث أصبح بحق المتخصص الوحيد للبرديات العربية، وقد أسهم
ببحوث كثيرة عن أوراق البردي نذكر منها ما يلي :

A Grohmann, Aperçu de papyrologie arabe, Etudes, — ١
de papyrologie, (Société Royale égyptienne de papyrologie), t. I.
Cairo, 1932

٢ — وأصدت دار الكتب المصرية أربع محاضرات له ألقاها بقاعة الجمعية
الجغرافية المصرية بالقاهرة في أبريل سنة ١٩٣٠، ترجها إلى العربية الأستاذ
توفيق أسكاروس، القاهرة ١٩٣٠.

Abel, Agyptische Urkunden aus den kgl. Museen (١)
zu Berlin. Arabische Urkunden, Berlin, 1895-1904.

Hofmeier, Beiträge zur arabischen Papyrusforschung (٢)
(in der Islam), t. IV, 1913.

Becker, Arabische Papyri des Aphrodito fundes (in (٣)
Zeitschrift für Assyriologie und verwandte Gebiete, t XX, 1907).

Bell, translations of the greeck Aphrodito Papyri in (٤)
the British Museum, in (Der Islam) t. II, 1911.

Maspero, Etudes Sur les papyrus d' Aphrodito (٥)
(dans Bulletin de l'Institut Français d' Archéologie Orientale,
t. VI-VII.

Abbott, The Kurrah-Papyri from Ahrodito in the (٦)
Oriental Institute, Chicago, 1938.

A Grohmann, Arabic Papyri in Egyptian Library, 3 vols — ٣
Cairo, 1934, 1936, 1938,

وقد تولى الأستاذ جروهمان بنفسه ترجمة هذا الكتاب إلى العربية بالاشتراك
مع الدكتور حسن إبراهيم حسن ، بعنوان « أوراق البردي العربية بدار الكتب
المصرية » ، السمر الأول ، القاهرة ، ١٩٣٤ .

٤ — وأصدر الأستاذ جروهمان المجلد الرابع من مجموعة دراسته لأوراق
البردي بدار الكتب المصرية في سنة ١٩٥٢ ، وقام بترجمته إلى العربية الأستاذ
الدكتور حسن إبراهيم حسن ، وصدرت الترجمة بالقاهرة في سنة ١٩٦٧ .

الوقفيات : الوقف نظام يعتمد به حفظ العقار من التبدد ، وتخصيص دخله
لأسرة مؤسس الوقف حسب الأنصبة التي يحددها في الوثيقة ، أو تخصيص هذا
الدخل لمؤسسة دينية (١) . ويرجع تاريخ الوقف إلى العصر الأموي ، ثم انتشر
بعد ذلك سريعا لعاملين : عامل يرجع إلى التقوى ، إحياء المساجد والقنوات
والمشاريع الخاصة بالسقايات ، والمدارس ، والبيمارستانات ، وعامل يرجع إلى
إشباع حاجة اقتصادية (٢) .

والوقفيات وثائق لها أهميتها الخاصة دون غيرها من الوثائق السياسية ، لأنها
تقف منها على عقود البيع والشراء والاستبدال ، وبيان الأبنية الموقوفة أى التي
يخصص لها وقف معين ، ووثائق الوقف على هذا النحو من أهم المصادر التي يجب

(١) جودفروا ديمومين ، النظم الإسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر والدكتور

صالح الشنماع ، بيروت ١٩٦١ ، ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع ص ١٦٩ .

الرجوع إليها عند دراسة الآثار المعمارية والمنشآت المختلفة في العصر الإسلامي ، وأكثرها أصالة ، لأن بعض هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الحقائق والبيانات عن هذه المنشآت ، كما أن هذه الوثائق تتضمن كثيرا من الاصطلاحات السائدة في العصر الاسلامي معمارية أو قانونية أو إدارية (١) . ولحسن الحظ يحتفظ الارشيف التاريخي بوزارة الأوقاف ومحكمة الأحوال الشخصية بالقاهرة بعدد كبير من هذه الوثائق ، ومن أهمها الوقفيات الخاصة بالسلطات قايتباي (٢) .

ولقد كان للأجاس أو الأوقاف ديوان خاص في العصر الأموي كان يتولاه قاض ينظر فيها خوفا من ضياعها ، والحيولة دون تجزئة الوقف بسبب الإرث . وأقدم الوقفيات التي وصلت إلينا ، وقفية من العصر الإخشيدي ، حفظ لنا المقرئ في كتابه الخطوط عندما تحدث عن أثر الوطاويط (٣) ، وقد عثر على ثلاثة سطور منها منقوشة في لوحة حجرية بحى الصليبية ، بالقرب من جامع أحمد بن طولون ، وقد ضاع معظم اللوحة (٤) .

(١) سيدة كاشف ، ص ٨٩ - عبد اللطيف ابراهيم ، وثيقة السلطان قايتباي ، محاضرة

في المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٩٠ .

(٢) عبد اللطيف ابراهيم ، المحاضرة السابقة ، ص ٢٩٠ حاشية ١ .

(٣) سيدة كاشف ، ص ٩٠ .

Wiet (G.), Corpus Inscriptionum Arabicarum, Egypte, (١)
II, Cairo, 1930, pp. 91-94.

أمثلة من الوثائق الرسمية

أولا — من رسالة موجهة من السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك
الفونسو ملك قشتالة (نقلاً من كتاب مجموعة الوثائق السياسية العربية بمحفوظات
مملكة أرغون ، رقم ١٤٦) .

(بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاء حضرة الملك الجليل المهيام الأسد
الباسل الخطير الضرغام العالم في ملته العادل في مملكته ، دون الفواش (١) ،
صاحب قشتالة وطليلة وإشبيلية وفرطية وجيان ، نصر الدين المسيحية ، عضد
الملة النصرانية ، ذخر الطائفة الصليبية ، صديق الملوك والسلاطين ، ولا زالت
مودته ضافية الحلل ، صافية موارد السعد ، التي يقصر دونها الأمل ، مقبلاً من
الحفاظة بوادى وفاء تشيد منها بما لك على ما هو أعلى من الأسفل ، مبتدئاً من
الصفاء بما يؤثّر قواعده اتباع سيرة أسلافنا وأسلافه الأول . صدرت هذه
المفاوضة متحملة إليه تحية أرجة ، وأثنية بمودات القلوب بمنزلة ، ومحبة تترجم
عن مكنونها السنة الأفلام اللهجة ، وتوضح لعله الكريم ورود كتابه الجليل على
يد رسوله الفارس المحتشم الجليل الخطير المبجل انبرناد ريقارد (٢) ، وقبلناه
بالإجلال والإكرام ، ووفور العناية والاحترام ، وابتهجنا بما اشتمل عليه من
استقرار قواعد ملكه ، وانتظام الأحوال على كل ما فيه مسرة نفسه ونفوذ
كلمته ، ووافق حضور رسله توجهنا للغزاة والجهاد وطلب التماس الذين لم نزل

(١) الرسالة موجهة خطأ إلى الفونسو ، بدلاً من فرناندو الرابع الذى تولى عرش

لشنتالة سنة ١٢٩٥ .

(٢) يقصد به الفارس إن برنارد ريكارد .

رقابهم لسيوفنا من الاغممار ، فرسمنا بأن يقيم رسول الملك أبقاه الله ، المشار إليه ، ومن معه بأبوابنا العالية ، في إنعامنا وإحساننا إلى أن يعود ركبنا من الغزاة المبرورة ، ولست نحضرهم ، ونسمع رسالتهم ، ونعفى إلى مضمون مشافهتهم المباركة ، ونأمر بقضاء أشغالهم ، ونعيدهم إلى الملك أبقاه الله بجوابه الكريم ، ونجهز معهم رسلنا إلى حاضرة الملك أطال الله بقاءه ليتحقق ماله في خواطرنا من المكانة الجليلة والمنزلة الرفيعة ، ويتأكد ما بيننا من الصداقة والمحبة والمودة الموروثة عن أسلافنا وأسلافه من الملوك الماضين ، سقى الله عهدهم ، ورسمنا للنواب بالأبواب العالية باعتماد الوصية الشامة برسل الملك المشار إليهم ، ولإنزالهم في أجل مكان ، وتعاهدهم بالإحسان والإكرام والاحترام إلى أن يعود . وكان قد اتفق من أمر التتار المخذولين أنهم طرّقوا أطراف مملكتنا الشامية (١) ، وتطرقوا إليها ، وعساكرنا في ذلك الوقت غير مجمعة ، ولما حملت ميسرة من كان حاضرا من عساكرنا المنصورة على المخذولين كسرتهم كسرة شديدة ، وقتلت منهم نحو عشرين ألف فارس ، ولم يقتل من أصحابنا قنر مائة فارس ، لكن كان كثير من عساكرنا متفرقا لم يجتمع بعده ، فافتضى الحال تأخيرهم في ذلك الوقت . ولما كان الآن ، فإننا رسمنا بجمع الجيوش المنصورة ، ومضاعفة أعدادها ، وفتحنا خزائن الأموال ، وأنفقنا النفقات الجزيلة في العساكر المنصورة بحيث عرضنا في مايتى

(١) يشير الناصر هنا إلى الهزيمة التي لحقها المالك في أوائل عام ٧٠٠ هـ في موقعة الحازندان على أيدي جيوش التتار بقيادة غازان خان ، وفي هذه الموقعة انهزمت مدينة عساكر الناصر وتمكنت ميسرة الجيش المملوكي من مواجهة التتار قلبتهم ، ولكنها اضطرت في النهاية إلى التراجع بسبب هزيمة الميمنة .

ألف فارس . وتجهزنا للركوب في طلب التتار المخذولين (١) ، وحين تحققوا التتار
عزمنا في قصدهم وركوب جيوشنا المنهزمة في طلبهم ، ولوا الأدبار ، وركنوا
إلى الفرار ، وانهزموا لا يملأون بعضهم على بعض . وقد ركبت الآن جيوشنا
المنصورة لإدراكهم ولحاقهم أين كانوا واستئصال شأفتهم ، وتطهير الأرض منهم
بالسكينة ، بقوة الله تعالى وعونه . ولما عزمنا الآن على الركوب في طلب العدو
المخذول ، استحضرننا رسل حمزة الملك أطال الله بقاءه إلى بين أيدينا ، وأقبلنا
عليهم ، ووقفنا على مضمون كتابه الجليل ، وعلمنا مضمون ما معهم من المشافهات
والرسائل ، وتحققنا ما اشتملت عليه من محافظة الملك أبقاه الله تعالى على المودات
السالفة ، والعهود القديمة ، وما نؤثره من تأكيد الصداقة ، وتجدد المحبة ، وإدامة
المراسلات ، بما يضاعف الصلابة والصفاء ، ويوالي المحبة والوفاء ، وقابلنا ذلك
بأكمل قبول ، فإننا مازلنا نكافي المودات بأمثالها ، ونقابل من تمسك بمحبتنا
من الوفاء بكل ما رجاه منا ، وقد استقرت هذه القواعد من الألفة والصداقة على
ما يسر الخواطر وعلمنا من مضمون كتابه ومشافهته ما قصدته في معنى التجار
والمتبردين من بلاده بالبضائع ، وما سأله من أن يكونوا يترددون من بلاده
إلى بلادنا ، ومن بلادنا إلى بلاده آمنين مطمئنين ، وأجبناء إلى ما قصدته في ذلك
ورسمنا بأنه أي من حضر من بلاده إلى بلادنا من التجار وغيرهم يحضروا آمنين
مطمئنين ، مكرمين محترمين ، يبيعون بضائعهم على ما يختارون ، ويتعوضون بما
يختارون ، ويعودون إلى أمانهم سالمين محفوظين ، وتقدمنا إلى نوابنا بذلك ،

(١) يشير إلى حملته الثانية التي وجهها ضد التتار ، وهي الحملة التي انتهت باسترداد
الناصر لدمشق بعد أن انتصرت جيوشه على جيوش غازان في معركة مرج الصفر في رمضان

وأن يعرفوا التجار أن بلاد الملك قد صارت بلادنا ، وبلادنا بلاده ، وقد علم كل أحد حال التجار المترددين الى مملكتنا الشريفة من البحر وغيره ، وما يعاملون به من الكرامة والاحترام ونشر المعدلة والاحسان ، والأمن ، وأنهم يترددون آمنين مطمأنين على أنفسهم وأموالهم . وأما ما تضمنته المشافهة التي على يد رسوله الفارس المذكور في معنى من يختار الحضور من بلاده لزيارة القدس الشريف ، وما سأله من تمكينهم من ذلك ، وأن يكونوا آمنين مطمأنين ، فقد علمنا ذلك وأجبناه إلى ما قصده من هذا الأمر . ورسنا بأنه أى من اختار الحضور من بلاده للزيارة فيحضروا آمنين مطمأنين ، ورسنا للنواب بالقدس الشريف وغيره بإعداد الوصية التامة بكل من يحضر من بلاده لذلك ، وأن يكونوا مكرمين محترمين في حالتى ورودهم وصدورهم ، وعند ركوبنا الآن فى طلب العدو المخذول ، أعدنا رسله وهم الفارس المحتشم أنبر ناد ريقاد ومن معه ، وجهزنا معهم رسلنا ، وهم المجلسان الساميان الأمير الأجل الكبير ، الأوحد ، الأكل ، العضد النصير ، المحي ، المختار ، المقدم ، فخر الدين ، والقاضى الأجل ، الصدر ، الرئيس الغاضل ، الكامل ، الأوحد ، المرتضى ، المختار ، حميد الدين ، مجدا الاسلام ، شرفا الأمراء والقضاة ، عدتا الملوك والسلاطين ، أعزهما الله تعالى ، وحلناهما من المشافهات الشريفة ما يعيدانه على حضرة الملك ، وقد سيرنا لحضرة الملك على سبيل المودة والصداقة من خزائنا العالية من القماش ، ما تشهد به الورقة المسيرة طيهما ، ليعلم أن المحبة بيننا تأكدت ، والمودة تقررت ، وأنا قد أجبنا سؤاله إلى ما طلبه فى العجبه والمودة ، فحيط علمه بذلك ، ويواصل بكتبه وأخباره ، والله تعالى يحرس من الغير مهجته ويديم سروره وبهجته ، ان شاء الله تعالى .

كتب في خامس شهر رجب الفرد سنة تسع وتسعين وستماية حسب المرسوم الشريف (١) . الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .
حسينا الله ونعم الوكيل .

ثانياً — عقد زواج مؤرخ في ١٥ جمادى الأولى سنة ١٩٤٥ هـ
(نقلا عن كتاب ، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)

(بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أصدق صلاح بن موسى الشميرى كريمة ابنة
على بن رجا الطحان ، عندما خطبها إلى نفسها وهي يومئذ امرأة أيم بكر بالغ في
صحة العقل والبدن جايزة الأمر لها وعليها ، وأبدلها بالصدائق العاجل والآجل
دينارين وازنين جديدين ، أنقدا منها دينار واحد مقبوضا عند عقده نكاحها ،
قبضته منه تاما وافيا ، وأبرأته من ذلك براءة قبض واستيفاء ، وعلى أن الدينار
الآخر الذي هو بقية صداقها مؤخر لها عليه إلى القننى سنة واحدة ، أولها في النصف
من جمادى الأولى من سنة تسع عشر وأربعمائة ، وعليه أن يتقى الله الكريم فيها
ويحسن صحبتها ومماثرتها ، ولا يضارها كما أمر الله عز وجل به في كتابه وسنة
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في الامساك بمعروف أو التمرير بإخسان به
الطاهرين أبا مولانا أمير المؤمنين الظاهر لأعزاز دين الله ..) (٢)

(١) Los Documentos arabes diplomaticos del archivo de la
Corona de Aragon, ed. por Maximiliano Alarcon Y Santon,
Madrid, 1940, p. 344-346

(٢) جروهمان ، أوراق البردى العربية ص ٩٧ ، ٩٨

ثالثا — عقد اتفاق خاص بحائط مءوك لشخصين

في سنة ٢٧٤ هـ

(نقلا عن كتاب : أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ، ج ١)
(بسم الله الرحمن الرحيم . شهد الشهود المسمون في هذا الكتاب على إقرار
الحسين بن صالح الزجاج وقامة ابنه إدريس ، الساكني مدينة أشمون أن الحائط
الذي بحرى منزل الحسين بن صالح وقبل منزل قامة بنت إدريس فيما بينهما بنصفين
ليس لأحد منهما أن يمنع صاحبه من وضع خشبة أو جريدة على هذا الحائط ،
ولهما كل حقه ومتى أصاب هذا الحائط عدم أو استرم فعلى الحسين بن
صالح بناءه ، وترمه من ماله ، وخدر شهد على ذلك سليمان بن داود المؤذن على
إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا الكتاب . وكتب في ذى الحجة سنة أربع وسبعين
ومائتين ، شهد فلان بن فلان على إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا الكتاب . وكتب
شهادته في ذى الحجة من سنة أربع وسبعين ومائتين . شهد عثمان بن . . . على
إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا الكتاب ، وكتب شهادته في ذى الحجة سنة أربع
وسبعين ومائتين . شهد . . . بن جوهر على إقرارهما جميعا بجميع ما في هذا
الكتاب وكتب شهادته في ذى الحجة سنة أربع وسبعين ومائتين . . .) (١)

رابعا — رسالة من قرّة بن شريك وإلى مصر إلى بسيل

صاحب أشقوه سنة ٩٠ هـ

(نقلا عن كتاب Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(بسم الله الرحمن الرحيم من قرّة بن شريك إلى بسيل صاحب أشقوه ، فإنني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فإنك قد علمت الذي كتبت إليك به من جمع

المال ، والذي قد حضر من عطاء الجند وعيالههم وغزو الناس ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ في جمع المال ، فإن أهل الأرض قد حموا منذ أشهر ، ثم عجل إلى بما اجتمع عندك من المال بالاول فالاول ، ولا أعرفك ما حبستنا بما قبلك ، فإن أهل الأرض قد فرغوا من الحرث وعلبوا ما عليهم ، وصلحت أقراطهم لبيع ما ازدوا منها ، فمجل عجل بما اجتمع عندك من المال فإنه لو قد قدم إلى المال قد أمرت للجند بمطالمتهم إن شاء الله ، فلا تكونن آخر العمال بعثا بما قبله ، ولا ألو منك في ذلك ، والسلام على من اتبع الهدى ، وكتب يزيد يوم الجمعة (١)

خامسا - رسالة من قره بن شريك الى بسيل صاحب أشقوه

يطلب منه أن يرسل التعليمات الخاصة بدفع الجزية إلى جسطال كورته (٢) ،
وال موازيت القرى (٣) ، سنة ٩٠ / ٩١ هـ .

(نقلا من : Arabic Papyri ، الجزء الثالث)

(. . .) الأجل أعاقبه أشد العقوبة ، وأغرمه أثقل الغرامة ، ولا أخال ذلك إلا قد كان بلغك وبلغ أهل كورتك ، ولعمري حال الأجل منذ أكثر من شهرين

(١) وثيقة رقم ١٤٨ ، ص ١١ - ١٣

(٢) المشرف على مالية السكورة أي مندوب ديوان الخراج والأموال (راجع: سيدة كاشف ، مصر في عصر الولاة ، ص ٢٥) ، واللفظة مشتقة من الكلمة البيزنطية أوجستاليوس

(٣) رؤساء أو مفاتيح القرى ، والكلمة مشتقة من الكلمة البيزنطية ميزوتروس (نفس المرجع ، ص ٢٥)

وقد كتبت اليك قبل كتابي هذا آمرك أن تعجل إلينا بما قد جمعت من جزية كورتك، وأردت أن أرفق بهم وأتجاوز عنهم بما قد قبضت منهم على نحو الذي كانوا يؤدون في بيت المال كل سنة ، فلا أظن كتابي هذا قادما عليك إن كان فيك خير إلا وقد بعثت بالذي قد جمعت من جزية كورتك . فإذا جاءك كتابي هذا فلا أعرفن ما استوفيت من الجزية بعد الذي ترسل بما قد جمعت من الجزية دينارا ولا نصفًا ولا ثلثًا إلا ما كان على وزن بيت المال ، ونفذت في ذلك إلى جسطال كورتك وإلى موازيت القرى ، فإنك ...) (١)

سادسا — عقد بيع دار بطليطلة مؤرخ في ابريل ١٠٩٣م

(نقلا من كتاب Los Mozarabes de Toledo (٢))

(اشترى خير بن ركوى من يحيى بن عبد السلام جميع الدار الذي له بحومة رجة القشالي ، حد الدار في الشرق : دار خلف بن جواد ، وفي الغرب دار جلبارت الفرنجي ، وفي القبلة دار أبي الحسن بن زكري ، وفي الجوف دار مفرج بن عثمان ، بشن عدته اربعون دينارا من الدينارات الجارية بطليطلة حين هذا التاريخ في شهر ابريل الكاين في سنة واحد وثلاثين ومائة وألف من تاريخ الصفر

وشهود الأصل فيه وفرج بن عبد الله ، ومسعود زرقون شهد وكتب ، عبد الرحمن بن يحيى شاهد على ذلك ، وعيسى بن الحسن شاهد وكتب عنه بأمره

(١) وثيقة رقم ١٤٩ ، ص ١٠ — ١٧

(٢) Angel Gonzalez Palencia, Los Mozarabes de Toledo, en

los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid 1926, p.3

وعيشون بن يحيى شاهد ، هذيل حكم شاهد وكتب ، زكري بن عثمان شاهد وكتب عنه ، وبالأعجمى يشتش فليش بطرة تشتش . صححت هذه النسخة في العشر الأوسط من شهر شتبر سنة ثلاثين ومائتين وألف للصفر . يوان بن يليان السقلى شهد ، ويوانش بن مقاييل بن عبد العزيز المشنارى ، وباطره بن عمر بن غالب بن القلاس) .

سابعاً - نص وقفية جامع طينال بطرابلس الشام

(نقل عن Répertoire Chronoloigque d'Epigraphie Arabe) (١)

(بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذا الجامع المعمور بذكر الله تعالى مولانا المعز الأشرفى العالى المولوى المكافى السيدى المالكى المخدومى السيفى طينال المالكى الناصرى ، كافل الممالك الشريفة الطرابلسية ببلغه الله آماله ، وتقبل فى الصالحات أعماله ، ووقف عليه لمصلحه المعينة فى كتاب وقفه جميع البستان المعروف بالحنوى بظاهر طرابلس ، وجميع الحانوتين الملاصقين لبابه ، وجميع البستان المعروف قديما بالطنطاش ببقى طرابلس ، وجميع الحانوتين الملاصقين لسوق السلاح بجوار الحمام المعروف بأبندمر ، وهى الآن ملك الواقف ، وجميع تلك الخان بدار الوكالة القديمة ، وجميع القرية المعروفة بأزرونية من

(١) R. C. E. A. , t. XV, p. 60.

السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الاسلامى ، الاسكندرية ١٩٦٢ ،

ملحق رقم ٣ ص ١٧٥

عمل عرقا بجون طرابلس ، وشرط أنه مهما فضل من ربيع هذا الوقف عن أرباب وظائفه ومصالحه المعينة في كتاب يصرف للفقراء والمساكين المقيمين بطرابلس والواردين إليها حسب ما يراه الناظر في ذلك من غير أن يرتب لأحد مرتبا في كل شهر أو كل يوم ، ومن غير ذلك أو بدله ، أو رتب شيئا مستمرا ، كانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) .

(٢)

الكتابات الأثرية أو النقوش

النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام ، والاسلامى بوجه خاص ، لأن أكثر ما وصل إلينا عن العصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام فى المصادر العربية المدونة لا يعدو أن يكون روايات يغلب عليها الطابع الأسطورى ، وتختلط فيها الحقيقة بالخيال ، والنقوش الكتابية لذلك تلى الوثائق السياسية فى الأهمية التاريخية ، لأن الكتابات الأثرية بما تتضمنه من أخبار تعد مادة أساسية للتاريخ الإسلامى والحضارة . ولا شك أن الكتابات الأثرية والنقوش المسجلة على الآثار ووثائق أصيلة يستند عليها المؤرخ فى تأريخه للحوادث ، فهى كتابات محايدة غير مفرضة ، وهى كذلك معاصرة للأحداث التى تسجلها ، لم تشوهها الروايات والنقول (١) ، ولذلك فطن الباحثون فى التاريخ الإسلامى حديثا إلى أن فى الإمكان تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية التى وقع فيها بعض الأخباريين والمؤرخين فى العصر الإسلامى ، وإمالة الثام عن حقائق تاريخية جديدة كانت مخفية عنهم ، عن طريق النقوش الكتابية التى وصلت إلينا ، وما أكثر ما سجل منها على الآثار . فالنقوش الكتابية التى تدور حول قباب المحراب والبهو بجامعى

(١) زكى محمد حسن ، دراسات فى مناهج البحث ، والمراجع فى التاريخ الإسلامى ،

ص ١٦٢ - سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامى ، ص ٦٣ .

من المعروف أن النقوش الأثرية تثبت حقائق ثابتة وتتضمن توائما صحيحة وأعلاما يقل فيها التحريف ، بينما كان الكتاب والمؤلفون كثيراً ما ينحرفون عن ذكر الحقائق لعوامل شخصية أو عاطفية ، وقد يتخير المؤلف للأسرة التى يكتب فى ظلها ، أو قد يتمصب لمذهبها ،

القيروان والزيتونة بترنس ، والكتابات التي نطالها على واجهة المحراب وحول قاعدة قبة بجامع قرطبة ، وآلاف النقوش المسجلة على آثار القاهرة المعزية والايوية والمملوكية ، وعلى الأسوار وأبواب القلاع ومدخل الفنادق والقصور في مصر والشام والعراق والمغرب ، تتضمن تواريحاً ثابتة لهذه المنشآت ، كما تتضمن في كثير من الأحيان أسماء منشئها من الأمراء والحكام والسلاطين والخلفاء ، وفي بعض الأحيان أسماء العرفاء والمهندسين والمزوقين الذين أشرفوا على إنشائها وتزيينها ، وهي أمور غفلت الوثائق التاريخية عن ذكرها على هذا النحو من الدقة .

ولا تقتصر أهمية الكتابات الأثرية على النواحي السياسية فحسب ، بل تتجلى أهميتها في النواحي الدينية والاقتصادية أيضاً : فصلاح الدين قضى على الدولة الفاطمية وقضى في نفس الوقت على مذهبها الشيعي الاسماعيلي في مصر (٢) ،

(١) عثر على كتابة نسخية في لوحة على باب القرافة (برج الإمام حالياً) من أبواب قلعة صلاح الدين نصها (بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا الباب المبارك والسور المتصل به الملك الناصر جامع كلمة الإيمان ، قام عبدة الصليان صلاح الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، بحسب الدولة أمير المؤمنين في شهور سنة ست وسبعين وخمسة)

Répertoire Chronologique d'Epigraphie arabe, t. IX, p.108
وعلى باب المدرج من أبواب القلعة نقش تأسيس نصه (بسم الله أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحرسة القاهرة بالعزلة التي جمعت قعاً وتحصينا وسعة على من التجبى إلى ظل ملكه ، وتحصينا ، مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب ، بحسب دولة أمير المؤمنين ، في نظر أخيه وولي عهده الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد ، خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ، ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملك الناصري في سنة تسع وسبعين وخمس مائة) Répertoire, p.123 .

وسجل ذلك في كثير من النقوش . ومن الساحة الاقتصادية ، كان سلاطين المماليك يسجلون مراسيمهم الخاصة بإلغاء بعض الضرائب أو تخفيف بعض المكوس ، على جدران الآثار (١) .

وعلى الرغم من أن الكتابات الأثرية العربية ينقصها التنوع ، ويكثر فيها التكرار ، فإنها تعتبر مصدرا هاما للباحث في التاريخ الاسلامي ، ولذلك اهتم المستشرقون بالنقوش العربية اهتماما خاصا ، فصنفوا فيها البكتب والتوالييف ، واهتموا بجمعها وترتيبها . ومن أشهر المشتغلين بالكتابات الأثرية العربية من المستشرقين الأساتذة ماكس فان برشم (٢) ، وادمون فانيو (٣) ، واتييين

Sobernheim, Corpus Inscriptionum Arabicarum, t. XXV, (١)
1909, pp. 62 - 69 - السيد عبد العزيز سالم ، طرابلس الشام في التاريخ الاسلامي ،
ص ٤٢٢ ، ص ٤٧٧ .

Max Van Berchem, Matériaux pour un Corpus (٢)
Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, dans M. M. A. F. C.,
t. 19. 1894,

..... : Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, t.
II, Syrie du Sud, 1922

..... : Matériaux pour un Corpus, t. II, Syrie du Nord.

..... : Matériaux pour un Corpus, t. III, Asie Mineure.

Max Van Berchem & Edmond Fatio, Voyage en (٣)
Syrie, 2 vols, dans Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie
Orientale du Caire, t. 37, le Caire, 1914 - 1915,

کومب (١)، وجاستون فييت (٢)، وليقى بروقنسال (٣)، وجان سوفاجيه،
وسوبرنهيلم (٤)، وأمادور دى لوس ريوس (٥)، وفيل (٦)،

Combe, Sauvaget, Wiet : Répertoire Chronologique (١)
d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931 - 1944

Wiet, Matériaux pour un Corpus Inscriptionum (٢)
Arabicarum, l'Egypte, vol. II, Mémoires I. F. A. O., t.
52, 1930.

Wiet, une inscription d'un prince de Tripoli de la dynastie des
Banu Ammar, dans Mémorial H. Basset, par l'Institut de H.E.M.,
t. XVIII, Paris 1928.

Lévi - Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne, (٣)
Paris, 1931.

Sobernheim (Moritz) : Corpus Inscriptionum Arabicarum, (٤)
t. XXV, 1909

Amador de los Rios, Inscripciones árabes de Sevilla, (٥)
Madrid, 1875.

Amador de los Rios Inscripciones árabes de cordoba, Madrid, 1879

Amador de los Rios: Epigrafia árabe : Capiteles con inscripciones
descubiertos en Cordoba, Revista de Archivos, II, 1898

Weill, les bois à Epigraphes jusqu' à l'époque (٦)

Mamelouke, Catalogue générale, de Musée arabe du Caire,
2 vols., 1931, 1936.

وبل (١) ، ومائويل أوكانية (٢) .

-
- A. Bell, Inscriptions arabes de Fès, J. A. 1917—1919. (١)
M. Ocana Jimenez, La inscripcion Fundacional de la (٢)
Mezquita de Ibn Adabbas en Sevilla, al-Andalus, vol. XII,
fase. I, 1947.

(٣)

العملات أو النميات أو المسكوكات

السكة على حد قول ابن خلدون الختم على الدينارين والدرهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقاربة ، ويضرب بها على الدينار أو الدرهم ، فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدرهم والدينارين بوزن معين صحيح يصطاح عليه ، فيكون التعامل بها عددا ، وإن لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا . ولفظ السكة كان اسما للطابع ، وهي الحديدية المتخذة لذلك ، ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المائلة على الدينارين والدرهم ، ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته ، وهي الوظيفة ، فصار علما عليها في عرف الدول ، وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ، ويتقون في سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ، (١) . وقد أشار الماوردي في الأحكام السلطانية إلى أن السكة : الحديدية التي يطبع عليها الدرهم ، ولذلك سميت الدرهم المضروبة سكة ، (٢) ، وفسر المقرئ في كتاب الأوزان والأكيال الشرعية السكة بأن : الدينار والدرهم المضروبين سمي كل منهما سكة لأنه طبع بالحديدية المعلبة ، ويقال لها السكة ، (٣) . وأول من سك العملات العربية الإسلامية الخالصة

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٦٣٩

(٢) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ ، ص ١٤٠

(٣) المقرئ ، الأوزان والأكيال الشرعية ، لعة تيشن ، Tychsen ، روستوك

هو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٧ هـ ، الذي رأى في ضرب عملات عربية إسلامية ضرورة لازمة لتدعيم البناء الاقتصادي والسياسي للدولة العربية ، ومن الملاحظ أن عمر عبد الملك شهد ظاهرة جديدة هي صبغ الدولة بصبغة قومية عربية في جميع الشؤون الإدارية والمالية ، فإليه يرجع الفضل الأعظم في تعريب الدواوين ، وإليه يرجع الفضل أيضا في تعريب السكة الإسلامية ، وكان ذلك ضرورة من ضرورات الحكم في مرحلة الاستقرار التي أعقبت مرحلة الفتوحات (١) .

وتعتبر دراسة العملات الإسلامية أساسا هاما لدراسة التاريخ السياسي والاقتصادي للدولة الإسلامية ، فالكتابات المنقوشة على السكة تتضمن أسماء الخلفاء والسلاطين وألقابهم ، وتاريخ الضرب ، وبعض عبارات خاصة بالمذهب الديني السائد ، والمدينة التي ضربت فيها العملة ، ولذلك فإن العملات سجل للألقاب والنعوت التي توضح كثيرا من الأحداث السياسية ، وتثبت أو تنفي تبعية الولاة والحكام للخلافة ، كذلك تفيد دراسة العملات في تحقيق كثير من الحوادث السياسية المتعلقة بفتح البلاد عنوة أو صلحا وذلك عن طريق ظهور اسم الخليفة على سكة إقليم من الأقاليم ، فإن الدراسين للعملات يطالعون أسماء حكام وأسرار حاكمة قد تسد فراغا في جداول الأسرار الحاكمة في الشرق (٢) ، وتفيدنا العبارات الدينية المنقوشة على وجه العملة أو على ظهرها في بيان المذهب الديني للأسرة الحاكمة . وكثيرا ما تساهم النقوش المسجلة على العملات في تصحيح بعض

(١) عبد الرحمن فهمي ، فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف الفن الإسلامي ،

القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٣٨

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢

الأخطاء التاريخية المعروفة ومثل ذلك أن بعض المصادر العربية تؤكد على أن إدريس ابن إدريس بن عبد الله بن حسن هو الذى أسس مدينة فاس فى سنة ١٩٢ هـ ، فى حين أن مصادر أخرى تؤكد أن فاس من بناء إدريس الأول بن عبد الله ، وأنه أسسها فى سنة ١٧٢ هـ . وقد كان ذلك الاختلاف فى تأريخ إنشاء فاس سببا فى حيرة المؤرخين المحدثين ، إلى أن عثر على عملات ضربت فى مدينة فاس فى سنتي ١٨٥ ، ١٨٩ هـ الأمر الذى يقطع بصحة النظرية القائلة بإنشاء فاس فى سنة ١٧٢ هـ ، ويفسر الأستاذ لبقى بروفنسال كيف استقر التاريخ الخطأ لبناء فاس فى سنة ١٩٢ هـ وحل محل التاريخ الحقيقى الصحيح وهو سنة ١٧٢ هـ بأنه من المحقق وقوع لبس أساسه يرجع إلى خطأ يسير فى القراءة بين رقمي سبعين وتسعين ، وهو خطأ أدى إلى تحريف سنة ١٧٢ إلى ١٩٢ هـ (١) .

أما من الناحية الاقتصادية فإن العملات طالما كانت تستخدم فى التداول الداخلى أى فى التجارة الإقليمية ، وطالما كانت مادتها ووزنها مختلفا فى العصور المختلفة حسب ما يصدر من قوانين مالية ، ففى الإمكان معرفة الحالة الاقتصادية للعصر الذى كانت تستعمل فيه هذه العملات للتداول الداخلى (٢) ، وإلى نوع النقد الذى كان يشهد الإقبال عليه فى العصور المختلفة وأسبابه الاقتصادية . ثم إن العثور على عدد من العملات المضروبة فى عصر ما ، فى بلاد مختلفة إسلامية وغير إسلامية ، يشير إلى الآفاق التى كانت تمتد إليها التجارة الإسلامية فى هذا العصر .

(١) لبقى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٩ ، ٣٠ - السيد عبد العزيز سالم المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) راجع مقدمة : المقرئى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة ، والدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧ .

واقده وصلتنا ، لحسن الحظ ، بالإضافة إلى العملات العديدة المختلفة التي كشف عنها البحث الأثرى في البلاد الإسلامية ، كتب خاصة بالنقود الإسلامية. تعتبر مصادر هامة للباحثين في علم النميات ، وأهم هذه الكتب ما يلي :

كتاب « الخراج » ، لأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢ هـ) (١) ،
وكتاب « فتوح البلدان » ، البلاذرى (ت ٢٧٩ هـ) (٢) ، وكتاب « الأحكام
السلطانية » ، الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) ، وكتاب « قوانين الدواوين » ، للأسعد
ابن ممتى (ت ٦٠٦ هـ) ، (٤) وكتاب « الحيوان » ، الدميرى (ت ٨٠٨ هـ) ،
وكتاب « المحاسن والمساوى » ، البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) ، ومقدمة ابن خلدون
(ت ٨٠٨ هـ) ، وكتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، لتقى الدين المقرئى (٧)
(ت ٨٤٥ هـ) ، وكتابه « شذور العقود في ذكر النقود » ، (٨) ، وكتابه « الأوزان
والأكيال الشرعية » (٩) .

(١) أبو يوسف ، كتاب الخراج ، بولاق ١٣٠٢

(٢) البلاذرى ، فتوح البلدان ، تحقيق دكتور صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٥٧ ،

ج ٣ ص ٥٧١ - ٥٧٨

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، بولاق ١٣١٨

(٤) ابن ممتى ، كتاب قوانين الدواوين ، جمع وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ،

القاهرة ١٩٤٣ هـ

(٥) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ١٩٥٤ (جزآن) وطبعة مصر ١٣١٩ هـ

(٦) البيهقى ، المحاسن والمساوى ، القاهرة ١٣٢٥

(٧) المقرئى ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور محمد مصطفى زبادة والدكتور

جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧

(٨) المقرئى ، شذور العقود في ذكر النقود القديمة والإسلامية ، تحقيق الطبائى ،

النجف ، ١٣٥٦ هـ .

(٩) المقرئى ، الأوزان والأكيال الشرعية ، نشره تيش ، روستوك ١٧٩٧ .

ولقد اهتم المؤرخون المحدثون بدراسة علم النقود العربية اهتماما كبيرا لكثرتها ، وتنوعها ، وتعود أشكالها . فأخرج العالم العراقي الالب أنستاس مارى الكرملى فى سنة ١٩٢٩ كتابا بعنوان : « النقود العربية وعلم النميات » (١) ، جميع فيه أهم ما كتبه المؤرخون العرب أمثال المقرئى فى « شذور العقود فى ذكر النقود » ، وفى إغائة الأمة بكشف الغمة » ، والبلاذرى فى « فتوح البلدان » ، والدميرى فى « حياة الحيوان الكبرى » ، والبيهقى فى « المحاسن والمساوى » ، وأبو المحاسن فى « النجوم الزاهرة » ، وابن خلدون فى « المقدمة » ، والقلقشندى فى « صبح الأعشى » . وأضاف الالب أنستاس الكرملى تفسيرات كثيرة وتعليقات هامة لأسماء الرجال والنعموت والألقاب الواردة فى النقوش ، والمواد التى تتخذ منها الموازين والمكايل والمقاييس والأثمان ، بما يكشف النقاب عن كثير من الحقائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وهناك بحوث أخرى كثيرة كتبها مستشرقون وعرب متخصصون فى دراسة النقود الإسلامية نذكر منهم : لافوا Lavoix (١) ، ولين بول (٢) ، وسوفير (٣) ،

(١) طبع بالقاهرة فى سنة ١٩٢٩

(٢) Lavoix (H.), Catalogue des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, 3 vols , Paris 1887—1891 .

(٣) Lane - Poole (S.), Catalogue of the Oriental coins in the British Museum, London, 1875—1890.

Lane - Poole, Catalogue of the Mohammadan coins preserved in the Bodleian Library at Oxford, Oxford, 1888.

Lane Poole, Essays in Oriental Numismatics, 3 vols , London 1874-1892,

Sauvage, Matériaux pour servir à l'histoire de la (٤)

Numismatique et de la métrologie Musulmanes, Paris, 3 vols., 1882 - 1887 .

وما يلز (١) ، وكاستو ماريا دل ريفيرو (٢) ، والدكتور عبد الرحمن فهمي (٣) ،
وناصر السيد محمود النقشبندی (٤) ، والدكتور عبد المنعم ماجد (٥) ،

Miles, Coinage of the Umayyads of Spain, 2 vols., New (١)
York, 1948.

..... Contributions to arabic Metrology, New York, 1958.

Casto Maria del Rivero, La Moneda arabigo espanola, (٢)
Madrid, 1833 (2 vols.)

(٣) عبد الرحمن فهمي : صنع السكة في فجر الإسلام ، القاهرة ١٩٥٧

..... الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة الاسلامية ، عاضرة في المؤتمر الثالث

للآثار في البلاد العربية بفاس ١٩٥٩ ، القاهرة ١٩٦١

..... النقود العربية : ماضيها وحاضرها ، المكتبة الثقافية ، عدد ١٠٣ ، القاهرة ،

١٩٦٤ .

..... فجر السكة العربية ، مطبوعات متحف الفن الاسلامي ، القاهرة ١٩٦٥ .

(٤) ناصر السيد محمود النقشبندی ، الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ، ج ١ ، الديار

الأموي والعباسي ، بغداد ، ١٩٥٣

(٥) عبد المنعم ماجد : النقود الفاطمية ، مقال بمحليات كلية الآداب جامعة عين شمس ،

مايو ١٩٥٣ .

..... تاريخ الحضارة الاسلامية في العمارة الجبلية ، القاهرة ١٩٦٢ ،

(٤)

الآثار المعمارية والتحف

تعتبر الآثار الباقية سواء الثابتة منها كالمنشآت المعمارية ، أو المنقولة كالتحف المعدنية والخشبية والماجية والحزفية ، وأدوات الزينة والترف ، من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في كتابته التاريخية ، ذلك لأن الوثائق المكتوبة لا تكفي وحدها لهذا الغرض ، إما لندرتها ، أو لتناقض ما جاء فيها ، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالتمسح والأساطير ، أما الآثار فتتضمن نقوشا كتابية أصيلة بمعاصرة للأحداث ، وغير قابلة للتزوير والتحريف ، وهو أمر شائع في المصادر المكتوبة التي تتعرض مادتها في بعض الأحيان لأهواء الكاتب وميوله ، كما تتعرض في أحيان أخرى للتشويه والتحريف .

والآثار في حد ذاتها تفيد المؤرخ في الوقوف على درجة الاتقان المهني التي وصل إليها الفنانون المسلمون في العصور المختلفة ، كما تفيده في معرفة التيارات الفنية التي كانت تترك بصماتها في إنتاج الفنان المسلم ، ومصادر هذه التيارات ، والآثار على هذا النحو تعتبر سجلا تاريخيا حيا للأعمال التي قام بها الولاة والأمراء والسلاطين والخلفاء في العصور الإسلامية المختلفة ، وشاهدا ماديا ماثلا على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم أو تأخر فني في هذه العصور . وكثيرا ما تعبر بعض الآثار عن نواحي سياسية هامة ، فالتفود الأندلسي على المغرب الأقصى في عصر دولة بني أمية في الأندلس يتجلى بصورة واضحة في مسجد القرويين والأندلس بمدينة فاس ، وسيطرة المرابطين والموحدين على الأندلس يعبر عنها الأسلوب الفني المشترك السائد في كل من المغرب والأندلس في هذين العصرين ،

وغلبة الطابع الغرناطي على آثار المغرب كله منذ أوائل القرن الرابع عشر ، يعبر عن أثر العلاقات السياسية بين بني مرين وبني الأحمر في الفنون المعمارية والصناعية ، كما يعبر أيضا عن حقيقة تاريخية ثابتة ، هي هجرة الفن الأندلسي الغرناطي الى المغرب بعد انتهاء دولة الإسلام في الأندلس (١) .

كذلك يعبر استخدام الخوذة المنصصة التي تشبه العمامة والتي تمكسوها زخرفة خزفية خضراء بأعلى مئذنتي جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقاهرة ، واستخدام الزخارف المعروفة بالدالات في إحدى هاتين المئذنتين ، عن توافد تأثيرات مغولية إيرانية على مصر ، كما يعبر شكل مئذنة أحمد بن طولون الملوية ، وتشابهها بمئذنة جامع أبي دلف بسامرا ، واستخدام الزيادات في تخطيطه ، والدعام الآجرية في البناء ، والزخارف النباتية المحفورة حفرا مائلا في الجبس ، عن تأثير عراقي فارسي واضح كل الوضوح ، ولا مجال لانكاره (٢) . ومن المعروف أن مؤسس هذا الجامع من أصل تركي . ولد بسامرا ، وعاش فيها ، وتأثر بها شاهده من منشآت ، فنقل هذا الطابع السامرائي العراقي فيما أسسه من منشآت معمارية في مصر .

كذلك تفيد الآثار في دراسة تاريخ العمران المدني ، لأن الآثار تحدد المعالم البارزة من المدينة الإسلامية ، وتخطيطها في العمور الوسطى ، كما تحدد الأسوار المتخلفة والأسوار التي أقيمت في عصر لاحق عن تطور الاتساع العمراني في المدينة المراد دراستها .

(١) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ٩٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، المآذن المصرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٠٠ .

وعلى هذا النحو أصبحت دراسة الآثار ضرورة لازمة لدراسة التاريخ
السياسي والحضاري ، وعالم الآثار يعني بترتيب مخلفات الحضارات القديمة ،
وبتفسيرها ، واستنباط الحقائق التاريخية منها . وهو لا يقف في دراسة هذه
المخلفات عند ما له قيمة فنية منها فحسب ، بل انه يفحصها جميعا ، ويعمل على معرفة
تاريخها ، وتحديد مستوى الحضارة التي أنتجتها ، والأغراض التي كانت تستعمل
فيها ، وهو يصل إلى هذا كله بأساليب علمية ، قوامها المشاهدة والمعاينة والمقارنة
والاستنباط (١) .

وقد تنبه العلماء المستشرقون في العصر الحديث إلى أهمية الدراسة الأثرية
بالنسبة للتاريخ ، فتتابعت بحوثهم العلمية تلتى أضواء على نواحي تاريخية كانت
غامضة ، ومن أشهر هؤلاء المستشرقين : جورج مارسيه ، وهنري تيراس ، وإيلي
لامبير ، وتوريس بلباس ، وبوريس ماسلو ، وهنري باسيه ، وميجون ، وسلادان ،
فزاره ، وهرتسفيلد ، وكونل ، وكرسويل ، وآرثر لين ، وجاستون فييت ،
وسوفاجيه ، وديماند ، وجروهمان .

ومن أشهر علماء الآثار الإسلامية العرب والمشتغلين في
هذا الميدان الاساتذة : الدكتور أحمد فكرى (٢) ، والدكتور فريد
شافعي ، والدكتور عبد العزيز مرزوق ، والدكتور جمال محمد

(١) زكى محمد حسن ، دراسات في مناهج البحث ، ص ١٥٤

(٢) الأستاذ الدكتور أحمد فكرى فضل عظيم في تكوين عدد من الباحثين في الآثار
من تلاميذه ، فعليه أخذ الدكتور محمد توفيق بليغ والدكتور عثمان اسماعيل والأستاذ حلمي
سالم ومؤلف هذا الكتاب ، كذلك كان لأعماله الأصيلة في الآثار الإسلامية في المغرب

والمرحوم الدكتور زكى محمد حسن، والمرحوم الأستاذ حسن عبدالوهاب، والأستاذ
حسن حسنى عبدالوهاب، والأستاذ إبراهيم شبوح، والأستاذ عبدالعزیز بن عبدالله،
والأستاذ عبد الهادى التازى، والدكتور موریس شهاب، والأستاذ أحمد كمال،
والأستاذ مصطفى جواد، والأستاذ ناصر النقشبندى، والأستاذ كوركيس
عواد، والأستاذ كاظم الجنابى.

—————

== والمشرق، ودراساته العميقة فى فن العمارة الإسلامية، أعظم الأثر فى تصحيح كثير من
مأخذ المنتشرین ومزلاتهم :

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١) القرآن الكريم والحديث والتفسير

(٢) كتب الطبقات والأنساب

(٣) كتب الجغرافية

(٤) كتب الرحلات

(٥) الشعر العربي والكتب الأدبية

(٦) كتب الخراج والحسبة والخطط

الفصل الخامس

المصادر المكتوبة

(١)

القرآن الكريم والحديث والتفسير

يعتبر القرآن الكريم ، أساس التشريع الاسلامي ومصدره الاول ، مصدراً تاريخياً هاماً ، بل أقدم المصادر العربية المدونة لتاريخ العرب في عصر الجاهلية ، وأصدقها على الإطلاق لأنه تنزيل من الله تعالى لاسيل إلى الشك في صحته نصه (١). وفيه ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والدينية ، وفيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة (عاد وثمود) ، وفيه أخبار عن أصحاب الفيل (أبرهة الحبشي وجيشه) ، وسيل العرم (وهو السيل الذي أصاب سد مأرب) ، وأصحاب الأخدود (أهل نجران الذين أحرقهم ذو نواس الخيرى في أخايد) . هذه الأخبار أوردها الله تعالى في كتابه العزيز وعظة للعرب بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص لتكذيبهم الرسل والأنبياء ، وقد أثبتت الحقائق التاريخية الثابتة والكشوف الأثرية صحة ما جاء في القرآن الكريم من أخبار العرب البائدة ودقتها ، ومن المعروف أن الشعوب العربية البائدة انقرضت لعاملين: الرمل الزاحف الذي طغى على العمران القديم في أواسط شبه الجزيرة العربية وفي

(١) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٨ - جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، القسم السياسي ، ج ١ ، بغداد ١٩٥٠ ص ٣٥ - صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢ ص ٣٩٣ - عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٩٦٤ ص ١٦.

الاحقاف ، وهياج البراكين وما ترتب عليه من تدمير شامل لمدينة كانت مزدهرة .
ولقد ورد في القرآن الكريم أن قبائل عاد وثمود بادت بصاعقة دمرت كل شيء .
وأن الله أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أتت على كل شيء ، وفي عاد وثمود
يقول الله تعالى : « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد
منا قوة ، أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا
يمجدون . فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في
الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون . وأما ثمود فهديناهم
فاستجبوا لعمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » (١) .
وقال تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ماتنذر من شيء أتت عليه
إلا جعلته كالرميم ، وفي ثمود إذ قيل لهم تمنعوا حتى حين . فعتوا عن أمر ربهم
فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين » (٢) ،
وقال تعالى : « وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين ، كأن لم
يغترفوها ، إلا إن ثموداً كفروا ربهم ألا بعداً لثمود » (٣) . ولستدل من هذه الآيات
القرآنية على أن قوم ثمود وعاد ملكوا على أثر ريح عاتية أو على أثر تفجر
بركان صحبته رجفة عنيفة . ويذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن
عاد كانت تقوم في الاحقاف من اليمن ، بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر ،
استناداً إلى قوله تعالى : « واذكرا أن عَاد إذ أنذرتهم بالاحقاف » (٤) . ولكن
القرآن الكريم لم يحدد موضع الاحقاف من بلاد العرب ، وإنما حدد المفسرون ،

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤١ آية ١٥ — ١٧

(٢) القرآن الكريم ، سورة القاربات ٥١ آية ٤١ — ٤٥

(٣) القرآن الكريم ، سورة هود ، ١١ آية ٦٧ — ٦٨

(٤) القرآن الكريم ، سورة الاحقاف ٤٦ آية ٢١

ولما كانت لفظة الاحقاف تعنى الرمال ، فقد اندفع معظم الاخباريين يلتمسون مواضع عاد في الصحراء ، وأخذوا ينسجون حولهم التمسح والاساطير ، غير أن بطليموس الجغرافى يذكر أن شعب Oaditae أو عاد كان يسكن فى المناطق الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب ، وفى منطقة حسمى بالذات ، على مقربة من منازل ثمود « Thamydeni » . وما يؤكده صحة ما ذكره بطليموس أن عاد اقترن ذكرها فى القرآن الكريم بثمود ، « الذين جابوا الصخر بالواد » (١) ، والمقصود بالواد وادى القرى ، وهو أحد الأودية التى تتخلل سلسلة جبال حسمى ، ومن بينها جبل إرم (٢) ، الذى يعرف اليوم باسم جبل رم (٣) فى الأردن ، كما أن منطقة حسمى الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع مساكن ثمود من مناطق الاحقاف الرملية التى حدد المفسرون موقعها بين اليمن وساحل عمان ، ونضيف إلى هذه القرائن ما رواه البكرى فى معجمه إذ يذكر أن الاحقاف التى كانت منازل عاد جبل بالشام أو هى خشاف من حسمى ، والخشاف الحجارة فى الموضع السهل واسم الاحقاف « حقاف » تجده اليوم فى المنطقة الجنوبية الغربية من مدين (٤) .

كذلك لم يحدد القرآن الكريم منازل ثمود تحديدا دقيقا ، ولكن ورد فيه ما يشير إلى أنهم نحتوا بيوتهم فى الصخر بالوادى « و ثمود الذين جابوا الصخر

(١) القرآن الكريم ، سورة الفجر ٨٩ آية ٩

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، المجلد الأول ، طبعة بيروت ١٩٥٥ ، ص ١٤٤

(٣) ألويس موصل ، شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسنى ، الاسكندرية

١٩٥٢ ص ١٣٠ ... جواد على ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ . وجبل رم يقع على

بعد ٢٥ ميلا شرق العقبة قريبا من عين ماء ، وقد عثر فى هذا الموضع على آثار من العصر

الجاملى (جواد على ، ج ١ ص ٢٣٥) .

(٤) موصل ، شمال الحجاز ص ١٢٧

بالوادي ، وقد فسرت الآية بأن قوم ثمود نقروا بيوتهم في صخور الجبال في وادي القرى . ويذكر المسعودي أن منازلهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبشي ، وأن ديارهم بهج الناقة ، وبيوتهم كانت مائتال في عصره منحوتة في الجبال ، ورسومهم باقية وآثارهم بادية في طريق الحاج لمن قدم من الشام بالقرب من وادي القرى (١) ، ويؤكد ابن خلدون أن ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام . وأن الرسول مر على خرائب ديارهم في غزوته لتبوك ، ونهى عن دخولها (٢) ، كذلك ورد اسم ثمود في كتب اليونان ، وحددها بليوس فيما بين مدينتي دومة الجندل Domata ومدينة الحجر Haegra ، كما حددها بطليموس بالقرب من ديار عاد في أعالي الحجاز (٣) . ومن المعروف أن الحجر كانت من المحطات التجارية الهامة في الطريق التجاري بين اليمن والشام ومصر والعراق (٤) . وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من الكشف عن عدد من النقوش التمودية في أرض تبوك ومدائن صالح وتيما ، وفي جبل رم ، وفي الطائف (٥) . ويعتقد كوسان دي پرسفال أن هناك ثمة تقارب بين التموديين الذين نحتوا بيوتهم في الجبال وصاحبهم قدار الأحمر الذي تسبب في نكبتهم حتى قيل (أشام من أحمر ثمود أو أشام من غافر الناقة) وبين الحوريين أو سكان

-
- (١) المسعودي ، مروج الذهب ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٤٢ . وفي موضع آخر يشير إلى أنهم كانوا ينزلون الحجر بين الشام والحجاز (ج ١ ص ٤٢) .
(٢) ابن خلدون ، كتاب العبر ، مجلد ٢ ص ٤١ (طبعة بيروت ١٩٦٥)
(٣) جواد علي ، ج ١ ص ٢٤٨ .
(٤) موسل ، شمال الحجاز ، ص ١٣١ — جواد علي ، ج ١ ص ٢٤٨ وما يليها ،
(٥) جواد علي ، ج ١ ص ٢٥٠

الكهوف في بلاد سعيير وزعيمهم كدر لعومر الواردة أخبارهم في التوراة (١) .
ويعتقد برسفال أن الثموديين هم الحوريون سكان بلاد سعيير حتى برية فاران
ويعلل خلط الأخباريين بينهم بأن الثموديين كانوا يسكنون في مناطق مجاورة
للحوريين (٢) .

وسيل العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم يعتمد به السيل الذي أدى
إلى انهيار سد مأرب الشهير ، أم سدود اليمن في عصر الدولتين السبئية والحيرية
الأولى ، وإلى هذا السد يرجع الفضل الأعظم في تحويل مأرب ، حاضرة السبئيين
إلى جنة يانعة ، وإلى تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيدة (٣) ، وبالبقعة
الخضراء والأرض الخضراء ، والخضراء لكثرة مزارعها وأشجارها وثمارها (٤) ،
بل اتنا نعتقد أن بلاد اليمن التي ورد اسمها في النصوص الجنوبية باسم يمانات
ويماننت ومعناها الخير واليمن (٥) . وما زالت آثار السد وآثار الجنتين الواقعتين
على يمينه وعلى يساره ظاهرة حتى اليوم ، تؤكد صحة ما جاء في القرآن الكريم :
« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال » (٦) .

أما في عصر النبوة فتتجلى أهمية القرآن الكريم التاريخية ، في أنه يبين

(١) سفر التكوين ، اصحاح ١٤/٤

(٢) Caussin de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, Paris, 1847, t. I, p. 26.

(٣) عرفها اليونان باسم Arabia Felix .

(٤) الهدائق ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٠

(٥) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ العرب في الجاهلية ، ص ١٢٧ .

(٦) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، آية ١٤ - ١٦ .

تطور الدعوة الإسلامية ، ويشير في مناسبات كثيرة الى الجهود المضنية التي بذلها النبي صلى الله عليه وسلم لنشر الاسلام وتأسيس الدولة الاسلامية ، والعقبات التي صادفته ، لأن كل سورة فيه ترتبط بفترة معينة من حياته .

ومع ذلك فإن عدداً من المستشرقين لا يعتبرون الكتب المقدسة ومن بينها الكريم مصادر تاريخية يعول عليها ، لأن ما جاء فيها لا يتضمن تفاصيل تاريخية ، كما أنها تهدف الى عبرة أخلاقية ، بالإضافة الى أن بعض أخبارها لا يزال غير واضح وينقصه التحديد الزماني والمكاني (١) . وعلى الرغم من ذلك فإن القرآن الكريم يعتبر مصدراً لا يرقى اليه الشك للتأكيد على وقوع بعض أحداث في الجاهلية مثل حادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة سيل العرم ، وقصة أصحاب الفيل ، ثم انه مرآة صادقة للحياة الجاهلية ، يصور الحياة الدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والعقلية أيضاً صدق تصوير (٢) .

أما الحديث ، وهو المصدر الثاني للشريعة الإسلامية لأنه يتضمن أحكاماً وقوانين للجمتمع الاسلامي المتطور ، فيعتبر صدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم ، على الرغم من أن الحديث لم يدون بالعمل الا في أواخر القرن الثاني الهجري ، في خلافة عمر بن عبد العزيز لأن الأحاديث كانت تحفظ في صدور الرجال أو تكتب في صحائف متفرقة . والحديث يمثل أقدم الروايات الشفوية التي وصلت الينا عن طريق التدوين وأدقها ، لاعتماده على الاسناد ، ثم أن الأحاديث كانت تتعرض لكل ما كان قائماً من نظم الحياة الدينية والفكرية

(١) سيدة كاشف ، مصادر التاريخ الاسلامي ، ص ١٦ ،

(٢) احمد ابراهيم الشريف ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الدولة العربية الاسلامية ، ولما كان كثير من هذه الاحاديث موضوعة. انتحلت لتلبية حاجة البدع والنزعات التي بعدت عن مقاصد الرسول ، فلا بد للباحث في الاحاديث من الاعتماد على المجموعات الصحاح كجامع الصحيح البخارى (ت ٢٥٧) وصحيح مسلم (ت ٢٦٢ هـ) ، وسنن أبي داود (ت ٢٧٥ هـ) وسنن الترمذى (ت ٢٧٩ هـ) .

وبلى القرآن والحديث في طبقات المصادر التاريخية كتب التفسير التي تتضمن شروحا تفصيلية لما ورد في القرآن الكريم من أخبار مختصرة عن بعض الاحداث في الجاهلية وفي عصر النبوة الاول ، ولما أنشأ عليه من تشبيهات واستعارات. وقد نشأ التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، لم أول شارح للقرآن الكريم ، ثم تولى صحابته من بعده هذه المهمة ، باعتبارهم الواقفين على أسرارهم ، المهتمين بهدى النبي صلى الله عليه وسلم ، (١) .

ومن أشهر المفسرين من الصحابة عبد الله بن عباس ، وعن الصحابة أخذ التابعون ، وعن التابعين أخذ تابعو التابعين ، لجمعوا أقوال من تقدمهم ، وصنفوا التفاسير (٢) ، ثم اتجه العلماء في تفاسيرهم اتجاهات متباينة ، فكان ما يسمى بالتفسير المأثور (٣) ، ومن أشهر كتب هذا التقسيم التفسير التاريخي المعروف بتفسير الطبري ، ويسمى

(١) صحيح الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٣١

(٢) صحيح الصالح ، نفس المرجع ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(٣) يعرف أيضا بالتفسير النقلى ، لأنهم لجأوا فيه الى طريقة النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين (راجع عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ، ص ١٦٦)

كتابه « جامع البيان في تفسير القرآن » (١) ومنها أيضا تفسير ابن كثير الدمشقي
(ت ٧٧٤) (٢) .

وكان هناك ما يسمى بالتفسير بالرأى ، ويعتمد المفسر فيه على اللغة ومعاني
الألفاظ ولذلك عرف أيضا بتفسير الدراية أو التفسير العقلي ، وفيه تعددت
المناهج وكثر الاختلاف . وأشهر التفاسير بالرأى تفسير الزمخشري (٣) (ت ٥٣٨)
ويعرف بالتفسير اللغوي ، وتفسير فخر الدين الرازي (٤) (ت ٦٠٦ هـ) وهو
تفسير عقلي ، عني فيه ببحث الكونيات ، ويقسم الآيات التي يتولى تفسيرها إلى عدد
من المسائل ، يقوم بتأويلها مدافعا عن عقيدة أهل السنة والجماعة (٥) ، ومنها
تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) المسمى « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » (٦) ،
وفيه يعنى بإثبات الأدلة على أصول أهل السنة . ومنها تفسير أبي السموود ، وتفسير
النسفي ، وتفسير الخازن .

(١) طبعة بولاق في ٣٠ جزءاً ، القاهرة ١٣٢١ هـ

(٢) طبعة مصر ، في ٤ أجزاء ، القاهرة ١٣٥٦ هـ

(٣) عنوانه : « حقائق غوامض التنزيل وغيون الأقاويل » طبعة مصر في جزأين ،

١٣٠٧ هـ

(٤) عنوانه « مفاتيح الغيب » أو التفسير الكبير ، طبعة القاهرة في ٨ أجزاء ، ١٣٠٨ هـ

(٥) صبحي الصالح ، المرجع السابق ص ٣٣٦ - عمر فروخ تاريخ الجاهلية ص ١٧

(٦) طبعة بولاق ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ في جزأين

(٢)

كتب الطبقات والأنساب^(١)

يقصد بكتب الطبقات الكتب التي عالج مؤلفوها سير طائفة معينة من الفقهاء أو القضاة أو الصحابة ، أو الأدباء والشعراء والأطباء وغيرهم ، جيلا بعد جيل ، وطبقة بعد طبقة . أما كتب الأنساب فتجمع تراجم وسير أشرف العرب حسب أنسابهم ، فهي دراسة لتاريخ الأروستقراطية العربية على حسب أنسابها^(٢) . ودراسة الأنساب لها أهميتها الخاصة للدراسة التاريخية كما سبق أن تحدثنا عن ذلك ، وكان الاهتمام السياسي بالقرشيين ، والطائفي بآل علي ، والاهتمام القديم بالقبائل العربية ، واعتزاز الحكام والأشراف بأحسابهم وأنسابهم عندما قامت الخصومات القبلية ، ونشأت الشعوبية ، في أواخر العصر الأموي ، كان كل ذلك من العوامل التي ساعدت على الكتابة في الأنساب^(٣) .

ومن أشهر كتاب الأنساب محمد بن السائب الكلبي وابنه أبو المنذر هشام ، والزيين بن بكار ، وأبو عبيدة ممر بن المثنى ، وأبو اليقظان النساب ، وعلي بن محمد المدائني ، وقد كتب كل من مصعب بن عبد الله الزبيري ، وعلي بن محمد المدائني ، والزيير بن بكار والجحى وابن عبده كتابا عن أنساب قريش ، وصلنا منها كتاب نسب قريش لمصعب وبعض ما كتبه الزبير بن بكار . وينسب إلى البلاذري كتاب

(١) فيما يختص بكتب السيرة والمغازي والفتوح باعتبارها مصادر هامة للتأريخ الاسلامي ، ارجع إلى الفصل الذي ألفردناه لها في صفحات ٥٣ - ٧٠ من هذا الكتاب .

(٢) راجع ما سبق ص ٧١

(٣) روزنتال ، ص ١٤٠

وأنساب الأشراف ، ، وهو كتاب كبير بحث فيه تاريخ أشراف العرب في الجاهلية والاسلام حتى عصره ، وقد وصلت اليها نسخة كاملة من أنساب الأشراف مخطوطة في اسطنبول ، وقام الأستاذ محمد حميد الله بنشر الجزء الاول منه في سلسلة ذخائر العرب (عدد ٢٧) . ويبدأ البلاذري فيه بذكر نسب نوح عليه السلام ، ثم يصل إلى عدنان ، ويتدرج بعد ذلك نزولا إلى ذكر أخبار الرسول وسيرته حتى وفاته ، ثم ينتقل إلى الحديث عن أبي طالب وأولاده ، ويخص بالحديث علي بن أبي طالب ، فيذكر وقائعه وحروبه ، ويروي سير ولاده ، ثم يتحدث عن أبي العباس السفاح وأبي جعفر والخلفاء من بني العباس حتى هارون الرشيد ، ويعود مرة ثانية لاستكمال رواية أنساب القرشيين ، أمثال بني نوفل وبني أمية وبني زهرة وبني نيم بن مرة ، وبني هميم بن كعب ، وينتهي من نسب قريش في المجلد الرابع ، ثم يتبع نسب بني كنانة بن خزيمة بن مدركة وينتهي منه في المجلد ١٢ ، ويبدأ بعد ذلك بتتبع نسب قيس ولد إلياس بن نصر حتى يصل إلى ثقيف ، ويبدو أنه توفي قبل أن ينتهي من بقية قبائل قيس (١).

ولكن الكتابة في الأنساب على النحو الذي أداه البلاذري لم تعد بعد ذلك أداة ملائمة لكتابة تاريخ المدنية الاسلامية المعقدة ، فلم تلبث ان تركت المجال لغيرها من الكتابات في مناحي متعددة من الحياة ، ووجدت الكتابة في الأنساب لها مجالا خصبيا في أرض الاندلس لغلبة الصفة الإفريقية في هذا القطر الاسلامي المتطرف ، بالإضافة الى اصطدام العنصرية العربية هناك بعنصريات بربرية وصقلية ، اتاحت الفرصة لظهور طوائف متعددة ، واشتغال جذوة المنافسات العنصرية بين العرب وبين البربر والمقابلة . ونتج عن ذلك اهتمام الكتاب

(١) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص ٢٦ من المقدمة

بالكتابة في أنساب العرب ، وأهم كتب الأنساب في الأندلس : كتاب لأحمد بن محمد الرازي عن أنساب مشاهير أهل الأندلس ، في خمسة أسفار ضخمة ، وكتاب لابن عبد البر بعنوان « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ، وكتاب لابن حزم القرطبي بعنوان « جمهرة أنساب العرب » . كذلك ظهرت كتب في أنساب البربر بجماعة لأنساب العرب ، منها كتاب عن مفاخر البربر لمؤرخ مجهول ، نشر الأستاذ ليفي بروفنسال بهذا تاريخية منها (١) ، ومنها كتاب عن العشائر وأصحاب المهدي ابن ثومرت بعنوان : « كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب » (٢) .

ثم كثرت عناية كتاب الطبقات في المشرق والمغرب بوضع معاجم لطوائف الرجال وفروع العلوم وذلك عندما اتسعت آفاق المعارف وأصبحت هناك ضرورة إلى وضعها ، وتعتبر هذه المعاجم من المصادر الهامة للتاريخ الاسلامي ، إذ هي تزود الباحث في التاريخ بمادة تاريخية خسبة .

ومن بين كتب الطبقات والتراجم الخاصة بالفقهاء والصحابة والقضاة والصوفية ، والأدباء والأعيان والعلماء والشعراء والأطباء والنحويين المصنفات الآتية :

١ — ابن الأثير (علي بن أحمد) ت ٦٣٠ : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٦ أجزاء طبعة القاهرة ١٢٨٠ هـ - ١٢٨٦ ، وهو تراجم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ — ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله بن محمد) ت ٤٩٣ : تاريخ علماء

(١) ط . الرباط ، ١٩٣٤

(٢) Lévi - Provençal, Documents inédits d'histoire almohade, (٢)
Paris, 1928

الاندلس ، مدريد ١٨٩٢ ، في مجلدين (المجلدان السابع والثامن من
المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا) ويعتبر هذا الكتاب
أقدم معجم وصل إلينا عن علماء الاندلس .

٢ — الخثني (محمد بن حارث) ت ٣٦١ هـ : تاريخ فضاة قرطبة ، تحقيق
ريبيرا ، مدريد ١٩١٤ .

٤ — النباهي (أبو الحسن بن عبد الله) : تاريخ فضاة الاندلس المسمى
بكتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره الاستاذ ليفي
بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٩ .

٥ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن احمد) ت ٥٧٨ : كتاب الصلة في
تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، تحقيق
كوديرا ، مدريد ١٨٨٢ .

٦ — ابن الزبير (أبو جعفر احمد) ت ٧٠٨ : كتاب صلة الصلة في تراجم
أعلام الاندلس ، نشره الاستاذ ليفي بروفنسال ، باريس ١٩٣٨ .

٧ — ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعي) ت ٦٥٨ : كتاب التكملة
لكتاب الصلة ، في جزأين (المجلدان ٥ ، ٦ من المكتبة العربية الاسبانية) ،
تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٧ — ١٨٨٩ .

٨ — : المعجم في أصحاب الامام أبي علي الصدقي ، المجلد ٤ من المكتبة
العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٥ .

٩ — : الحلة السيرة ، جزآن ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٦٣

١٠ — الحميدي (أبو عبد الله محمد بن فتوح) ت ٤٨٧ : جذوة المقتبس في

- تاريخ رجال الأندلس ، تحقيق الاستاذ محمد بن قاريت الطنجي ، القاهرة
١٢٧١ هـ (١٩٥٢) .
- ١١ — الضبي (أبو جعفر احمد بن يحيى) ت ٥٩٩ : بغية الملتبس في تاريخ
رجال الأندلس ، نشره كوديرا وريبيرا ، مدريد ، ١٨٨٥
- ١٢ — ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد) ت ٦٨١ : وفيه
الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق الاستاذ محمد محي الدين عبد
الحمد ، في ستة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٤٩ .
- ١٣ — الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد الحلبي) ت ٧٦٤ : فوات الوفيات ،
جزأين ، القاهرة ١٩٥١ .
- ١٤ — الشعرائي (عبدالوهاب) : لوائح الأثرار في طبقات السادة الأخيار ،
في جزأين ، القاهرة ١٨٨١ .
- ١٥ — : الطبقات الكبرى ، القاهرة ، ١٣٤٣ هـ .
- ١٦ — السلي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين) ٤١٢ : طبقات الصوفية .
- ١٧ — السبكي (تاج الدين عبد الوهاب) : ت ٧٧١ هـ : طبقات الشافعية
الكبرى ، ٦ أجزاء القاهرة ١٣٢٤ هـ
- ١٨ — ابن القفطي (جمال الدين علي بن يوسف) ت ٦٤٦ : إخبار العلماء بأخبار
الحكام ، القاهرة ١٣٢٦ .
- ١٩ — ابن أبي أصيبعة (أبو العباس أحمد بن القاسم) ت ٦٦٧ : عيون
الانباء في طبقات الأطباء ، جزآن : القاهرة ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ هـ .

٢٠ — ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين احمد بن علي) ت ٨٥٣ : الدر
الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٤ أجزاء ، حيدرآباد ، الهند ،
١٣٥٠ هـ .

٢١ — الشوكاني (محمد بن علي) ت ١٢٥٠ هـ : البدر الطالع بمحاسن من بعد
القرن السابع ، القاهرة ١٢٤٨ هـ .

٢٢ — السخاوي (شمس الدين محمد) ت ٩٠٢ هـ : الضوء اللامع في أعيان
القرن التاسع ، القاهرة ١٩٣٤ — ١٩٣٦ هـ .

(٢) .

كتب الجغرافية

اهتم العرب بالجغرافية اهتماما خاصا منذ أقدم العصور ، لارتباطها بحياتهم ، كان عليهم أن يعلموا شيئا عن النجوم الثابتة ، ومسير الكواكب المتحركة ، ومتابعة تغيرات المناخ (١) ، ومصادر هبوب الرياح ، وأوصافها ، كما كانوا يهتمون بالسحب وأنواعها لمعرفة نزول الغيث الذي يعتمدون عليه في السقيا والمرعى (٢) . وبدأت حركة التأليف في الجغرافية في نفس الوقت الذي بدأت فيه الكتابة التاريخية . فكان أول من كتب في التاريخ العربي هم أنفسهم الذين كتبوا في الجغرافية العربية ، ذلك أن التاريخ والجغرافية كانا في نظر العرب قرينين متلازمين من شجرة المعارف العامة التي كانوا يطلقون عليها اسم « الأدب » بوجه عام (٣) ، ومثل ذلك أن هشام بن محمد الكلبي الذي ألف في جملة ما ألفه من الكتب التاريخية كتب في البلدان وفي قسمة الأرضين ، وفي الأنهار ، وفي الأقاليم ، وفي عجائب البحر ، وكذلك ألف أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت ٥٢١٧) كتب في النبات والشجر ، وفي الأخبية والبيوت ، وفي الأنواء ، وفي وصف جزيرة العرب ، وفي مياه الأرض ، كما ألف أبو حنيفة الدينوري كتابا عنوانه « البلدان » . وذكر ياقوت في معجم الأدباء للنظر بن شميل أبي مالك التميمي (ت ٢٠٤) كتاب الأنواء وكتاب الشمس والقمر ، إلا أن معظم ما كتبه هؤلاء كان قاصرا على الجزيرة العربية والبادية .

(١) نفيس احمد ، جهود المسلمين في الجغرافية ، ترجمة الأستاذ فتحي عثمان ، مجموعة

الألف كتاب ، ٢٧٢ د ٢٧٢ ، ص ٢٥

(٢) الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج ٣ ص ٣٥٨ .

(٣) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ص ١٩٩ ، ٢٢٠

أما في المغرب والأندلس ، فقد نشطت حركة الكتابة الجغرافية في عصر مبكر ، متصلة مع الحركة التاريخية ، فكتب عن الأندلس والمغرب أحمد بن محمد الرازي ، وابن النظام ، والبكري ، وابن سعيد .

وزاد اهتمام العرب ، منذ أن اتسعت رقعة الدولة العربية في العصر العباسي بالفتوحات الجديدة ، خاصة فيما وراء النهر والسند . والتركستان ، بوصف الأقاليم الإسلامية ومدنها ، وذكر مساكنها والطرق المؤدية إليها وحاصلاتها ، ومناخها ، ويعززون هذا الاهتمام بالمنافسة الواضحة بين الأقاليم المختلفة حيث توزعت مراكز الثقافة من الأندلس حتى تخوم الصين ، وعاون على ذلك انتشار الإسلام واللغة العربية عقب الفتوحات ، وأدى ذلك إلى نمو الثقافة العامة . هذا إلى الاهتمام بتقدير ثروات هذه البلاد ، لمعرفة قدرتها على دفع الجزية والخراج ، فظهرت لذلك الجغرافية الإدارية أو السياسية . ويتمثل هذا النوع من الكتب الجغرافية في كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة الفارسي (ت ٣٠٠ هـ) ، وفي كتاب الخراج وصنعه الكتابة لقدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) (١) .

وزادت عناية العرب والمسلمين في أوائل القرن الرابع الهجري بعلم تقويم البلدان ، وذلك لكثرة الأسفار والرحلات التي كان يقوم بها التجار وأهل العلم والرحالة والحجاج من سائر أنحاء الدولة العربية الإسلامية ، بقصد التجارة ، أو لطلب العلم ، أو لمجرد الرغبة في المشاهدة والمعاينة ، أو حبا للمغامرة ، أو للحج إلى مكة ، فكثرت المصنفات الجغرافية التي تحررت من القيود السابقة ، وأصبحت الرغبة في المعرفة هي أساس الكتابة الجغرافية .

وكانت الكتب الجغرافية العربية إما كتباً في الجغرافية الوصفية ، أو كتباً في

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، الجزء السادس ، تحقيق دى غوييه . ليدن ١٨٨٩ .

التفسير الجغرافي ، أو كتباً خاصة بعلم الخرائط ، أو كتباً في الجغرافية الفلكية أو الرياضية . ولقد تأثر الجغرافيون المسلمون قبل القرن الرابع الهجري بجغرافية اليونان عندما بدأوا ينقلون كتبها إلى العربية ، وهم في ذلك لاميذ للاغريق ، واتخذوا من كتابي بطليموس القلودي وهما : جغرافية بطليموس ، والماجسطي المترجمان إلى العربية (١) مثلاً احتذوه في كتاباتهم الجغرافية ، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نسمي هذه المجموع الأولى من الكتب الجغرافية بمدرسة الجغرافية اليونانية العربية (٢) أو مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان ، ويمثل هذه المدرسة جمهور كبير من الجغرافيين العرب نذكر منهم :

١ - ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبيد الله ، ت . ٣٠٠ هـ) في المسالك والممالك . كان ابن خرداذبة من أصل فارسي ، اشتغل عاملاً على البريد في إقليم الجبال بفارس ، وقد أفاد من وظيفته في الحصول على قدر كبير من المعلومات عن الأقاليم البعيدة ، ولذلك فقد ضمن كتابه كثيراً من المعلومات والبيانات الوافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها . وقد أفاد ابن حوقل ، وابن الفقيه

(١) قام بترجمة المجسطي أو الماجسطي الحجاج بن يوسف بن مطر الحاسب ، وقيل في رواية أخرى أن سهل بن ريان الطبري (ت ٢٢٦) هو الذي قام بترجمته ، وراجع الحجاج ، ثم تولى مراجعته بعد ذلك حنين بن اسحاق (ت ٢٦٠ هـ) ثم ثابت بن قرة (ت ٢٨٩) ، ومن بعدهما محمد بن جابر بن سفيان القبانى (ت ٢١٧ هـ) راجع : أوليري ، مسالك الثقافة الاغريقية إلى العرب ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨)

ويعتبر كتاب المجسطي ذروة مابقية اليونان من جهود في علم الجغرافية ، ويتضمن ملخصاً لكل ما كتب فيما يختص بحجم الأرض ، وكرويتها ، واختلاف عروض البلدان وأوقات ترول الشمس في تقطبي الاعتدال وتقطبي الانقلاب . . . الخ

(٢) نقولاً زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ١٧ وما يليها

الهمداني ، والمقدسي من كتاب ابن خرداذبة .

٢ — المروزي (جعفر بن أحمد ، ت ٢٧٤) في كتابه المسالك والممالك ، ذكره ابن النديم في الفهرست .

٣ — السرخسي (أحمد بن محمد بن الطيب ، ت ٢٨٦) في كتابه المسالك والممالك ، وفي رسالة في البحار والمياه والجبال ، والسرخسي كان تلميذاً للكندي .

٤ — الخوارزمي (محمد بن موسى ، ت في منتصف القرن الثالث) في كتابه « صورة الأرض » . وقد أرفق المؤلف بكتابه خريطة كانت فيما يبدو تعريفاً لخريطة بطليموس ، ويعتبر الخوارزمي لذلك أول صانعي الخرائط من المسلمين .

٥ — اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح ، ت ٢٨٤) في كتابه « البلدان » . هو من أشهر الجغرافيين والرحالة العرب ، وكتابه المذكور من الكتب الهامة في الجغرافية الاقليمية الوصفية لأنه يتضمن معلومات هامة عن البلاد التي زارها ، وقد اهتم اليعقوبي في هذا الكتاب ببغداد وسامرا ، فوصفها وصفاً تفصيلياً في بداية كتابه ، ثم وصف إيران وطوران ، ووصف جزيرة العرب الوسطى والجنوبية ، والشام ، ومصر ، والنوبة ، والمغرب . ولم يكن اليعقوبي رجل جغرافية لحسب ، فقد كان إلى جانب حبه للجغرافية حريصاً على تدوين ملاحظاته عن المجتمعات التي تعرف إليها ، وتواريخ الأسرات الحاكمة .

٦ — الكندي (أبو يوسف يعقوب ، ت ٢٦٠) : ألف كتاباً في الجغرافية عنوانه « رسم المعمور من الأرض » وهو اقتباس من كتاب بطليموس (١) ، كما ألف كتاباً في « أبعاد مسافات الأقاليم » .

(١) اقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ١٨

٧ — ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر ، ت في أوائل القرن الرابع الهجرى) في كتابه «الأعلاق النفيسة» : وهو كتاب ضخيم يتكون من خمسة مجلدات ، صدر منه جزء في المكتبة الجغرافية العربية (١) ، والآخر اليوناني يتمثل في نزوعه في الكتابة إلى ناحية الملك وامتداد الأرض والبحار والأنهار ، وتقسيم الأرض وعلاقتها بالفضاء . ومع ذلك فإن تفسيره العلمى لكروية الأرض بعيد عن أى أثر للتفسير اليوناني (٢) .

٨ — ابن الفقيه الهمداني (ت في أواخر القرن الثالث الهجرى) في كتابه ومختصر كتاب البلدان ، وصف فيه الهمداني الأرض والبحار في الهند والصين وبلاد العرب ، وأفاض في وصف البصرة والكوفة ، وقد نقل عنه كل من المسعودى وياقوت .

٩ — ابن فضلان (أحمد بن عباس بن رشيد بن حماد ، ت في النصف الأول من القرن الرابع) . أوفده الخليفة المقتدر بالله العباسى فى سفارة إلى ملك البلغار بالقولجا فى صفر سنة ٣٠٩ هـ ، وقد أتيح له أن يسجل رحلته فى كتاب استفاد منه ياقوت والاصطخرى والمسعودى (٣) .

١٠ — القزوينى (زكريا بن محمد ، ت ٦٨٢) : ألف كتابين . أحدهما عن نظام الكون ، يتضمن معلومات جغرافية هامة فى وصف المعالم البارزة من جزر ونبال وبحار وأنهار يسمى «عجائب المخلوقات» (٤) ، والثاؤ عن الجغرافية وتقويم

(١) المكتبة الجغرافية العربية ، الجزء السابع ، تحقيق دى غوبه ، ليدن ١٨٩٢

(٢) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(٣) زكى محمد حسن ، الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٤٥

ص ٢٧ ، ٢٨ — نقولا زيادة ، المرجع السابق ، ص ٤٦

(٤) القزوينى ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، جوتنجن ، ١٨٤٩

البلدان ، بعنوان « آثار البلاد وأخبار العباد » (١) . وصف فيه أقاليم الأرض وفقاً للتقسيم البطليموسي للأقاليم ، واعتمد في القسم الخاص بالأندلس على الغرناطي والعذري ، وفي القسم الاوربي الخاص بمدن أوربا على ابراهيم الطرطوشي (ت ٤٧٧) وأبي الريح سليمان الملتاني الرحالة (٢) .

١١ — قدامة بن جعفر (أبو الفرج ، ت ٣٢٠ هـ) في كتابه الجراج وصناعة الكتابة . وقد تحدث فيه عن أقسام العالم الاسلامي وعن الجباية وطرق البريد .

١٢ — الرازي : (احمد بن محمد : ت ٣٤٤) مقدمة كتاب أخبار الأندلس ، وقد استعرض فيها الرازي مسالك الأندلس ، ومراسيها وأمهات مدنها وأجنادها وخواص كل بلد منها ، وقد تأثر الرازي في هذه المقدمة بجغرافية هيرودس (٣) .

* * *

وبلى هذه المدرسة العربية المتأثرة بجغرافية اليونان مدرسة عربية خالصة تمثل دور النضج في الجغرافية عند العرب في القرن الرابع الهجري وما تلا ذلك . ونلاحظ في نتائج هذه المدرسة أربعة اتجاهات :

أ — الاهتمام الشديد بوصف أقطار العالم الاسلامي أو البلدان أو الممالك .

ب — التخصص في قطر واحد .

(١) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ، ١٨٤٨

(٢) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣١

(٣) طالع الفصل التالي الخاص بالجغرافية في الأندلس

ج — الميل إلى وضع معاجم جغرافية .

د — كتابة الموسوعات الكبرى (١) .

ويمثل هذا الاتجاه في وصف أقطار العالم الاسلامي ، وهو الميل إلى الكتابة في المسالك أو البلدان أو الأقاليم أو وصف الأرض ، وقوامه المشاهدة والمقارنة والتحقيق ، البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي والادريسي .

١ — البلخي (أبو زيد أحمد بن سهل ، ت ٣٢٢ هـ) : أصله من بلخ ، ويمتاز عن غيره من الجغرافيين السابقين عليه بأنه لم يتأثر بالجغرافية اليونانية ، بل هو أول من استقل عن بطليموس من جغرافيين المسلمين ، فقد ذكر المقدسي أنه قسم الأرض إلى ٢٠ قسماً ، في حين قسمها بطليموس إلى سبعة أقاليم ، وفي هذا انفصال واضح عن التقسيم البطليموسي (٢) .

وقد ألف البلخي كتاب الأشكال ، أو صورة الأقاليم ، الذي يتضمن مجموعة من الخرائط مع شروحاتها ، كما ألف كتاب المسالك والممالك الذي لم يصل إلينا . ويعتبر البلخي من رواد المسلمين في صناعة الخرائط .

٢ — الاصطخري (أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت في القرن الرابع) في كتاب المسالك والممالك الذي اعتمد فيه على كتاب المسالك والممالك للبلخي ، وقد زود الاصطخري كتابه بعدد من الخرائط ، على نفس النظام الذي اتبعه البلخي في كتابه السالف الذكر ، وذلك توضيحاً لما أورده في كتاب من وصف للأقاليم (٣) .

٣ — ابن حوقل (أبو القاسم محمد ، ت ٣٨٠ هـ) في كتابه المسالك والممالك والمقارن والممالك أو صورة الأرض ، هذا فيه حذو الاصطخري . وكتابه

(١) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٢ ، ١٣

(٢) المقدسي ، ص ٤ — نقولا زيادة ، ص ٢٢

(٣) زكي محمد حسن ، المرجع السابق ص ٣٦

يلخص رحلته الطويلة التي بدأها في سنة ٢٣١ هـ من بغداد طلباً لدراسة الممالك والبلدان ، ورغبة في الارتزاق عن طريق التجارة ، وانتهى منها بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً زار خلالها ديار الإسلام من الشرق الى الغرب ، كما زار أثناءها مناطق أخرى من أوروبا مثل بلاد البلغار (١). واتصل في إفريقية بالفاطمين ، واصطنعوه لهم عينا يعمل لحسابهم ضد الأمويين في الأندلس ، إذ كانوا يتطلعون إلى غزو الأندلس ، والقضاء على دولة بني أمية فيها (٢). وقد رحل ابن حوقل إلى الأندلس وطاف بمدنها وكتب في مقدمة دراسته للأندلس في كتابه تقريراً عنها ، جاء فيه : « ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هم في يده ، مع صغر أحلام أهلها ، وضعف نفوسهم ، ونقص قوتهم ، وبعدم من البأس والشجاعة والفروسية والبسالة ، ولقاء الرجال ، ومراس الانجاد والأبطال ، وعلم موالينا عليهم السلام بحلها في نفسها ، ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها ، (٣) . ثم ينتقد جيوش الأندلس فيقول : « وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها ، وإن شجعت أنفسهم ، ومرتوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرف على الكيد والحيلة ، وما رأيت ولا رأي غيري بها إنساناً قط جرى على فرس فاره أو برذون هجين ورجلاه في الركابين ، ولا يستطيعون ذلك ، ولا يلفني عن أحد منهم لحوفهم السقوط وبقاء الرجل في الركاب على قولهم . وهم يفرسون

(١) نفس المرجع ، ص ٤٠ — قولاً زيادة ، المرجع السابق ص ٣٢

(٢) محمود علي بك ، التشيع في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمصر ، المجلد ٣ ، ١٩٥٤ ص ١١٥ — مختار العبادي ، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمصر ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٥ — السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦٠٨ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض ، طبعة بيروت . ص ١٠٤ ، ١٠٥

على الأعراء من الخيل ، وما أطبقت قط جريدة عبد الرحمن بن محمد ولا من سبقه من آله وآبائه على خمسة آلاف فارس ممن يقبض رزقه ويختم عليه ديوانه ، لأنه مكفى المؤونة بأهل الثغور من أهل جزيرته ما ينوبه من كيد العدو ومن يجاوره من الروم ، ولا عدو عليه سواهم وقلبا بكثر بهم (١) .

وإلى جانب اعتماد ابن حوقل على الاصطخري (٦) ، نراه يعتمد أيضا على كتب أخرى للجغرافيين السابقين عليه أمثال ابن خرداذبة وأبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير السامانيين .

٤- المقدسى (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ، ت ٣٨٧ هـ) في كتابه « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » . يعتبر المقدسى من كبار الجغرافيين العرب في القرن الرابع للهجرة . فإن كتابه المذكور هو خلاصة ماشاهده وعايته في رحلاته وأسفاره الطويلة في ديار الإسلام ، وخدماته للبلوك ، ومجالسته للقضاة ، وتحصيله العلم على الفقهاء والعلماء . وقد اعتمد فيه أيضا على الجغرافيين العرب السابقين عليه أمثال: ابن خرداذبة والجيهاني والبلخي والهمداني والجاحظ والهمداني وابن رسته ، الذين انتقدهم بقوله ، « وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التي قصدتها ، ولا طلب الفوائد التي أردتها ، أما أبو عبد الله الجيهاني ، فإنه كان وزير أمير خراسان ، وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة ، فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها ، وارتفاع الخنس منها ، وقياس الظل فيها ليتوصل بذلك إلى فتوح البلدان ، ويعرف دخلها ، ويستقيم له علم النجوم ودوران

(١) نفسه . ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) راجع له ابن حوقل كتابه « خرائطه بناء على طلبه

الملك ، ألا ترى كيف جعل العالم سبعة أقاليم ، وجعل لكل إقليم كوكبا ، مرة يذكر النجوم والهندسة ، وكرة يورد ما ليس للعوام فيه فائدة ، وتارة ينعت أصنام الهند ، وطورا يصف عجائب السند ، وحينما يفصل الخراج والرد ، ورأيت ذكر منازل مجهولة ، ومراحل مهجورة ، ولم يفصل الكور ، ولا رتب الأجناد ، ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها . . . وبذلك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الأجناد ووصف المدائن الجياد . وأما أبو زيد البلخي ، فإنه قصد بكتابه الأمثلة وصورة الأرض بمد ما قسمها على عشرين جزءا ، ثم شرح كل مثال واختصر ، ولم يذكر الأسباب المفيدة ولا أوضح الأمور النافعة في التفصيل والرتيب ، وترك كثيرا من أمهات المدن فلم يذكرها . . . وأما ابن الفقيه الهمداني فإنه سلك طريقة أخرى ، ولم يذكر إلا المدائن العظمى ، ولم يرتب الكور والأجناد ، وأدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم . . . وأما الجاحظ وابن خرداذبة فإن كتابيهما مختصران جدا لا يحصل منهما كثير فائدة . . . (١).

ويمتاز المقدسي بالدقة في كتابته ، والعناية بتسجيل الأخبار الغريبة ، وقد سجل منهجه في مقدمة كتابه ، فقال : « رأيت أن أقصد علا قد أغفلوه ، وأنفرد بفن لم يذكره إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار والبحيرات والأنهار ، ووصف أمصارها المشهورة ، ومدنها المذكورة ، ومنازلها المسلوكة ، وطرقها المستعملة ، وعناصر المقابر والآلات ، ومعادن الحبل والتجارات ، واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم ، ومذايبهم ومكاييلهم وأوزانهم ، وتقوذهم وصروفهم ، وصفة طعامهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ، ومعرفة منافعهم وعيوبهم ، وما يحمل من عندهم وإليهم ، وذكر

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٣ — هـ

مواضع الاخطار في المفازات ، و« المنازل في المسافات وما تم لي جمعه إلا بعد جولائي في البلدان ، ودخولي أقاليم الاسلام ، وإقائي العلماء وخدمتي للبلوك ، ومجالستي القضاة ، ودرسي على الفقهاء ، واختلافي إلى الأدباء والقراء ، وكتبة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتعوفين ، وحضور مجالس التماسر والمذكربين ، مع لزوم التجارة في كل بلد . والمعاشرة مع كل أحد وقد ذكرنا ما رأيناه ، وحكيما ما سمعناه ، فما صح عندنا بالمعينة وأخبار التواتر أرسلنا به القول ، وما شككنا فيه أو كان من طريق الآحاد أسندناه إلى الذي منه سمعناه ، ولم نذكر في كتابنا إلا صدرا مشهورا ، أو عالما مذكورا ، أو سلطانا جليلا (١) .

هـ — الشريف الإدريسي (أبو عبد الله محمد ، ت ٥٦٠ هـ) في كتابه وصف المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .

زار الإدريسي كثيرا من نواحي الاندلس والمغرب ومصر والمغرب وآسيا الصغرى وصقلية . وفي صقلية اتصل بملكها الزرمندي روجار الثاني ، فأعجب بعبه ، وطلب منه روجار أن يؤلف له كتابا عن صورة الأرض ، مؤلفا عن مشاهدة مباشرة ، غير مستخرج من الكتب ، فلما انتهى من تأليفه ، سماه نزهة المشتاق أو الكتاب الرجاري (٢) . وقد لقب الإدريسي بإسترايون العرب . ويعتبر لذلك أعظم جغرافي العرب في العصور الوسطى ، وكتابته يزخر بالمعلومات الصحيحة ،

(١) المقدسي ص ١ — ٨

(٢) Pons Bons Poigues, op. cit. p. 231 - جنتا بالنبيا ، ص ٣٩٣ -

نيس أحمد ، ص ٨٢ - حسين مؤنس ، ص ٢٥٧ - ٢٧٥ (صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

في مدريد ، مجلد ٩ ، ١٠ ، مدريد ، ١٩٦٢)

كما أنه يتضمن مادة وافرة عن بلاد إسلامية وأوربية . ويقال أنه صنع للملك روجار أول كرة أرضية في التاريخ ، رسم عليها خريطة بجميع بلاد العالم ، رسمها غائرا مشروحا (١) .

ثانيا - الجغرافيون المتخصصون في قطر واهل :

ويمثلهم ثلاثة : الهمداني ، والبكري ، والمهلبى ، والبيرونى .

١ — الهمداني (أبو محمد الحسن بن يعقوب ، ت ٣٣٤) في كتابه وصف جزيرة العرب ، ، وقد تحدث فيه عن بلاد العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وآثارها ومعادنها (٢) .

٢ — البكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز القرطبي ، ت ٤٨٧ هـ) ، في كتابه المسالك والممالك ، الذى وصلت اليها قطع كثيرة منه ، ويتضح لنا من دراسة ما وصلنا من هذا الكتاب أن البكري اعتمد في الفصل التمهيدى على كتابي بطليموس: الجغرافية والمجسطى (٣) . وقد وصلتنا قطعة أخرى من المسالك والممالك ، اعتمد عليها البارون دى سالان في نشر كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، . وقد استفاد البكري في كتابه هذا من كتاب مسالك إفريقيا وممالكها لأبي عبد الله محمد بن يوسف الوراق (٢٩١ — ٣٦٢ هـ) (٤) ، ويذهب

(١) سنعود الى الحديث عن الشريف الإدريسي عند دراستنا للجغرافية في المغرب

والأندلس .

(٢) راجع ما سبق أن ذكرناه عنه في صفحة ٥١ .

(٣) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٢٩ .

(٤) جنتال بالنبيا ، ص ٣٠٩ .

دوزى إلى أن البكرى أكبر جغرافى أنجبته بلاد الأندلس ، وعلى الرغم من أنه لم يبرح قط أرض الأندلس ، وأنه اعتمد فى تصنيفه لكتاب المسالك على مؤلفات من سبقوه من الجغرافيين ، فإن كتابه المذكور يعتبر من أعظم وأجل ما كتب فى جغرافية المغرب ، وقد أظهر البكرى فى تأليفه قدرة على تنظيم المادة وتنسيقها .

٣ — المهلبى (أبو الحسن على بن أحمد ، ت ٢٨٥) ، ألف كتابا فى الجغرافية عن السودان ، أهداه فى سنة ٢٨٥ هـ للخليفة الفاطمى العزيز بالله . وقد اعتمد عليه ياقوت بعد ذلك (١) .

٤ — البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى ، ت ٤٤٠ هـ) فى كتابه «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة» المعروف بكتاب الهند ، الذى يعتبر من أقيم الكتب الجغرافية عن الهند وتاريخها . وقد اعتمد فيه البيرونى على مشاهداته فى الهند عند مرافقته للسلطان محمود الغزنوى فى حملاته على الهند ، وأتيح للبيرونى أثناء ذلك تعلم اللغة السنسكريتية وتحصيل علوم الهندوس ، ويمتاز كتابه عن الهند ، الذى عالج فيه موضوعات تتعلق ببعضها بعلم طبقات الأرض ، وبعضها بوصف بلاد الهند وموقعها وطبيعتها والحياة الحيوانية والنباتية فيها ، يعمق فى الملاحظات التى أبداهها البيرونى كما يمتاز بتأملات نفاذة فى ميدان الجغرافية الإقليمية (٢) .

والبيرونى الفضل فى العودة بعلم الجغرافية عند العرب إلى قواعده الأولى القائمة على المشاهدة والرحلة والتجربة الشخصية (٣) .

(١) تقيس أحمد ، ص ٦٣

(٢) نفسه ، ص ٦٩

(٣) حسين مؤنس ، ص ٢٠٣

ثالثا - المعاجم الجغرافية :

ويشمل أصحاب المعاجم التي وضعت في جغرافية المدن : البكري وياقوت .

١ — البكري : في كتابه «معجم ما استعجم» أول ما ألفه البكري في الجغرافية (١)، وأورد فيه « جملة مما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأشعار ، من المنازل والديار ، والقرى والأحصار ، والجبال والآثار ، والمياه والآبار ، والدارات والحرار ، منسوبة محددة ، ومبوبة على حروف المعجم مقيدة » (٢) . ويعتبر «معجم ما استعجم» أول معجم جغرافي عربي، وتأليفه لذلك السبب يعد حدثا في تصنيف الكتب الجغرافية عند العرب (٣) .

٢ — ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحوي الرومي ، ت ٦٢٦) في كتابه معجم البلدان (٤) ، ويتجلى في هذا الكتاب معرفة ياقوت الواسعة بالعالم، وتجربته من خلال تجاراته وأسفاره في أنحاء العالم الإسلامي ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر . ومع ذلك فياقوت يعتمد في معجمه على النقل من كتب الجغرافية العربية وكتب التاريخ الموجودة في حوزته، وهو أمين في نقله، إذ ينسب كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها التي نقل منها .

(١) نفس المرجع ، ص ٣١٨

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥

ص ١٠٣ .

(٣) مؤنس ، ص ٣١٩

(٤) طبعة بيروت ، ١٩٥٥ (٥ مجلدات)

وقد اختصر السيوطي و معجم البلدان ، لياقوت ، في كتاب سماه ، مختصر معجم البلدان ، ، كذلك استخلص صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٩) من معجم البلدان مادته الجغرافية ، ووضعها في كتاب أسماه و مرصدا الاطلاع في أسماء الأمكة والبقاع ، (١) .

ويمتاز معجم البلدان بترتيبه على حروف الهجاء مما يساعد على سهولة الانتفاع بمادته ، كما يمتاز باتساع مادته وغزارتها ، وبالجمع بين المسادة الجغرافية والمادة التاريخية والأدبية ، وقد قدم لياقوت معجمه بخمسة فصول تناول فيها صورة الأرض ، ومعنى الأقليم والسكرورة والخلاف والآستان والرساتيق والطسوج والأجناد ، واصطلاحات جغرافية ، كالبريد والفرسخ وحكم الأرضين من حيث الفتح والخراج والشرع في ذلك (٢) .

٣ - الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ، ت بعد ٨٦٦ هـ) في كتابه الروض الممطر في خبر الانطار ، وهو معجم جغرافى تاريخى مرتب على حروف الهجاء ، وقد نشر المستشرق لىفى بروفسال القسم الخاص بالاندلس بعنوان وصفة جزيرة الاندلس منتخبة من كتاب الروض الممطر في خبر الانطار ، (٣) .

رابعاً - الموسوعات العامة :

يمثل هذا النوع من الكتب العامة ثلاثة من كبار الكتاب في عصر الماليك :
اتويرى ، والعمرى ، والقلقشندى :

(١) طبعة جوينبل Juynboll ، في ٤ أجزاء ، لندن ١٨٥٣

(٢) راجع مقدمة لياقوت في المجلد الأول من معجم البلدان

(٣) القاهرة ١٩٢٧

١ - النويرى (شهاب الدين أحمد ، ت ٧٢٣ هـ) فى كتابه الكبير «نهاية الأرب فى فنون الأدب» ويتألف من واحد وثلاثين مجلداً، طبع منها ١٨ مجلداً (١)، وبقية الموسوعة ما زالت مخطوطة (٢). والكتاب يشتمل على مواد أدبية ولغوية وجغرافية وإدارية ودينية وتاريخية ، وقسمه إلى خمسة فنون ، أفرد الفن الأول منها لعلم الجغرافية ، وقسمه إلى خمسة أقسام :

الأول - يتحدث فيه عن السماء والكواكب .

الثانى - تناول فيه موضوع الآثار العلوية ، فتحدث عن السحاب وسبب حدوثه والثلج والبرد ، ثم يتحدث عن الصواعق والنيازك والرعد والبرق ، وعن الرياح وأنواعها ، وعن النيران وأسمائها .

الثالث - يتحدث فيه عن الليالى والأيام والشهور والأعوام والفصول والمواسم والأعياد .

الرابع - وخصصه لدراسة الأرض وما تشتمل عليه من جبال وبحار وجزائر وأنهار وعيون ، واهتم بالبحث فى طول الأرض ومساحتها وبتقسيماتها السبعة .

الخامس - وتحدث فيه عن ضبائع البلاد وخصائص المدن والمباني (٣) .

٢ - العمرى (شهاب الدين بن فضل الله ، ت ٧٤٨ هـ) ، فى كتابه «مسالك

(١) نشرته دار الكتب المصرية ، وصورته وزارة الثقافة والإرشاد القومى

(٢) الأجزاء من ١٩ إلى ٣١ ، مخطوطة ومصورة بدار الكتب المصرية تحت

رقم ٥٤٩ ،

(٣) راجع : النويرى ، نهاية الأرب ، ج ١ ص ٤ - ٥

الابصار في ممالك الامصار ، ، ويقع في نحو عشرين مجلدا ، ابتداء فيه بالشرق واختتمه بالمغرب . وقد نشر الأستاذ أحمد زكي باشا الجزء الاول من هذا الكتاب (١) ، كما نشر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب القيم الخاص بوصف إفريقية والمغرب والاندلس (٢) ، أما القسم الاعظم من ممالك الابصار فما يزال مخطوطا ، ودار الكتب المصرية نسخة مصورة من كتاب ممالك الابصار (٣) .

ومن المعروف أن هذا الكتاب ينقسم إلى قسمين كبيرين : الاول أفرده المؤلف للأرض وما يتبعها ووصف أقاليم الأرض ، وممالك الممالك والرياح ، ومواقع مشاهير المدن وأنظمتها ، أما القسم الثاني فخصصه لدراسة سكان الأرض مغاربة ومشاركة ، ويبحث في هذا القسم عن المعادن والحيوانات والنباتات .

٣ — القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢١ هـ) في كتابه وصح الأعشى في صناعة الإنشاء ، (٤) ، الذي كتبه بديوان الإنشاء بمصر ، ورتبه على مقدمة وعشر مقالات وخاتمه . ففي الفصل الثالث من المقالة الاول يحدثنا عن الأزمنة والأوقات وأيام الشهور والسنين ، وفي المقالة الثانية يحدثنا عن الأرض : شكلها وأقاليمها الطبيعية وأنواع البحار .

(١) نشر في القاهرة ، ١٩٢٤

(٢) نشره في تونس ، من مطبوعات مجلة البدر

(٣) محفوظه بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٦٦٨ تاريخ .

(٤) نشر في القاهرة في ١٤ جزءا ، سنة ١٩١٣ - ١٩١٥

كتب الجغرافية في الأندلس والمغرب :

اهتم الأندلسيون بالتأليف في الجغرافية اهتماما خاصا ، لانقطاعهم عن العالم الإسلامي ، واحتكاكهم بالعالم الأوروبي ، وهو عالم كان لزاما عليهم أن يعرفوا مسالكه الموصلة إلى بلادهم ، وطبيعته الجغرافية وسكانه . وبدأ التأليف في الجغرافية في الأندلس في نفس الوقت الذي ظهرت فيه التأليف التاريخية . وكان الجغرافيون الأولون في الأندلس مؤرخين وجغرافيين في آن واحد ، على النحو الذي كان شائعا في المشرق الإسلامي (١) ، فكما كان هشام بن محمد الكلبي واليعقوبي مؤرخين وجغرافيين في وقت واحد ، كان أحمد بن محمد الرازي (ت ٣٤٤ هـ) أول مؤرخ في الأندلس مؤرخا وجغرافيا ، ويعتبر أبو الجغرافيه الأندلسية كما يعتبر أبو التاريخ الأندلسي (٢) .

وقد عرف الجغرافيون الأندلسيون كيف يفيدون من مصنفات الاغريق واللاتين في وصف جزيرة الأندلس وما اتصل بها من الاقطار الأوروبية المجاورة ، ومع ذلك فلم يتقيدوا دائما بهم في المذهب الفلكي في الجغرافية أي التقسيم البطليموسي إلى أقاليم ذات خصائص فلكية ، ولكنهم أخذوا عن بطليموس ما ذهب إليه في الوصف العام المثلث أو المربع لجزيرة الأندلس ، كما أخذوا عن هروشيوس Horosius آراءه في شكل شبه الجزيرة . وأضافوا إلى ذلك ما أمكنهم جمعه من مادة عن طريق السماع أو المشاهدة والمعاينة (٣) .

(١) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، ص ١٩٩

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٢١

(٣) نفس المرجع ، ص ٢١٨ ، ٢١٩

وأول من كتب في جغرافية المدن في الأندلس محمد بن موسى الرازي (ت ٢٧٣ هـ) الذي صنف «كتاب الرايات»، و«كتاب تاريخي وجغرافي»، ولكن ابنه أحمد الرازي هو أول من كتب كتاباً جغرافياً حقيقياً عن الأندلس، ولذلك يعدونه الرائد الأول لعلم الجغرافية في الأندلس، واعتبروه أيضاً شيخ المؤرخين، ولقبوه بالتاريخي.

تتلمذ أحمد بن محمد الرازي على قاسم بن أصبغ البلياني (ت ٣٤٠ هـ) (١) الذي اشترك مع الوليد بن خيرران في ترجمة كتاب تاريخ هرويش (٢). وبفضل هذه الترجمة العربية اطلع الأندلسيون في مقدمة الكتاب على وصف المعمور من العالم، ومن هذه المقدمة أفاد المؤرخ الجغرافي أحمد الرازي ونهج منهج كتاب هرويش في كتابه «أخبار ملوك الأندلس»، فبدأه بمقدمة جغرافية هامة، أعقبها بدراسة لتاريخ الأندلس، وفي هذه المقدمة تأثر بهرويش في وصفه لجزيرة الأندلس كما تأثر ببطليموس في تصويره العام لشكل البلاد المثلث، وأضاف إلى ذلك ما استطاع جمعه من مادة عن طريق السماع والمشاهدة، بحيث تألف مما كتبه موضوع جغرافي متكامل يتناول الوصف الطبيعي من الشكل العام للبلاد، والموقع ودراسة السطح وما يقوم عليه من جبال أو يشقه من أنهار، ثم دراسة كل قسم إداري على حدة، مع العناية بمصادر الثروة وأوجه الانتفاع منها، وذكر المسالك والمراسي وأمهات المدن والأجناد، وخواص كل بلد منها وما فيه مما ليس في غيره (٣)؛ وقد

(١) راجع ترجمته في Pons Boigues, op. cit p. 59 - 60

(٢) Lévi Della Vida, la traduzione arabe della Storie de

Orosio, Al Andalus, vol. XIX, pp. 257-265, 1954 — حين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٣٥

(٣) الحميدى (أبو عبدالله محمد بن فتوح) جذوة المقتبس في ذكر رجال الأندلس، تحقيق عماد بن ناويت الطنجي، القاهرة ١٣٧١ هـ، ص ٦٧

نقل عن الرازي في مقدمته الجغرافية كثير من الجغرافيين الاندلسيين أمثال البكري والإدريسي وابن غالب الأندلسي .

ويلاحظ أن الرازي تأثر فيما كتبه بهرويشيس ، فنقل عنه أن جزيرة الأندلس ذات ثلاثة أركان ، (١) ، وأن شكلها مثلث . رعى معتدلة على ثلاثة أركان : الأول هو الموضع الذي فيه صنم قادس المشهور بالأندلس ، ومنه يخرج البحر المتوسط الشامي الآخذ بقبلي الأندلس ، والركن الثاني هو بشرقي الأندلس بين مدينة تربونة ومدينه برديل بما بأيدي الفرنجة اليوم بإزاء جزيرتي ميورقة ومتورقة . والثالث منها هو ما بين الجوف والغرب من حيز جليقية حيث الجبل المرفى على البحر ، وفيها الصنم العالي المشبه بصنم قادس وهو الطالع على بلد بريطانيا (٢) . وقد نقل الجغرافيون من بعده العبارة الدالة على « تركين الأندلس وثلاثيها » ، فأبو بكر عبد الله بن الحكم المعروف بابن النظام يقول : « وصفت الأندلس شكل مكن على مثال الشكل المثلث ... » (٣) . وذكر ابن سعيد المغربي أنهم « اتفقوا على أن جزيرة الأندلس مثلثة الشكل ، واختلفوا في الركن الذي في الشرق والجنوب في حيز أربونة ، فن قال إنه في أربونة ، وإن هذه المدينة تتابها مدينة برديل التي في الركن الشرقي الشمالي أحمد بن محمد الرازي وابن حيان ، وفي كلام غيرهما أنه في جهة أربونة ، وحق الأمر الشريف (يعتمد

(١) ابن غالب الأندلسي ، قطعة من كتاب « فرحة الأندلس في تاريخ الأندلس » ،

تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٢

(٢) المقرئ ، فتح الطيب ، ج ١ ص ١٢٨

(٣) نفس المصدر ، ص ١٣٠

الادريسي) وهو أعرف بتلك الجهة لتردده في الأسفار برا وبحرا إليها ، وتفرغه لهذا الفن . . . وسألت جماعة من علماء هذا الشأن فأخبروني أن لصحيح ماذهب إليه الشريف ، وأن أربونة وبرشلونة غير داخلتين في أرض الأندلس، (١) وذكر الحميري أن جزيرة الأندلس سميت بجزيرة « لانها سكن مثلث وتضييق من ناحية شرق الأندلس حتى تكون بين البحر الشامى والبحر المظلم المحيط بالأندلس خمسة أيام . . . » (٢).

ويتعرض الرازي لذكر مناخ الأندلس ، فيشير إلى اختلاف هبوب الرياح وجريان الأنهار في شرق الأندلس عن غربها فيقول ، « الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ، ومواقع أمطارها ، وجريان أنهارها : أندلس غربي ، وأندلس شرقي ، فالغربي منها ما جرت أوديته إلى البحر المحيط الغربي ، وتمطر بالرياح الغربية ، ومبتدأ هذا الحوز من ناحية الشرق مع المفازة الخارجة مع الجوف إلى بلد شنتمرية طالعا إلى حوز إغريطة المجاورة لطليطلة ، مائلا إلى الغرب ، ومجاورا للبحر المتوسط الموازي لقرطاجنة الخلفاء التي من بلد لورقة ، والحوز الشرقي المعروف بالأندلس الانصى ، وتجرى أوديته إلى الشرق ، وأمطاره بالرياح الشرقية ، وهو من جد جبل البشكنش ، هابطا مع وادي لبرة إلى بلد شنت مرية ، ومن جوف هذا البحر وغربه المحيط ، وفي القبلة منه البحر الغربي الذي منه يجري البحر المتوسط الخارج إلى بلد الشام ، وهو البحر المسمى ببحر تيران ، ومعناه الذي يشق دائرة الأرض ، ويسمى البحر الكبير ، » (٣).

(١) المقرئ ، المصدر السابق ص ١٢٦

(٢) الحميري (أبو عبدالله عماد) صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المطاوع

في خبر الأنطار ، تحقيق ليفي برونفسال ، القاهرة ١٩٣٧ ص ٢

(٣) المقرئ ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٩

ووصف الرازي لجمال الاندلس وأنها ما يعتبر من أدق وأضبط ما كتب عنها ، وعند معالجته المدن نراه يهتم بدراسة مواقعها وحصونها وخمسائها . من حيث الوقوع على البحر أو الاتصال بسهل أو نهر ، وعاملاتها ، ورواتها المعدنية .

وإذا كان أحمد بن محمد الرازي هو أول من كتب في جغرافية الاندلس فإن أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت ٣٦٣ هـ) ، وكان معاصرا له ، اختص بالكتابة في جغرافية المغرب ، فقد كان أندلسيا من وادي الحجار ، ثم هاجر إلى إفريقية ، ونزل القيروان وأقام بها فترة صباه إلى أن عاد إلى الاندلس في عصر الحكم المستنصر ، فكتب له كتابا ضخما في المسالك إفريقية وممالكها ، كما ألف في أخبار ملوكها والغالبين عليهم كتب كثيرة ، وألف كتابا في أخبار تهرت ووهران ونفس وبجلماسة ونكور والبصرة (١) وقد استوعب البكري مادة الوراق الواردة في المسالك في كتابه المسالك والممالك ، وتماز كتابته الوراق في كتابته - استنتاجا مما ورد في المغرب في أخبار إفريقية المغرب للبكري - أنها تجمع بين الكتابة التاريخية والجغرافية (٢) أي أن المادة التاريخية تمزج في المادة الجغرافية في صياغة متسقة . وتلا هذا الجيل من جغرافي الاندلس جيل آخر عاش من النصف الأول من القرن الرابع إلى النصف الأول من القرن الخامس ، ومنهم أحمد بن عمر بن أنس العذري الدلافي . (ت ٤٧٦ هـ) صاحب كتاب نظام المرجان في المسالك والممالك ، نشر منه الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني قطعة عن الاندلس تشتمل على كور تدمير وبلنسية وسرقسطة ووشقة وقرطبة

(١) - مؤنس ، ص ٢٦٩

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٧١

والبيرة وإشبيلية ولبلنة وشذونة والجزيرة الخضراء ، (١) ويتضح لنا مما نشر من « نظام المرجان » أن المذري كان ينهج في كتابته منهج الرازي من تزويد المادة الجغرافية بمادة تاريخية . وتمتاز كتابته المذري بالدقة البالغة في استخدام الاصطلاحات كالسكورة والقاعدة وعنصر النهر والساقية والناعورة .

ومنهم أبو الوائيد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) الذي عرف بمعجمه في التراجم الموسوم بتاريخ علماء الأندلس ، ولم يصل إلينا كتابه المطول في تاريخ علماء الأندلس عن طريق مسندهم ، ولكن وصلتنا منه فقرات أوردها المقرئ في نفح الطيب .

ومنهم أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان (ت ٦٩٠ هـ) الذي ذاع صيته عند علماء التاريخ بأنه عمدة مؤرخي الأندلس وأعظم من أنجبته الأندلس من علماء التاريخ ، ويبدو أنه مهد لكتابه المقتبس الذي اشرنا إليه عند تعرضنا للتاريخ المحلي في الأندلس بفصل جغرافي تمهيدى على النحر الذي اتبعه الرازي من قبل في كتابه « أخبار ملوك الأندلس » ، ونستدل على ذلك من الاقتباسات ، الواردة في نفح الطيب عن إسبانيا وعن جسر قرطبة وعن مدينة الزهراء ، بالإضافة إلى ما تتضمنه القطع المشورة من المقتبس من معلومات جغرافية كثيرة (٢) .

(١) أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس المذري المعروف بابن الملائكي ، نعوس عن الأندلس من كتاب ترميغ الأخبار وتنويع الآثار ، والبستان في غرائب البلدان والممالك إلى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الأهواني ، مدريد ١٩٦٥ .

(٢) حيان مؤنس ، ص ٢٩٧

ومنهم أبو بكر عبد الله بن عبد الحكم المعروف بابن النظام ، وأبو بكر أحمد ابن سعيد بن أبي الفياض ، وأبو عبيد الله البكري ، وعبد الله بن إبراهيم بن وزمر الحجارى (١) . ونعمل بعد ذلك الى الشريف الإدريسي ، وهو قمة علم الجغرافية عند المسلمين على حد قول الدكتور حسين مؤنس (٢) لأنه لم يكن أول جغرافي متخصص في هذا العلم فحسب ، بل لأنه فاق في الحقـل الجغرافي من سبقه من الجغرافيين القدامى والمعاصرين له ، بل فاق بطليموس نفسه وزاد عليه ، ثم لأنه أنتج في الجغرافية التي وهب حياته لها ما لم ينتجه السابقون عليه ولا اللاحقون له (٣) ، وسد هو والبكري الجغرافي ثغرة في علم المسالك والممالك كانت واضحة في جغرافية المغرب الاسلامى (٤) . لقد قضى الإدريسي معظم حياته سائحا في بلاد العالم وأقطاره العربية وغير العربية مثل آسيا الصغرى وصقلية وجنوب فرنسا وإيطاليا ، ويبدو أن الإدريسي بدأ نشاطه في التأليف بكتابه « الجامع لأشتات النبات أو كتاب المفردات أو كتاب الأدوية المفردة » قبل أن يفد على صقلية ، قاصداً بن حمود الأدارسة بها ، ويبدو أيضاً أن رجار الثاني ملك صقلية سمع بشهرته في علم النبات ، فقر به إليه ، وأدناه منه ، وعمل على الاستفادة من علمه ، ثم اكتشف موهبته في علم الجغرافية ، فحاول أن يرغبه في البقاء بصقلية وعمل صورة مجسمة للأرض ، ويرجح الدكتور حسين مؤنس أن الإدريسي وافق على ذلك ، وأنه

(١) حسين مؤنس ، ص ٢٩٨ — ٣٥٩

(٢) حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية

بمريد ، المجلدان ٩ ، ١٠ ص ٢٥٧

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٥٩

(٤) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها الجغرافيون والرحالة

المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد

٨ ، ديسمبر ١٩٥٤ ، ص ٩٥

بادر بإكمال رحلته إلى المغرب حيث استكمل ما أراد من دراسة جغرافية المغرب، ثم ذهب إلى الأندلس للدراسة والمشاهدة، وعاد بعد ذلك إلى صقلية، وبدأ العمل مع رجار، (١)، فأثفله كتابه المشهور «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق»، وامتدح رجار في مقدمته بقوله، «فإن أفضل ما عني به الناظر، واستعمل فيه الأفكار والخواطر، ما سبق للملك المعظم رجار المعز بالله، المقتدر بقدرته، ملك صقلية، وإيطالية، وأنسكيرده، وقلورية، إمام رومية، الناصر للهبة النصرانية، إذ هو خير من ملك الروم بسطا وقبضا، وصرف الأمور على إرادته إبراها ونقضا، ودان في ملته بدين العدل، واشتمل عليهم بكشف التطول والفضل، وقام بأسباب مملكته أحسن قيام، وأجرى سنن دولته على أفضل نظام، وأجل القيام، وافتتح البلاد شرقا وغربا، وأذل رقاب الجبابرة من أهل ملته بعدا وقربا، بما يحويه من جيوش متوفرة العدد والعدد، وأساطيل متكاثفة متناصرة المدد...»، ويختم في مدحه، واحصاء ما ثره فيقول في جملة ما يقوله: «ثم جمع إلى كرم الأخلاق، طيب الأعراق، وإلى جميل الفعال، حسن الخلال، مع شجاعة النفس، وصفاء الذهن، وغور العقل، ووفور الحلم، وسداد الرأي والتدبير، والمعرفة بتصاريف الأمور، من نهاية الفهم الثاقب، ومراميه كالسهم الصائب، ومقفلات الخطوب مستفتحة لديه، وجميع السياسات وقف عليه، ونوماته يقظات الانام، وأحكامه أعدل الأحكام، وعطاياه البحار والزواجر، والغيوث المواطر. وأما معرفته بالعلوم الرياضيات والعمليات فلا تدرك بعد، ولا تحصر بحد، لكونه قد أخذ كل من فن منها بالحظ الأوفر، وضرب فيه بالقدح الممل، (٢). ويشرح الإدريسي بعد ذلك الظروف التي دفعتة إلى تأليف كتابه

(١) حنين مؤنس، المرجع السابق، ص ٢٨٢

(٢) Michele Amari, Eiblioteca Arabo - Sicula, Lipsia, (٢)

1857, p. 18

« نزهة المشتاق » . فقال : « فأمر عند ذلك (ية رجار) أن يفرع له من الفضة الخالصة دائرة منفصلة عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، في وزن أربعمئة رطل بالرومي ، في كل رطل منها مائة درهم واثني عشر درهما . فلما كملت أمر الفعلة أن ينقشوا فيها صور الاقاليم السبعة ببلادها وأقطارها وسيفها وريفها ، خلجانها وبحارها ، ومجاري مياهها ، ومواقع أنهارها ، وعاصرها وغارها ، وما بين كل بلد من بلدانها وبين غيرها من الطرق المطروقة ، والاميال المحدودة ، والمسافات المشهودة ، والمراسي المعروفة على نص ما يخرج إليهم ممثلا في لوح الترسيم ، ولا يغادروا منه شيئا ، ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه ، وأن يؤلفوا كتابا مطابقا لما في أشكالها وصورها ، غير أنه يزيد عليها بوصف أحوال البلاد والارضين في خلقها وبقاعها وأماكنها وصورها وبحارها وجبالها وأنهارها ومماواتها ومزروعاتها وغلانها وأجناس بناتها وخواصها ، والاستعمالات التي تستعمل بها ، والصناعات التي تتفق بها ، والتجارات التي تجلب إليها وتحمل منها ، والعجائب التي تذكر عنها وتنسب إليها ، وحيث هي الاقاليم السبعة مع ذكر أحوال أهلها وحياتهم وخلقهم ومذاهبهم وزينهم وملابسهم ولغاتهم ، وأن يسمى هذا الكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وكان ذلك في العشر الاول من يناير الموافق لشهر شوال الكاين في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، فامثل فيه الامر وارسم الرسم ، وأول ما ابتدئ به الكلام على صورة الارض ، (١) .

وذكر المعتمد في كتابه الوافي بالوفيات أن رجلا « استقدم الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق من العدو اليه ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم ، فلما وصل اليه أكرم نزله وبالع في تعظيمه ، فطلب منه شيئا

من المعادن ليصنع منه ما يريد ، فحمل اليه من الزمعة الحجر ووزن أربعماية الف درهم ، فصنع فيها دواير كهيئة الافلاك . وركب بعضها على بعض ثم شكلها له على الوضع المخصوص ، فأعجب به رجار ، ودخل في ذلك ثلث الفضة ، وأرجح بقليل ، وفضل له ما يقارب الثلثين ، فتركه له إجازة ، وأضاف لذلك مائة الف درهم ومركبا موسقا كان قد جاء إليه من برشلونة بأنواع أجلاب الرومية التي تجلب للبلوك ، وسأله المقام عنده ، وقال له أنت من بيت الخلافة ، ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قنالك ومتى كنت عندي أمنت على نفسك ، فأجابه الى ذلك ، ورتب له كفاية لاتكون الا للبلوك ، وكان يحىء اليه راكب بغلة ، فاذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيأبى فيجلسان معا ، وقال له أريد تحقيق أخبار البلاد بالمعاينة لا بما ينقل من الكتب ، فوقع اختيارهما على اناس الباء فطناء أذكيا ، وجهزهم رجار إلى اقليم الشرق والغرب جنوبا وشمالا ، وسفر معهم قوما مصورين ليصوروا ما يشاهدونه عيانا ، وأمرهم بالتعمى والاستيعاب لما كان لابد من معرفته ، فكان اذا حضر احد منهم بشكل أثبتة الشريف الإدريسي ، حتى تكامل له ما اراد ، وجعله مصنفنا ، وهو كتاب نزهة المشتاق الذي للشريف الإدريسي ، (١) واستنتج بما ذكره الشريف الإدريسي في مقدمته لكتاب نزهة المشتاق ، وما ذكره الصفدى فى الوافى بالوفيات ، ان الإدريسي بدأ عمله بصنع خريطة من صفائح الفضة ركبت على كرة تمثل الأرض ، ونقش على هذه الصفائح ما كان قد رسمه بطليموس فى الاقاليم السبعة ، ثم قسم محيط الكرة طولا إلى عشرة اجزاء متساوية بخطوط تبدأ من القطب الاعلى الى الاسفل ، تتقاطع مع خطوط العرض ، فتؤلف ما يشبه المستطيلات . وما إن تم له ذلك حتى نزع هذه الصفائح وبسطها ،

(١) نفس المرجع ، ص ٦٥٨

محو لا على هذا النحو الخريطة الكروية إلى خريطة مسطحة (١) ، مع مراعاة ما يترتب على هذا التحويل من عمليات رياضية وحسابية دقيقة ، وجعل النقاشين ينقلون على مستطيلاتها محتويات كل مستطيل من مستطيلات الخريطة المسطحة ، واستعان في ذلك برجال ألباء فطناء وجههم إلى أقاليم الأرض للتقصي ، وتزويده بالمعلومات اللازمة . وأقام الإدريسي ١٥ سنة يعمل في هذه الخريطة حتى أتمها على لوح الترسيم ، ثم نقل لوح الترسيم على كرة أرضية عظيمة الجرم ، ضخمة الجسم ، ثم اختتم عمله بتأليف كتاب ضخم يطابق ما جاء في هذه الخريطة من معلومات ، وأزاد عليها بوصف أحوال البلاد الطبيعية والاقتصادية من ذكر نباتاتها وسطحها وصناعاتها وتجاراتها ، مع الاهتمام بالإشارة إلى أحوال سكانها من شكل ومذهب وزينة وزي ولغة (٢) .

(١) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٠١ وما يليها .

(٢) راجع البحث القيم التي قام به الأستاذ الدكتور حسين مؤنس عن الإدريسي في

مقاله السابق .

(٤)

كتب المرموزات

فإن العرب في ميدان الرحلة والكشف الجغرافي غير هم من الشعوب ، فلقد كانت الرحلة من أهم عوامل الرابطة والتواصل بين أنحاء العالم الاسلامي في عصور القوة ، كما كانت من أهم سمات المجتمع العربي الاسلامي في عصور الازدهار الحضاري ، وساعد على الرحلات اتساع رقعة الدولة العربية بعد الفتوحات ، وانطلاق المسلمين الى مراكز العلم المختلفة في سائر أقطار العالم الاسلامي (١) ، كذلك رحل الناس للتجارة بين الأقطار الاسلامية في المشرق والمغرب ، (كسليمان السيرافي الناجر) ، أو لاداء فريضة الحج الى مكة (كناصر خسرو وابن جبير) ، أو للتجسس (كأبو حوئل) ، أو طلبا للاستطلاع وحبا في الاستزادة من معرفة شعوب العالم الاسلامي (كالقدس) ، أو القيام بمهمة ، كأن يكون الرحالة سفيرا للخليفة أو السلطان (كأبو فضلان ، والوزير محمد بن عبد الوهاب الفسافي) .

ولا ننسى أن العرب كانوا قد اعتمدوا على الرحلات التجارية في عصر الجاهلية ، فكانت قوافلهم التجارية تنقل المتاجر من اليمن إلى الشام ، والعكس بالعكس ، برا وبحرا (٢) . ولقد انفتحت أمام العرب بعد الفتوحات الاسلامية المجالات الواسعة للتجارة العالمية ، فاتسعت آفاق الرحلات التجارية ، وارتبطت

(١) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، ص ٦ ،

(٢) جورج فاضلو حوراني ، العرب والملاح في المحيط الهندي ، ترجمة الدكتور يعقوب

بكر ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٣ وما يليها — Aly Mohamed Fahmy, Muslim sea power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, p. 41 .

السيد عبد العزيز سالم ، عصر ما قبل الاسلام ، ص ١٦٨ .

الأسواق الإسلامية في المشرق والمغرب فيما بينها ، وأصبح تجارا الأندلس يرحلون إلى الهند وتركستان ، كما أصبح التجار الترك والفرس يرحلون إلى الصين وحتى إلى بلاد المغرب والأندلس (١) .

وكان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية ، وانتشار الإسلام في الأقطار المفتوحة أثر عظيم في قيام المراكز العلمية في البصرة والكوفة وبغداد ، وبخارى وسمرقند ومرو ونيسابور ، وقوص والفسطاط والقاهرة والاسكندرية وطرابلس الشام ودمشق وبعلبك ، وجدة وعدن ، وتونس والقبروان وبجاية ووهران وسجلماسة وفاس ، وقرطبة وغرناطة وإشبيلية والمرية ومالقة ، وغير ذلك من المدن الإسلامية التي عرفت بازدهارها الحضاري في العصر الإسلامي . وكان من الطبيعي أن ينتقل المسلمون من مركز علمي إلى آخر في هذه الدولة الإسلامية ، مترامية الأطراف ، التماسا للعلم ، ورغبة في تحصيله على شيوخه في المشرق والمغرب . ولقد عقد المقرئ في كتابه « نفع الطيب » ، بابين كبيرين أفردهما لذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، وفي الوافدين إلى المشرق من الأندلس (٢) ، ويكفي

(١) ذكر المقرئ تقياً عن ابن حبان ، أن تجارا من المشرق (من عدن) ، كانوا يقدون إلى قرطبة في زمن المنصور بن أبي عامر للتجارة في الجواهر والأحجار النفيسة (نفع الطيب ، ج ١ ص ٣٨٨) . واستدل من شواهد القبور التي كشف عنها البحث الأثري في المرية على أن تجارا من مصر والشام ومن بغداد كانوا يشتغلون بالتجارة في المرية (Romon Revilla , Patio arabe del Museo Arqueológico nacional de Madrid, Madrid, 1932, p. 120 — Lévi - Provençal, Inscriptions arabes d'Espagne, t. I, p. 116.)

(٢) المقرئ ، نفع الطيب ، الباب الخامس في ذكر الوافدين إلى الأندلس من المشرق ، ج ٢ ص ٢١٣ — ٤٣٣ ، ج ٣ ص ٤ — ٤٥٨ ، والباب السادس في ذكر الوافدين إلى المشرق من الأندلس ، ج ٤ ، ص ٤ — ١٤٥ .

أن نذكر من أمثلة ذلك العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى رحل من تونس إلى مصر حيث استقر بها واتخذها مركزا ثابتا له (١)، وإن كان ذلك لم يمنع من قيامه برحلة إلى الحجاز ورحلة إلى الشام، والفقير محمد بن تومرت مؤسس دولة الموحدين يرحل من قريته فى السوس من بلاد المغرب فى طلب العلم، وينتهى إلى بغداد حيث يأخذ فيها شيئا من أحوال الدين، ثم يرحل إلى الشام، ثم إلى مصر، ويجوب عواصم المشرق الإسلامى زهاء إحدى عشرة سنة قبل أن يعود إلى موطنه بالسوس (٢). كذلك كان الحج من بواعث الرحلات، فقد ظل الدين الإسلامى واللغة حتى بعد أن تفتتت الوحدة السياسية للعالم الإسلامى (٣)، يربطان الشعوب الإسلامية، وتابع الرحالة المسلمون رحلاتهم لتأدية فريضة الحج على الرغم من الانفصال السياسى الذى شمل أقطار العالم الإسلامى منذ النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة.

وكان معظم الرحالة المسلمين يحرصون على تدوين مشاهداتهم، وتسجيل أخبار رحلاتهم وأسفارهم، والمسالك والطرق التى ساروا فيها، والمسافات التى قطعوها فى تنقلاتهم، ويصفون المدن التى نزلوها، ويذكرون الصعوبات التى

(١) عبد الرحمن بن خلدون، التعريف بابن خلدون، ورحلته غربا وشرقا، تحقيق الأستاذ محمد بن تاووت الطنجى، القاهرة ١٩٥١ — وترج. فشل، نشاط ابن خلدون فى مصر الملوكية، مقال فى «دراسات إسلامية»، ترجمة الدكتور أنيس فريجة وآخرين، بيروت، ١٩٦٠ ص ١٧٧ — ١٩٧.

(٢) أبو بكر الصنهاجى، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق الأستاذ ليني برونفيسال، باريس ١٩٢٨، ص ٥٢ — ليني برونفيسال، الإسلام فى المغرب والأندلس، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلى، القاهرة ١٩٥٨ ص ٢٦٥-٢٦٩ — السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص ٧٧٠ وما يليها.

(٣) سعد زغلول عبد الحميد، ملاحظات عن مصر، ص ٩٦.

واجتهتهم فى رحلاتهم ، ويصفون ما عاينوه من مظاهر الحضارة فى كل بلد طرقوه ،
كالمنتجات الزراعية والصناعات والتجارة . كما أن بعضهم وصف بعض مظاهر
الحياة الاجتماعية فى الأقطار المختلفة التى مروا بها ، ولعل ذلك يوضح لنا الفارق
بين الجغرافى والرحالة ، فالرحالة يعتمد على المشاهدة والمعاينة ، ولذلك فإن
كتابه لا يتجاوز وصف ما شاهده فى أثناء رحلته ، أما الجغرافى فيعمل على تغطية
كل الإقليم الذى يتناوله بالبحث . فیسأل ويستقى ، ويجمع المعلومات من الحجاج
وطلبة العلم والمغامرين والتجار والملاحين ، وليس من الضرورى أن يكون
الجغرافى رحالة .

وعلى الرغم من تعدد دوافع الرحلات فى الإسلام ، فإن ما وصلنا من كتب
الرحلات قليل إذا قيس بالمصنفات الخاصة بالرحلات (١) ، ولعل السبب فى ذلك
يرجع إلى ضياع معظمها ، وإلى أن كثيرا من الرحالة آثر أن يدمج مشاهداته فيما
ألفه من كتب تاريخية أو جغرافية كابن حوقل واليعقوبى والمسعودى . وأقدم
ما وصلنا من أخبار الرحالة المسلمين فى القرنين الثالث والرابع للهجرة تشير إلى أن
تجارا من العرب من عمان وسيراف والبصرة كانوا يصلون إلى الصين ، ويروى
المسعودى أخبار بعض هؤلاء الرحالة ، فيذكر أن تاجرا من سمرقند خرج من
بلاده وقد حمل من المتاع أحمالا كثيرة ، فوصل إلى العراق ، ورحل إلى البصرة ،
ثم ركب البحر حتى وصل إلى عمان ، وركب من هناك إلى بلاد كلاء الواقعة فى
منتصف الطريق إلى الصين (٢) . ونستنتج من أقوال الرحالة سليمان السيرافى ،

(١) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٤٨

(٢) المسعودى ، خروج الذهب ، ج ١ ص ١٤٠

الذي ينسب إليه كتاب أخبار الصين والهند (١) ، وجود جاليات إسلامية بالصين (٢) كانت تتمتع في زمانه بامتيازات خاصة . ولقد ذيل رحالة عربي هو أبو زيد الحسن بن اليزيد السيرافي على كتاب سليمان السيرافي ، وأضاف إليه معلومات استقاها من أ.أديته مع التجار والملاحين في سيراف . وفي منتصف القرن الرابع الهجري يروي الرحالة للفارسي بزرگ بن شهريار في كتابه الموسوم بكتاب «عجائب الهند» كثيرا من القصص التي جمعها من أفواه الملاحين والتجار في سيراف والبصرة وعمان عن الهند والشرق الأقصى وشرق إفريقيا (٣) .

ويمكننا استنادا إلى ما رواه هؤلاء الرحالة أن نستنتج بأن الرحالة المتجهين إلى الهند والصين كانوا يبحرون من الأبله ميناء البصرة ، وتقع على مصب دجلة . ولكن الصعوبات التي كانت تعترض طريق الملاحه عند رأس الخليج العربي كانت حافزا على قيام سيراف على ساحل إيران ، جنوبي شيراز ، وقد ازدهرت التجارة البحرية في سيراف ازدهارا جعلها تنافس البصرة في المكان الأول وفي الاممية الاقتصادية . ومن سيراف كان التجار يبحرون إلى الهند وإلى خانفو (كانتون) أعظم مراكز التجارة في الهند الصينية (٤) .

ومن الرحالة العرب الذين كان لهم شأن كبير في القرن الرابع الهجري أحمد بن عباس بن رشيد المعروف بابن فضلان ، الذي أوفده المقتدر العباسي إلى ملك

Relation de la Chine et de l'Inde, éd. par Jean Sauvaget, (١)
Paris, 1948

Ibid. p. 19 (٢)

(٣) جورج فاضلو حوراني ، العرب والملاحه في المحيط الهندي ، ص ٢٠٤

(٤) نفس المرجع ، ص ٢١٦

البلغار بالفلجا في سنة ٣٠٩ هـ . واتعد دون ابن فضلان وصفا لرحلته في كتاب كان مرجعا أساسيا للجغرافيين أمثال المسعودي والاصطخري وياقوت (١) . ومن الرحالة العرب الذين برزوا في القرن الرابع الهجري المسعودي ، الذي اكتسب شهرته كمؤرخ وجغرافي ورحالة . وقد جاب المسعودي الآفاق ، فزار فارس ومناطق من الهند (الملتان وسيلان والسند والبنجاب) وزار ملبار والعين ومدغشقر وآسيا الصغرى والشام ، واستقر بمصر حيث توفي في سنة ٣٤٦ هـ (٢) . ويعتبر كتابه « مروج الذهب » سجلا هاما لرحلاته وملاحظاته ، ففيه دون خلاصة تجاربه وخبراته التي اكتسبها في رحلاته ، ولذلك فإن هذا الكتاب على حد قول الدكتور نقولا زيادة « كتاب سياحة ومعرفة جغرافية وعمران وعلم وملاحظة وأخبار وأساطير » (٣) .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجري ، أصبح في إمكاننا أن نميز من الرحالة العرب والمسلمين فريقين :

١ - رحالة مشاركة ٢ - رحالة مغاربة .

مع العلم بأن رحلات المغاربة إلى المشرق فاقت كثيرا رحلات المشاركة إلى المغرب .

أولا - الرحالة المشاركة ومصنفاتهم :

(١) ناصر خسرو علوى (٤٨١ هـ) ، سفرنامه :

(١) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٢٦ وما يليها - نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٤٤

(٢) زكي محمد حسن ، نفس المرجع ص ٣٦ وما يليها - نقولا زيادة ، ص ٤٧

(٣) نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص ٤٧

هو رحالة فارسي الأصل ولد في بلدة قباديان من أعمال مدينة باخ في سنة ٣٩٤ هـ ، وقضى فترة طويلة من شبابه وهو يحب أنحاء إيران وتركستان والهند ، واستقر به المطاف في مرو ، وعمل في خدمة الغزنويين حينما دالت دولتهم ثم التحق في ديوان السلاجقة بمرو ، حيث انغمس في حياة اللهو والخلاعة والمجون في بلاط جفري بك السلجوقي حاكم خراسان حتى سنة ٤٣٧ هـ ، ثم استجاب لنداء هاتف جاءه في نومه ونهاه عن المعاصي وعن شرب الخمر ، وأسر إليه بالحج ، فعزم ناصر خسرو على تلبية نداء الهاتف ، وبدء صفحة جديدة من حياته ، ورحل لتأدية فريضة الحج ، فبدأ رحلته من مرو إلى الشام مارا بنيسابور والري وتبريز وميفارقين وآمد وحران ، ثم دخل الشام عن طريق منبج ، وزار أهم مدنها ، حتى انتهى إلى الرملة والقدس ، ومن هناك اتجه إلى مكة حيث أدى فريضة الحج ، وعاد إلى القدس ، واجتذبه مصر ، فخرج عليها ، واستقبله الخليفة المستنصر بالله الفاطمي استقبالا حسنا ، واتصل في مصر ببعض رؤساء الاسماعيلية ، ويبدو أنهم استألوه إلى المذهب الاسماعيلي ، فترك مذهبه السني وأصبح منذ ذلك الحين اسماعيليا متعصبا للفاطميين . ولما عاد إلى وطنه في سنة ٤٤٤ هـ وأبدى بعض آرائه في المذهب الاسماعيلي ، اضطهد وطورد ، واضطر إلى الفرار إلى مكان حيث قضى البقية الباقية من حياته (١) .

ولقد سجل ناصر خسرو أخبار رحلته وحواشيها يوما بعد يوم ، وذلك بعد عودته إلى خراسان ، ودون في هذا الكتاب مشاهداته في البلاد التي زارها في

(١) راجع : مقدمة كتاب سفرنامه ، تريب الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٥ ص ١ — خ ، وزكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٥٦ وما يليها — نقولا زيادة ، الرحالة العرب ، ص ٤٨ .

طريقه الى مكة ومصر وفي أثناء عودته الى بلخ . وتعتبر ملاحظات عن فهم عميق بحياة الشعوب ، وإدراك كامل لمظاهر الحضارة فيها ، ووعي واضح بنظم الحكم والعادات والتقاليد . ولهذا السبب يعتبر هذا الكتاب مصدرا هاما لحالة الشرق الأدنى الاسلامي قبيل الغزو الصليبي . وقد توسع ناعمر خسرو في وصف مصر توسعا يدل عليه عظم ما يشغله هذا الوصف من مجموع ما جاء في الرحلة ، فهو يتجاوز نحو ثلث الكتاب . ويبدو أن السنوات الأربع التي قضاها في مصر إتاحت له الفرصة في أن يتغلغل في حياتها ، وينوص في أعمائها ، وقد كان أمينا في وصفه لمظاهر الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية فيها .

(٢) المروى (أبو الحسن علي بن أبي بكر ، ت ٨٦١١) : كتاب

الإشارات الى معرفة الزيارات ، .

أصله من هراة ، ولكنه موصل المولد ، زار كثيرا من بلاد الاسلام ، فرحل الى العراق والشام والحجاز واليمن ومصر وبلاد الروم وصقلية والمغرب وبعض جزر البحر المتوسط ، كما زار القسطنطينية والهند ، وقد عرف بكثرة أسفاره حتى أطلقوا عليه اسم المروى السائح (١) ، واتصل المروى في نهاية حياته بالملك الظاهر ملك حلب ، وأقام في رعايته بحلب حتى توفي في سنة ٨٦١١ . وكتابه والإشارات الى معرفة الزيارات ، (٢) هو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا من مؤلفاته ، وقد سجل فيه وصفه للزيارات والمساجد التي زارها وشاهدها في رحلته ، ولكننا نجد أن وصفه لكثير من هذه الآثار تتخلله القصص الخرافية والأساطير .

(١) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ٩٠ .

(٢) المروى ، كتاب الإشارات ، تحقيق جابن سورديل - جومين ، دمشق ، ١٩٥٣ .

(٢) عبد اللطيف البغدادي توفي في القرن السابع الهجري) : كتاب الافادة

والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، (١) .

ولد في بغداد في سنة ٥٥٧ هـ ، وإليها نسب ، وكان مغرما بالرحلة والسفر ، فزار الشام ومصر والعراق ، وتنقل بين حلب وأذربيجان وأرزن الروم وبغداد . وكتابه ، الافادة والاعتبار ، يتضمن وصفا لمشاهداته في مصر التي زارها مرتين واشتغل بالتدريس في جامعها الازهر ، ويمتاز وصفه لمصر بالدقة العلمية والاهتمام بالنواحي الاجتماعية والعمرانية ، وقد شهد البغدادي الغلاء الفاحش والقحط الذي أصيبت بهما مصر فيما بين عامي ٥٩٣ ، ٥٩٨ هـ في زمن الملك العادل ، ووصف ما أصاب الناس من هذه المجاعة من وباء أدى إلى موت عدد كبير من أهلها ، وقد أشار عبد اللطيف البغدادي إلى الوباء الذي حدث في الاسكندرية في سنة ٥٩٣ هـ وكان يموت منه في اليوم الواحد سبعمائة شخص ، الأمر الذي دغا كثيرا من أهلها إلى الهجرة منها إلى بلاد برقة وأعمالها حيث قاموا بتعويضها (٢) . كذلك شاهد البغدادي الأعمدة المتكسرة التي رماها قراجا وإلى الاسكندرية في أيام صلاح الدين ، بشاطئ البحر ، ليوعر على العدو سلوكه إذا قدم ، وقد استنكر البغدادي هذا العمل ، وعده من عبث الوردان ، ومن فعل من لا يفرق بين المصلحة والمفسدة (٣) ، وهي ملاحظة دقيقة تدل تفهمه للأمور . كذلك شاهد البغدادي قيام صلاح الدين بهدم الأهرامات الحجرية الصغيرة على يدى

(١) طبعة مصر ، القاهرة ١٨٧٠ ، وطبعة بتحقيق وايت ، مع الترجمة اللاتينية ، نشرت

في لندن في ١٨٠٠

(٢) البغدادي ، الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ص ٨٠

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٨

قراقوش واستخدامه لها في بناء قلعة الجبل (١) ، وهي ملاحظة هامة أشار إليها ابن جبير أيضا .

ثانيا - الرحالة المغاربة ومصنفاتهم :

(١) ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البليسي ، ت ٦١٤ هـ) : كتاب

تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، المعروف برحلة ابن جبير ، (٢) .

ولد ابن جبير في مدينة بلنسية في سنة ٥٤٤ هـ ، وتلقى العلم على شيوخ عصره في شاطبه وغرناطة وسبته ، والتحق بخدمة أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، وأولع بغرناطة وطاب له العيش فيها وسكنها . وكان سبب قيامه بالرحلة — على ما ذكره ابن الرقيق — أنه كتب في أول أمره عن السيد أبي سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة ، فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شربه ، فمد يده إليه بكأس ، فأظهر الانقباض ، وقال : يا سيدي ما شربتها قط ، فقال : والله لتشربن منها سبعا ، فلما رأى العزيمة شرب سبع أكؤس ، فلما له السيد الكأس من دنائير سبع مرات ، وصب ذلك في حبره ، فحمله إلى منزله ، وأخبر أن يجعل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير ، ثم رغب إلى السيد ، وأعلمه أنه حلف بإيمان لا خروج له عنها أنه يحج في تلك السنة ، فأسعفه ، وباع ملكا له تزود به ، وأنفق تلك الدنانير في سبيل البر ، (٣) .

والواقع أن ابن جبير قام بثلاث رحلات إلى المشرق الاسلامي ، وكتابه وتذكرة

(١) نفس المصدر ، ص ٢٣

(٢) طبعة ليدن ، تحقيق وليم رايت ، ١٩٠٧

(٣) المفرد ، فتح الطيب ، ج ٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦

بالأخبار ، هو تسجيل لمشاهداته في الرحلة الأولى ، التي بدأها في شوال سنة ٥٧٨ هـ وانتهى منها بعودته الى الأندلس في ٢٢ من المحرم في ٥٨١ هـ ، ومن المعتقد أنه كتب أخبار هذه الرحلة فيما يقرب من سنة ٥٨٣ هـ بعد ان شاع خبر فتح بيت المقدس على يد صلاح الدين الأيوبي ، ثم تأقت نفسه للرحلة مرة ثانية ، فرحل الى المشرق الاسلامي في سنة ٥٨٥ هـ ، وهي رحلة استغرقت سنتين وعدة أشهر ، عاد بعدها الى غرناطة في شعبان سنة ٥٨٧ هـ ، ولكنه آثر أن يقيم في سبته ، ويتزوج فيها ، ثم يعزف عن المقام بسبته بعد وفاة زوجته عائكة أم المجد بنت أبي جعفر الوقيشي وكان كلفا بها فيرحل الى المشرق مرة ثالثة (١) ، في سنة ٦١٤ ، وينزل بالاسكندرية ، ولم يطل به العمر بعد ذلك إذ توفي في نفس هذا العام بالشعر السكندري (في ٢٩ شعبان) ودفن بها ، ومن المعتقد أنه دفن في الموضع المعروف اليوم بسيدي جابر.

ورحلة ابن جبير أشبه بمذكرات يومية سجل فيها ملاحظاته ومشاهداته لما شاهده في رحلة في الاسكندرية والقاهرة والفسطاط وقرص وعيذاب ومكة والمدينة والكوكة وبغداد والموصل وعكا وصقلية . وقد اهتم في كتابته بوصف المساجد والأضرحة والبياكل والآثار ، كما عنى بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي زارها . ووصفه للآثار يدل على دقة الملاحظة ، وقدرة عجيبة على التعبير عن الفن الزخري والمعماري على السواء ، أما ملاحظاته وتعليقاته على مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي زارها ، فمن أهم الوثائق التي تعين الباحث في تصور الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في الشرق الأدنى الاسلامي في عصره . وأروع ما ذكره منها تصويره لتعايش السامى بين العليبيين والوطنيين في مملكة

(١) ابن الخطيب ، الاحاطة في أخبار غرناطة ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ ، ج ٢ ص ١٦٩

بيت المقدس العليية ، على الرغم من حالة الحرب القائمة بين المسلمين والصليبيين .

(٢) ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى ، ت ٦٨٥ هـ) : متمم كتاب « المغرب في حلى المغرب ، ومؤلف « المشرق في حلى المشرق » ، (١) .

ولد أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بقلعة يحصب من أعمال غرناطة في سنة ٦١٠ هـ وهي قلعة تعرف بقلعة بني سعيد ، وكانت تعرف قبل ذلك بقلعة أسطير وهو عين لما ، وبيت بني سعيد من أعظم بيوتات الأندلس وأشرفها إذ يرتفعون في نسبهم إلى عمار بن ياسر الصحابي ، وكان أبو عمران موسى ابن عبد الملك بن سعيد من أشهر كتاب عصره ، ولذلك ولاء المتوكل محمد بن هود على الجزيرة الخضراء ، وناب ابنه علي عنه في أعمال الجزيرة (٢) . وكان علي بن موسى « وسطى » فقد بيته وعلم أهله ، ودره قومه ، المصنف ، الأديب ، الرحالة ، الطرفة ، الأخبارى ، العجيب الشأن في التجول في الأقطار ، ومداخلة الأعيان ، للتمتع بالخزائن العلمية ، وتقييد الفوائد المشرقية والمغربية ، أخذ من أعلام إشبيلية كأبي علي الشلوبين ، وأبي الحسن الدباج ، وابن عصفور وغيرهم ، (٣) .

وكتاب « المغرب في حلى المغرب » ثمرة جهود أربعة من بيت بني سعيد ،

(١) عدها آنخل جنثالث بالثيا كتابا واحدا عنوانه « كتاب فلك الأرب ، المحيط بحلى لسان العرب » ، ينقسم الى كتابين كبيرين : المغرب في حلى المغرب ، والمشرق في حلى المشرق ، الأول تاريخ المغرب والأندلس فيما بين عامي ٥٢٩ ، ٦٤٠ هـ (راجع تاريخ الفكر الأندلس ، ص ٢٤٤)

(٢) المقرئ ، فتح الطيب ، ج ٣ ص ٣٨

(٣) نفسه ، ص ٣٨

أولهم عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بني سعيد في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، وقد بدأ فيه عبد الملك من سنة ٥٣٠ هـ إلى أول سنة ٦٤١ هـ ثم أتته ابنة محمد بن عبد الملك، ثم أزداد فيه موسى بن محمد، ثم أربى عليهم جميعا في أتمامه أبو الحسن علي ابن موسى الذي يرجع إليه الفضل في اخراج الكتاب بمسورته النهائية. وقد ضمن ابن سعيد هذا الكتاب قسما عن مصر التي زارها في صحبة أبيه في سنة ٦٣٩ هـ في السنة الثانية من ولاية الملك الصالح نجم الدين أيوب على مصر. وفي الاسكندرية توفي أبوه بعد ستة أشهر من وصوله إليها. وأتيح لعلي بن موسى بن سعيد أن يتصل في مصر بعلمين من أعلام النكر الاسلامي يومئذ هما جمال الدين موسى بن يغمور، والقاضي كمال الدين ابن العديم الحلبي (١). أقام علي بن سعيد في مصر أربع سنوات، ثم انتقل منها إلى حلب في سنة ٦٤٤ هـ، وظل مقبلا بحلب متمتعا بنعم الملك الناصر صاحب حلب، إلى أن رحل عنها إلى دمشق في سنة ٦٤٧ هـ، وانتقل منها بعد ذلك إلى بغداد في السنة التالية مارا بأرمينية وأرجان، ثم أدى فريضة الحج، ورحل بعد ذلك إلى تونس في سنة ٦٥٢ هـ حيث قربه السلطان أبو عبد الله المستنصر بالله الحفصي. ثم رحل للمرة الثانية إلى المشرق في سنة ٦٥٦ هـ (٢)، ونزل بالاسكندرية وهناك بلغه ما فعله التارمع الملك الناصر صاحب

(١) ذكر محمد حسن، مقدمة كتاب ابن سعيد، المغرب في حل المغرب، الجزء الأول من القسم الخاص بمصر، القاهرة، ص ١٦ م

(٢) ورد في المصادر العربية أنه رحل إلى المشرق ورحلته الثانية في سنة ٦٦٦ هـ، ولكن يبدو أن هذا التاريخ غير صحيح، وأن صوابه ٦٥٦ هـ، لأنه اتصل بهولاكو في هذه الرحلة عقب افتتاحه لمدينة حلب في أول سنة ٦٥٧ هـ. ومن الملاحظ أن هولاكو توفي في سنة ٦٦٣ هـ، فإن صدقنا التاريخ الأول، يصبح من المستحيل على ابن سعيد مقابلة هولاكو، لأنه يكون قد مات قبل سفره بثلاث سنوات.

جلب وكيف قتلوه بعد أن أعطوه ، الأمان فحزن لمقتله حزناً شديداً ، وعزم على السير إلى هولاءكو ليؤثر عليه بعله ، ويثنيه عن مهاجمة الديار الإسلامية ، فمضى إلى حلب ، ورحل منها إلى صحراء يوشن في طريقه إلى أرمينية ، حيث وافته الفرصة لمقابلة هولاءكو ، وأقام بأرمينية فترة من الوقت ضيفاً على هولاءكو ، حتى كانت هزيمة التتار في عين جالوت ، في سنة ٦٥٨ هـ ، فرحل ابن سعيد إلى إيران ، ثم عاد بعد ذلك إلى تونس ، وأقام بها بقية حياته حتى مات في سنة ٦٨٥ هـ .

والقسم الخاص بمصر من كتاب « المغرب في حلى المغرب » ، ويعرف بكتاب « الإكليل في حلى بلاد النيل » ، يبدأ بالحديث عن عمر وذكر فضائلها على النحو الذي اتبعه معظم من كتب عنها من مؤرخي العرب ، ثم يقسم كتاب هذا القسم المصري من بني سعيد الكور المصرية إلى أقسام ثلاثة هي المملكة العليا والمملكة الوسطى والمملكة السفلى (١) .

أما الكتاب الثاني لابن سعيد « المشرق في حلى المشرق » ، فقد ألفه علي بن سعيد استجابة لرأى أبيه وتنفيذاً لخطته ، وتوجد في المكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة لهذا الكتاب .

وتتميز كتابة ابن سعيد بالمبالغة في وصف مساوىء العمران المصري في الفسطاط والتحامل على عادات المصريين ، ويتجلى ذلك في قوله : « ولما استقررت بالقاهرة تشوفت إلى معاينة الفساط ، فسار معي إليها أحد أصحاب العزمة ، فرأيت عند باب زويلة من لحير المعدة لركوب من يسير إلى الفسطاط جملة عظيمة لا عهد لي بمثلها في بلد ، فركب منها حماراً ، وأشار إلى أن أركب حماراً آخر ، فأنفت من ذلك جرياً إلى عادة ما خلفته من بلاد المغرب ، فأعلمني أنه غير معيب على أعيان مصر .

(١) ذكرى حسن ، مقدمة كتاب المغرب في حلى المغرب ، ص ٢٨ م

وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها ، فركبت ، فعندما استويت راكبا أشار المكارى على الحمار ، فطار بي ، وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عيني ودنس ثيابي ، وعمايت ما كرهته . وقلعة معرفتي بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعده ، وقلعة رفق المكارى . وقعت في تلك الظلمة المثارة من ذلك المعجاج ، وقلت :

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكل الغبار
وخلفى مكارى فوق الريا ح لا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهلا فلا يرعوى إلى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوق رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدعيت إلى المكارى أجرته ، وقلت له : إحسانك إلى أن تتركنى أمشى على رجلى ، ومشيت إلى أن بلغتها ، وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط ، وحققة بعد ذلك ، نحو الميلى . ولما أفبلت على الفسطاط أدبرت عن المسرة ، وتأملت أسواراً مثلبة سوداء ، وآفاقاً مغبرة ، ودخلت من بابها ، وهو دون خلق ، يفضى إلى خراب مغمور بمبانٍ مشتتة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الإذكن والقصب والشميل ، طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس التنظيف ، وينض طرف الظريف ، (١) .

(٣) العبدوى (محمد بن محمد بن علي البلنسى) في أواخر القرن السابع الهجرى :

الرحلة المغربية : يرتفع نسب العبدوى إلى بنى عبد الدار بن قصى ، وكانت بلانسيه هي

(١) ابن سعيد ، المغرب في حل المغرب ، الجزء الأول من القسم الخامس بمصر ، ص ٦٤ -

المحرى ، تقع الطبب ، ج ٣ ص ١٠٣ ، ١٠٤

موطن أسرته في بلاد الأندلس ، وكان أبوه أبو عبدالله محمد بن أحمد بن موسى بن هذيل العبدري (ولد في سنة ٥١٩هـ) قد رحل إلى المشرق ، ونزل بمصر وسمع من السلفي وابن عوف ، ذا حظ من علم اللغة (١) أما ابنه محمد صاحب الرحلة فقد حذا حذوه في السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج في سنة ٦٨٨هـ ، وبدأ رحلته من حاحة في السوس الأقصى ، واخترق المغرب الأقصى إلى تلمسان والجزائر وبجاية وقسنطينة وتونس ، ثم اخترق بلاد ليبيا برا حتى الإسكندرية ، ثم سلك الطريق البري من الإسكندرية إلى مكة ، وعاد إلى المغرب عن طريق فلسطين ومصر وليبيا . وقد وصف العبدري مدن المغرب ومصر وذكر آثارها ومعالمها ، واهتم بوجه خاص بالنواحي الاجتماعية والعلمية ، فذكر الخصائص البارزة في سكان الأقاليم التي مر بها (٢) .

وقد تحامل العبدري على مصر والمصريين وسب أهلها ، بطريقة فاقت أسلافه من المغاربة أمثال ابن جبير وابن سعيد . ويعتقد الأستاذ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد أن « ذم أهل مصر — إلى جانب فضائلها — أصبح موضوعا تقليديا هو الآخر ، بدأه الجاحظ ونقل عنه المتأخرون عندما قال : أهل مصر أعقل الناس صفارا وأحقهم كبارا ... » (٣) . وأول ما وجهه العبدري من سباب لأهل مصر عندما تعرض لوصف ما لقيه على أيدي مفتشى المكوس ، فيقول : « ومن الأمر المستغرب والحال الذي أفصح عن قلة دينهم أنهم يعترضون الحجاج ، ويجمعونهم من بحر الإهانة الملح الأجاج ، يأخذون على وقدم الطرق والفجاج ،

(١) المقرئ ، ج ٢ ص ٤١٩

(٢) زكي محمد حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٣٣ — نقولا زيادة ، الرمال العرب ، ص ١٠٠

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١٠٨

يبحثون عما بأيديهم من مال ، ويأمرون بتفتيش النساء والرجال ، وقد رأيت من ذلك يوم ورودنا عليهم ما اشتد له عجبى ، وجعل الانفصال عنهم غاية أربى ، وذلك لما وصل إليها الركب جاءت شرذمة من الحرس ، لا حرس الله مهجتهم الخسيسة ، ولا أعدم منهم لأسد الآفات فريسة ، فدوا في الحجاج أيديهم ، وفتشوا الرجال والنساء ، وألزموهم أنواعا من المظالم ، وأذاقوهم ألوانا من الهوان ، ثم استخلفوهم وراء ذلك كله ، وما رأيت هذه العادة الذميمة ، والشيمة القبيحة في بلد من البلاد ، ولا رأيت في الناس أقسى قابوا ، ولا أقبل حياء ومروءة ، ولا أكثر إعراضا عن الله سبحانه ، وجفاء لأهل دينه من أهل هذا البلد ، (١) . وينقل إلينا الأستاذ الدكتور سعد زغلول أمثلة من ذم العبدى لأهل مصر منها قوله في وصف القاهرة : « مدينة كبيرة القطر وساكنها يحاكي عدد الرمل ، وهى مع ذلك تصغر عن أن يسطر ذكرها في سطر . إن نظرت إلى صورتها ذكرت قول القائل :

بغات الطير أطولها رقابا . . . ولم تطل البراة ولا المقود

وإن تأولت معناها ذكرت قوله :

وقد عظم البعير بغير لب . . . فلم يستغن بالعظم البعير

وإن تأملت إفراط عمارتها ذكرت قوله :

خشاش الطير أكثرها فراخا . . . وأم الصقر مقلال نزور

... وحسبها شرا أنها جرين لحالة العباد ، ودعاء لنفاة البلاد ... سم الفس ممزوج في عسل النحل . خرجت عمارتها عن الحد المألوف ، وزادت كثيرا على

(١) زكى حسن ، الرحالة المسلمون ، ص ١٢٢

القدر المعروف . أما بغضهم الغريب ، وتآلؤهم على ذلك فأمر لا يحيط به علما إلا من عاينه ، ما رأيت بالمغرب الأقصى والأندلس على شكاسة أخلاقهم ، (١) . وبينما نراه يذم مصر والمصريين نراه يمدح تونس وأهلها ، ففي مدحه لتونس يقول : « ثم وصلنا إلى مدينة تونس مطمح الآمال ، ومصب كل برق ، ومحط الرحال من الغرب والشرق ، وملتقى الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك ، فان شئت أصحرت في موكب ، وإن شئت أبجرت في مركب ، كأنها ملك والأرباض لها إكليل ، وأرجاؤها روضة باكرتها ريح بليل » . (٢) وفي أهل تونس يقول : « وما رأيت لأهلها نظيرا شرقا وغربا ، شيئا فاضلة ، وأخلاقا حميدة ، وقد كان الأخلق بمن شاهد أخلاقهم أن يطنب في وصفهم ، ويضرب عنم لم ينعمهم الوداد وينصفهم ، إذ ذلك من بعض واجبههم ، وأقل مراتبهم ، ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق ، ولا يعتمد الفراخ إلا أهل العقوق . . . » . ثم يقارن بين أهل تونس وبين بعض من لم يؤتوا من الفضل ، معنيا بذلك أهل مصر : « فسبحان من خلقهم وأهل تونس في طرفي نقيض ، أولئك في الأوج وأولاء في الخفيض » . (٣) .

(٤) النوشريشي (أبو عمر عبد الله بن رشيد ، ت بعد عام ٧٠٠ هـ) : الرحلة .

النوشريشي من الرحالة المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق الإسلامي ، وجاب النوشريشي بلاد المغرب ومصر والشام فيما يقرب من عام ٦٧٣ هـ ، وسجل ما شاهده في رحلته ، وترجم لمن لقيه في طريقه من أهل الأدب والعلم في كتابه

(١) سعد زغلول عبد الحميد ، المرجع السابق ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) نقولا زيادة ، الجغرافية والرحلات عند العرب ، ص ١٧٣

(٣) نقولا زيادة ، المرجع السابق . ص ١٧٦

الرحلة ، الذي وصلت إلينا نسخ مخطوطة منه (١) . وتألف الرحلة من خمسة أجزاء منها جزآن في مكتبة الاسكوريال تحت رقم ٣٩ هما الثالث والرابع (٢) .

(٥) ابن رشيد السبتي الفهرى (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد (ت ٥٧٢١هـ)

رحلة المغرب والاندلس . ولد في سبتة في سنة ٦٥٩ ، ونشأ في بيئة علمية ، وكان خطيباً بليغاً وعالماً في الحديث ، وقد رحل إلى المشرق الإسلامي في سنة ٦٨٣ هـ لأداء فريضة الحج والإتصال بالمدارس العلمية في الحجاز والشام ومصر ، فأبحر من ثغر المرية إلى إفريقية ، في رفقة الوزير أبو عبد الله بن الحكيم الرندي ، ومن إفريقية رحل إلى مصر والشام ، وأدى فريضة الحج . وعند عودته من الرحلة تولى قضاء المناكح بقرناطة ، ولكنه لم يلبث أن زهد في القضاء ، فرحل إلى فاس ، وتوفي فيها في ٢٣ محرم سنة ٥٧٢١ هـ ، ودفن خارج باب الفتوح من أبواب مدينة فاس ، وقد سجل رحلاته في رحلتين : إحداهما طاف فيها بتواحي إفريقية ، والثانية زار فيها بلاد الاندلس ، وقد ضمن مشاهداته ملاحظات خاصة بالأدب والتاريخ الطبيعي (٣) .

(٦) البلوى (أبو البقاء خالد بن عيسى البلوى ، ت في أواخر القرن الثامن

هجري) : د تاج المفرق في تحلية علماء أهل المشرق ، .

ولد البلوى في بلدة قنتورية من حصون وادي المنصورة من أعمال قرناطة ، وكان من أهل الفضل والعلم ، ففرضى ببلده وبغيره ، ثم رحل إلى الحجاز لتأدية فريضة

(١) آنغل جنثال بالثيا ، المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(٢) Pons Boigues, Historiadores y geografos arabigo espanoles,

P. 314

(٣) Ibid. p. 317,318 - آنغل جنثال بالثيا ، ص ٣١٩

الحج في ١٨ صفر سنة ٧٣٦ هـ ، عن طريق بلاد المغرب ، مارا بتلسان وبجاية والجزائر وتونس . وهناك أبحر إلى الاسكندرية ، فنزل بها ، ثم رحل إلى القاهرة ، ومنها إلى بيت المقدس فالمدينة ومكة . وعاد من الحج إلى الاسكندرية ، وركب منها سفينة إلى طرابلس . ولكنه اضطر إلى العودة إلى الاسكندرية حيث أقام بها فترة طويلة ، إلى أن عزم على مغادرتها إلى تونس . وأقام بتونس زهاء عامين رحل بعدهما إلى مسقط رأسه في أول ذي الحجة سنة ٧٤٠ بعد أن مر على بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر ، وهناك سجل أخبار رحلته في كتاب بعنوان « تاج المفرق في تحلية علماء أهل المشرق » وصف فيه مشاهدته في البلاد التي زارها ومن لقيه من علماء وأدبائها ، معززا كتابته بنماذج من أسفارهم وثرهم (١) ، ولكنه نقل كثيرا عن العباد الأصفهاني وصفه وان وابن جبير . وقد انتقده ابن الخطيب ، وعاب عليه سطوه على الرحالة السابقين ، وادراج ذلك في كتابه (٢) . ولرحلة البلوي نسختان مخطوطتان في باريس ، ونسخة محفوظة في مكتبة القرويين بفاس ، ونسخة في جامع الزيتونة بتونس ، ونسخة بمدرسة الآداب بالجزائر .

وقد وصف البلوي في رحلته آثار القاهرة ، فذكر مبانيها ومساجدها ومدارسها ومصانعها ، ووصف بعض المشاهد ، كما وصف مارستان القاهرة وهو مارستان المنصور قلاوون فقال : « ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا المارستان وحده ، وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا واتساعا ، لم يعهد مثله لقطر من الأفطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل انتهاء في الحسن » (٣) ، ثم

(١) ابن الخطيب ، الاطحة في أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٥٠٨ - Pons Boigues, op. cit. p, 330

(٢) ابن الخطيب ، الاطحة ، ٥٠٨

(٣) سعد زغلول عبد الحميد ، ملاحظات عن مصر ، ص ١١٠

يُرد صفحات كثيرة من رحلته في ذكر من لقيه من المشايخ في مصر . ويهتم البلوى بمدينة الاسكندرية اهتماما خاصا ، فيشير الى بنائها على أيام الاسكندر ، ويصف منار الاسكندرية المشهور .

(٧) أبو حامد الغرناطي (أبو عبد الله بن عبد الرحيم ، ت ٥٦٥ هـ)

، تحفة الالباب ونخبة الاعجاب ،

ولد أبو حامد الغرناطي بغرناطة في عام ٤٧٣ هـ ، ورحل الى الاسكندرية في سنة ٥٠٨ هـ وسمع بها من أبي عبد الله الرازي ، وسمع بمصر من أبي صادق مرشد ابن يحيى المديني وأبي الحسن الفراء الموصل ، وأبي عبد الله محمد بن بركات ابن هلال النحوي وغيرهم . ثم رحل الى الشام ، وحدث بدمشق ، وسمع أيضا بها ببغداد (١) . وفي سنة ٥١١ هـ نزل بصقلية ، ثم عاد الى مصر ، وفي سنة ٥٢٥ هـ طاف بكثير من الأنظار ، فاجتاز بحر قزوين ووصل الى ضفاف الفلجا ، وزار بلاد البلغار ، كما زار مدينة خوارزم .

وفي عام ٥٥٥ هـ زار بغداد مرة ثانية ، واستضافه الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة ، فألف له الغرناطي كتابا بعنوان « المغرب عن بعض عجائب المغرب » ، ثم ألف بعد ذلك بعامين في الموصل كتابه المشهور « تحفة الالباب ونخبة الاعجاب » الذي توجد منه نسخا كثيرة مخطوطة في كثير من المكتبات الاوربية . ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب ، الأول منها في صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها ، والثاني في صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان ، والثالث في صفة البحار وعجائب حيواناتها ، والرابع في صفات الحفائر والقبور (٢) .

(١) المرقى ، تقع الطيب ، ج ٣ ص ٥

(٢) Pons Boigues, op. cit. p. 229,230

(٨) ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٠ هـ)

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (١) ، المعروف برحلة

ابن بطوطة .

هو أعظم الرحالة العرب وأشهرهم على الإطلاق وأكثرهم طوافاً في آفاق الأرض ، وعناية بسرد تفصيلات مشاهداته في الرحلات التي قام بها خلال ثلاثين عاماً ، ومراعاة لتسجيل ملاحظاته الخاصة بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية للبلاد التي زارها .

ولد ابن بطوطة في مدينة طنجة في عام ٧٠٧ هـ ، ونشأ في بيئة علمية ، إذ كان معظم أفراد أسرته ممن اتبع لهم تولى مناصب القضاء والنبوغ في العلوم الدينية . وقد أطلع ابن بطوطة بالسفر والرحلة وهو بعد شاب في مقتبل عمره ، فرجل عن وطنه في سنة ٧٢٥ هـ لإداء فريضة الحج ، ولكن قدر له أن يقضي ما يقرب من ثلاثين سنة في رحلات متواصلة زار خلالها جميع ديار الإسلام بالإضافة إلى سيلان والهند والصين وآسيا الصغرى والقسطنطينية وبلاد القرم والقوقاز وبلاد البلغار ، كما زار خوارزم وبخارى وسمرقند من بلاد ماوراء النهر ، وترمز وبلغ وهرات وطوس ونيسابور من خراسان ، وقد قطع هذه الرحلة للحج إلى مكة أربع مرات .

ثم عاد في خاتمة رحلته إلى تونس في صفر سنة ٧٥٠ هـ ، وركب من تونس على مركب قطاني، عبرت بحيرة مردانية ، وانتهى به الأمر بعد مغامرات مشقة إلى مدينة فاس حيث انصل بالسلطان المريني أبي عنان ، وليكنه لم يلبث أن دخل

المجد إلى ندليس حيث زار مالقة وغرناطة ، ثم عاد إلى فاس ، وهناك أوفده السلطان المريني في سفارة إلى بلاد السودان الغربي في أول سنة ٧٥٣ هـ ، واستمرت هذه الرحلة ما يقرب من عام ، وعاد إلى فاس في غضون سنة ٧٥٤ هـ .

وفي بلاط السلطان المريني أمل ابن بطوطة كتاب الرحلة لمحمد بن بختي الكلي (المتوفى سنة ٧٥٧ هـ) بإشارة من السلطان .

(٩) التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد ، ت ٧١٨ هـ) : « رحلة التجاني (١) .

ينتسب عبد الله بن محمد التجاني صاحب الرحلة المعروفة إلى بيت التجاني من أعظم بيوتات تونس ، وكانوا في الأصل ينتسبون إلى قبيلة « تجان » المغربية ، وأول من قدم منهم إلى تونس هو أبو القاسم التجاني ، إذ اشترك في الجيش الذي سيره عبد المؤمن الموحدى لفتح إفريقية ، ثم استقر التجانيون في تونس ، وشاركوا في النهضة العلوية التونسية في عصر الموحدين ثم في عصر بني حفص (٢) .

وظهر التجاني في عهد السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة ، فاستصفاه شيخ الموحدين الأمير أبو يحيى زكريا بن اللحياني لنفسه ، وأذن منزله إليه ، وصحبه التجاني عندما عزم على تفقد بلاده استعداداً لمحاربة الأسبان المغتصبين لجزيرة جربة ، وذلك في سنة ٧٠٦ هـ ، ودامت رحلته التجاني عامين وثمانية أشهر وبضعة أيام .

وقد سجل التجاني في رحلته مشاهداته في البلاد الإفريقية ، ودون انطباعاته بأسلوب سلس ، واهتم بوصف العمران التونسي في رحلته في المدن والقرى مع

(١) تحقيق الأستاذ حسن حني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

(٢) راجع مقدمة الأستاذ حسن حني عبد الوهاب لرحلة التجاني ص ٣ - ١٩ م .

التعريف بأخبارها التاريخية وذكر النابيين من أبنائها . ويزور التجاني الساحل
التونسي ماراً بصفاقس ، ثم ينحدر جنوباً إلى قابس وجزيرة جربة ، فيصفها
وصفا رائعا ، ويتعرض لعادات أهلها ومذهبهم ، ثم يدخل في الواحات الجنوبية ،
ويقطع سبخة تاكمرت ، ويصل بعد ذلك إلى طرابلس ، ويقيم فيها فترة من
الوقت ، يتصل خلالها بعلماء المدينة وأولى الفضل من أهلها ، ثم يعود إلى وطنه ،
واصفاً ما مر به في طريقه حتى يصل إلى تونس (١) .

—————

(١) حسن حسني عبد الوهاب ، المقدمة السابقة ص ٤١ م ٤٤ م ٤٥ .

(٥)

الشعر العربي وكتب الأدب

يعتبر الشعر العربي في الجاهلية من المصادر الهامة لتاريخ العرب وحضارتهم في ذلك العصر ، إذ يصور لنا كثيراً من أحوال العرب الاجتماعية والدينية ، كما يصور لنا طباعهم وأخلاقهم . والشعر الجاهلي « ديوان العرب » (١) لأنه سجل لأخلاقهم ، وعاداتهم ، وعقليتهم ، وبه حفظت الأنساب وعرفت المآثر ، وفيه ذكر لأيام العرب ووقائعهم ، وهو لذلك السبب مرآة تنعكس عليها صور حياتهم في السلم وفي الحرب .

وعلى الرغم من أن الشعر الجاهلي تعرض للضياع ، إذ ترك يتناقل على ألسنة الرواة نحو قرنين من الزمان إلى أن دون في تاريخ متأخر ، وعلى الرغم من أن ما وصلنا منه على قلته مشكوك في أصالته ، منحول عليه (٢) ، لعوامل دينية وسياسية وجنسية (٣) ، فإن ما وصلنا من الشعر العربي الجاهلي منحولا كان أو أصيلا ، يعتبر مصدرا أساسيا لتصوير حياة العرب في الجاهلية ، ذلك أن القائلين بتزييفه كانوا يحرصون على أن يقلدوا خصائص الشعر الجاهلي المعنوية واللفظية في مهارة وحذق ، لدرجة أن الناقد يصعب عليه أن يفرق بين قول المزيف وقول الجاهلي .

(١) القرشي ، جبهة أشعار العرب ، بولاق ، ١٣٢٨ ، ص ٣ - أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٥٧ .

(٢) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٢٧ ص ٦٤

(٣) أحمد أمين ، فجر الإسلام ، ص ٥٠ - ضحى الإسلام ، ج ٢ ص ٢٧٤ .

والشعر مصدر هام يمين الباحث في التاريخ على تصور ما كانت عليه الآثار المختلفة من قصور ومنتزهات وبرك ومنيات ، وكثيراً ما يتضمن أسماء مواضع تعين أيضاً على تحديد المعالم الهامة للدينة المراد دراستها ، فهذا هو الوزير أبو الوليد ابن زيدون ، وقد ثار به الوجد والحب أثناء فراره من قرطبة يوم العيد ، يحن إلى ذكرياته مع ولادة بنت المستكفي بالله ، فيذكر معاهد كان يخرج إليها ويتفرج بها فيقول :

خليلي لا فطر ينر ولا أضحي	فأحال من أمسى مشوقاً كما أضحي
لئن شأقتي شرق العقاب فلم أزل	أخمس بمحوض الهوى ذلك السفحاً
وما انفك جوفي الرصافة مشعري	دواعي بث يعقب الأسف البرحاً
ويحتاج قصر الفارسي صباية	لقلبي لا يالو زناد الأسى قدحاً
وليس ذمياً عهد محبس ناصح	فأقبل في فرط الولوع به لصحاً
كأنني لم أشهد لدى عين شهدة	نزال عتاب كان آخره الفتحة
وقائع جانيها التجنى فإن مشي	سفير خضوع بيننا أكد الصلحاً
وأيام وصل بالعقيق اقتضيته	فإن لم يكن ميعاده العيد فالفصحاً
وأجبال لجور في مسناة مالك	معاطاة بدمان إذا شئت أو سبحاً
لدي برأكد تعيبك من صفحانه	قوارير خضر خلتها مردت صرحاً
معاهد لذات وأوطان صبرة	أجلت المعلنى في الأمانى بها قدحاً
ألا هل إلى الزهراء أوبة نازح	تقضى تنائيهام مدامعه نوحاً
أجل إن ليلي فوق شاطئ يبطنة	لأقصر من ليلي بآنة فالبطحاً (١)

وتتضمن الآيات السابقة أسماء مواضع كثيرة في قرطبة مثل العقاب ،

(١) انفرى ، تفتح الطيب ، ج ، ص ١٥٥ .

والرصانة ، والقصر الفارسي ، ومحبس ناصح ، وعين شهدة ، والعقيق ، ومسننة مالك ، وراكد ، والزهاء ، أما بيئة فهو نهر قرطبة ، وآلة فهو وادي يشق وسط الأندلس وغربها ويصب في الجنوب قريباً من بلدة ولبة .

ويصف ابن قلاف السكندري (ت ٥٦٥ هـ) قصر بني خليف من قصور الاسكندرية ، وكان قصراً راسخ البناء ، عظيم الارتفاع ، قد رسا بناؤه ، وسما ارتفاعه ، ، فيقول :

قصر بمدرجة النسيم تحدث فيه الرياض بسرهما المستور
خفض الخورنق والسدير سموه وثني قصور الروم ذات قصور
لاث الغمام عمامة مسكية وأم في أرض من الكافور (١)

أما كتب الأدب فقد تعرض الكثير منها لذكر روايات تاريخية خاصة بالبلدان ، وبعض القضايا التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تعين الباحث في التاريخ والحضارة الإسلامية على الإلمام بهذه الجوانب من الحضارة . ومن الكتب الأدبية التي تعتبر مصادر هامة للتاريخ الإسلامي ما يلي :

١ — كتاب الحيوان ، وكتاب البيان والتبيين ، وكتاب النهر بالتجارة ، وكتاب التاج في أخلاق الملوك ، للجاحظ .

٢ — كتاب عيون الأخبار ، وكتاب الإمامة والسياسة ، وكتاب الشعر والشعراء ، وكتاب المعارف لابن قتيبة الدينوري .

٣ — كتاب نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، وكتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للبقرى .

(١) نفس المرجع ج ٤ ، ص ٢٤٠

- ٤ — كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني .
 - ٥ — كتاب طوق الحمامة لعلی بن أحمد بن حزم .
 - ٦ — كتاب قلائد العقیان ، وكتاب مطمح الانفس ومسرح التانس فی ملح أهل الاندلس ، للفتح بن خاقان .
 - ٧ — كتاب الاغانی لأبی الفرج الاصفهانی .
 - ٨ — كتاب الكامل للبرد محمد بن یزید .
- هذه الكتب الادبية لا تخلو من روايات تاريخية عن العرب وأيامهم ، وأديانهم ، وأشعارهم ، وأمثالهم ، وأغانيهم ، وسيرهم ، في الجاهلية والإسلام ، وهي لهذا السبب تعتبر مصادر رئيسية للتاريخ .

(٦)

كتب الخراج والحسبة والقطط

وصلت إلينا بعض كتب تعالج النظم الإقتصادية للدولة العربية من الناحية النظرية أو الفقهية^(١) . وهى كتب لها أهميتها لإيضاح الجانب الإقتصادي من الحضارة الإسلامية . والخراج ضريبة كانت تفرض على أراضى المغلوبين ، وتعنى ضريبة ما تخرجه الأرض ، وكان يطلق عليها ضريبة من قبيل النجوز ، وكانت تدفع اما مالا أو عينا من حنطة وعسل وزيت ، وتطبق ضريبة الخراج على الأرض المفتوحة عنوة إذا لم تقسم على الفاتحين ، وعلى الأرض الفىء التى ملكها المسلمون بعد أن صالحوا أهلها على خراج معلوم يؤدونه كل سنة إلى بيت المال . وكانت هناك أراض لم يشملها الخراج أو أعفيت منه إلا العشر من ثمارها ومحصولاتها وتعرف بالأراضى العشرية ، وهى الأراضى التى أسلم أهلها وهم عليها بدون حرب ، والأرض التى فتحت عنوة وقسمها الخليفة على الفاتحين ، والأرض التى أخذت عنوة من المشركين وملكها المسلمون ودفعوا العشر من غلتها^(٢) . وكان تحديد ضريبة الخراج يتوقف على حالة الأرض ومقدار خصوبتها ، وكانت أرض السواد أغنى مقاطعات الدولة العربية الإسلامية ، وكان حد السواد يبدأ من تخوم الموصل حتى ساحل البحر ببلاد عبادان من شرقى الدجلة ومن أرض

(١) عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ص ٣٢ .

(٢) راجع مولوى حسنى ، الإدارة العربية ، ترجمة دكتور ابراهيم المدوى ، القاهرة

١٩٥٨ ص ٩٠ وما يليها - حسن ابراهيم حسن ، النظم الإسلامية . القاهرة ١٩٣٩

ص ٢٦٥ وما يليها .

حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بعذيب (١) .

ومن أهم كتب الخراج :

١ - كتاب الخراج لأبي يوسف (يعقوب بن إبراهيم ، ت ١٩٢ هـ) (٢) ،
وهو كتاب يتضمن أخبارا هامة عن فتوح البلدان وما يتعلق بها من نظام الخراج .

٢ - كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، لأبي الفرج قدامة بن جعفر (٣)
(ت ٢٢٧ هـ) الذى تناول فيه المصنف ملكة الإسلام وما جاورها ونظام الثغور .

٣ - كتاب الأحكام السلطانية لأبي الحسن الماوردى (ت ٤٥٠ هـ) (٤) .
وقد تناول فيه عدة موضوعات كالخلافة والقضاء والنظام المالى .

٤ - كتاب الأديب لأبي بكر محمد بن يحيى الصولى (ت ٣٢٦ هـ) (٥) .
وقد استعرض فى الجزء الثالث منه وجوه الأموال التى تمحبل الى بيت المال
وأصنافها وأحكام لأرضين ومبلغ الخراج فى مصر والسواد والقبالات .

لعل كتب الخطط ، غلبت كتب تبحث فى المواضع المحددة من الأرض التى تنزلها
الأسرة الواحدة أو القبيلة الواحدة أو أصحاب حرفة معينة ، وكتب الخطط تعين
الباحث فى العمران المدنى وفى التخطيط ، وفى دراسة المنشآت المعمارية والمعالم
الطوبوغرافية فى مصر الإسلامى . ومن أقدم من كتب فى الخطط ابن عبد الحكم
(ت ٢٥٧) فى كتابه فتوح مصر والمغرب والأندلس ، الذى استعرض فيه خطط

(١) الصولى ، أدب الكتاب ، ص ٢١٩ .

(٢) طبعة بولاق ١٣٠٢ هـ .

(٣) نصرى الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غويّة ،
لیدن ١٨٨٩ .

(٤) القاهرة ، ١٢٩٨ هـ .

(٥) تحقيق محمد بهجة الأثرى ، القاهرة ١٣٤١ هـ .

الفسطاط ، وروايته في خطط مصر أول مادة لكتابة الخطط (١) . ويلى ابن عبد الحكم في الاهتمام بالخطط من مؤرخى العرب البلاذرى (ت ٢٧٩) ، في فتوح البلدان ، إذ ضمن كتابه فصلا عن خطط البصرة وفصلا آخر عن خطط الكوفة . ومنهم السكندى (ت ٣٥٠) وابن زولاق (ت ٣٨٨ هـ) اللذان يعتبران أول من عنى بعد ابن عبد الحكم بكتابة تاريخ الخطط المصرية ، ولكن مؤلفيهما لم يصلنا إلينا . ومن المعروف أن ابن زولاق تناول موضوع الخطط بنوع من الأفاضة والتوسع ، وكان أول من تناول من كتاب الخطط إنشاء القاهرة المعزية (٢) . ويلى ابن زولاق في طبقات كتاب الخطط المصرية المؤرخ الأمير عز الملك المسبحى (ت ٤٢٠ هـ) الذى ألف كتاباً بعنوان « أخبار مصر » ضمنه كثيراً من خطط مصر وآثارها ومعاهدها . ثم كتب القمناعى (ت ٤٥٤) عن خطط مصر ، فألف كتاباً بعنوان « المختار في ذكر الخطط والآثار » لم يصلنا منه غير هذا نقلها عنه بعض الكتاب المتأخرين أمثال القلقشندى والمقريزى .

وأشار المقريزى أشهر كتاب الخطط المصرية إلى مؤرخ الخطط كان يعيش في العصر الفاطمى والاموى هو محمد بن أسعد الجوانى (ت ٥٨٨) ذكر عنه أنه ألف كتاباً بعنوان : « النقط بمعجم ما أشكل من الخطط » . وفى هذا العصر كتب مؤرخ أرمنى هو أبو صالح الأرمنى كتاباً عن تاريخ الكنائس والأديرة فى مصر ، وصل إلينا جزء منه . ووضح منذ ذلك الحين الاهتمام بكتابة الخطط المصرية ، فظهر من كتابها يحيى الدين بن عبد الظاهر (٣) (ت ٦٩٢) ، وتاج الدين محمد بن

(١) محمد عبد الله عنان ، مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، القاهرة ، ١٩٢١ ، ص ٣٢

(٢) نفسه ، ص ٣٥

(٣) ينسب إليه كتاب بعنوان « الروضة الزاهرة فى خطط المنية القاهرة » لم يصل إلينا .

عبد الوهاب بن المتوج (١) (ت ٧٣٠ هـ) ، وابن وصيف شاه (ت في أواخر القرن السابع الهجري) ، وابن الجيعان (ت في أواخر القرن الثامن) ، وابن دقان (ت ٨٠٩ هـ) ، الذي وصل إلينا كتابه «الانتصار بواسطة نقد الأمصار» ، ثم الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي (ت ٨١١ هـ) الذي يزعم السخاوي أن المقرئ ظفر بمسودة له في خطط مصر ، نسبها لنفسه (٢) .

وأشهر كتب الخطط المصرية على الإطلاق كتاب «المراغظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» لتقي الدين المقرئ (ت ٨٤٥ هـ) ، وكتاب «سجل هام للندن المصرية وأحيائها ومنشأتها وتطور عمرائها في العصور المختلفة» وفيه ذكر للبناء والمؤسسين والأسرار الحاكمة في مصر . ومن أشهر كتب الخطط بعد المقرئ شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) الذي ألف في جملة ما ألفه كتاباً بعنوان «تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات» ، والبقاع المباركات ، ضمنه وصفا لخطط المزارات والأضرحة والمشاهد المقدسة ، ووصف كثير من شوارع القاهرة وآثارها من زوايا ومدافن ومساجد وأسبله وروابط ، وقد وصلت إلينا من هذا الكتاب نسختان خطيتان محفوظتان في دار الكتب المصرية . ومنهم أيضاً جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ) صاحب كتاب «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» الذي تدرّس فيه لذكر علماء مصر وخططها وآثارها ، ومنهم ابن إياس (ت ٩٣٠ هـ) في كتابه «نشق الأزهار في عجائب الأقطار» ، وقد وصلت إلينا منه نسخة خطية بعنوان «خريدة العجائب وبغية الطالب» ، محفوظة في دار الكتب

(١) ألف كتاباً بعنوان «إيقاظ المتفكر وانعاش التأمل في الخطط» استقى منه المقرئ كثيراً من مادته .

(٢) راجع الإعلان بالتوبيخ ، ص ٦٤٢ من كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» .

المصرية (١) .

هذا وقد أشرنا إلى كثير من كتب الخطط الخاصة ببلدان العالم الاسلامى المختلفة فى الفصل الذى أفردناه للتاريخ المحلى .

أما كتب الحسبة ، فؤلفات تعرض لنماصورا شيقة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى العصر الاسلامى ، ومن المعروف أن الحسبة فى الأصل كانت تعنى الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، والنهى عن المنكر إذا ظهر فعله (٢) ، ثم تعدت هذه الوظيفة هذا المعنى الدينى إلى أمور مادية تتفق مع مصالح المسلمين ، فأصبحت الحسبة أشبه بخدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن مثل المحافظة على النظافة فى الطرق ومراقبة الأسواق ، والكشف عن صحة الموازين والمكاييل ، والرأفة بالحيوان ، ومنع معلى الصبيان من ضرب الأطفال ضربا شديدا ، ومنع الناس من شرب الخمر ، ولكن العمل الأساسى للحسب لم يلبث أن تطور بعد أن تعقدت الحياة فى المجتمع الاسلامى ، فأصبح عمله الأساسى اقتصاديا يقوم على منع الغش فى الصناعة والمعاملات وخاصة الاشراف على الموازين والمكاييل وصحتها ونسبها (٣) ، وكان المحتسب يسير بنفسه فى الأسواق ومعه أعوانه من الخبراء فى شؤون الأسواق ، للكشف عن المدلسين . ومعاقبهم .

ولقد وصلتنا بعض كتب فى الحسبة منها :

١ — كتاب معالم القربة فى أحكام الحسبة ، لمحمد بن محمد القرشى المعروف

(١) راجع : عبد الله عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ص ٥٩ - ٦٤

(٢) ابراهيم دسوقى الشهاوى ، الحسبة فى الاسلام ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٩

(٣) عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٥

بابن الاخوة (١) .

٢ — كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزرى (٢) .

٣ — كتاب آداب الحسبة لابن عبدون (٣) .

٤ — كتاب الحسبة في الاسلام ، لاحمد بن تيمية (٤) .

(١) طبعه روين لبقى فى مجموعة جب

(٢) نشره الدكتور الباز العربى ، القاهرة ١٩٤٦

(٣) النص العربى نشره لبقى بروقة نسال تحت عنوان :

Un document sur la vie urbaine à séville, au début du XI, siècle, Journal Asiatique Avril - Juin, 1934.

(٤) القاهرة ١٣١٨ هـ

ملحقات

أولاً: مقتطفات من الكتابات التاريخية

- (١) أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي
- (٢) وهب بن منبه وعبيد بن شربة الجرهمي
- (٣) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني
- (٤) حمزة بن الحسن الأصفهاني وعريب بن سعد القرطبي
- (٥) ابن الأثير وبيهاء الدين بن شداد
- (٦) عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيري
- (٧) أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان

ثانياً: مقتطفات من كتب الجغرافيين والمسالك

- (١) أخبار الصين والهند للجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري
- (٢) كتاب فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس لمحمد بن أيوب بن غالب
- (٣) وصف مصر الفسطاط من كتاب سفر نامة لناصر خسرو علوي
- (٤) وصف مدينة سوسة من رحلة التجاني

مقتطفات من الكتابات التاريخية

(١)

أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي

فصل عن فضل الخيل (من كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام
وأخبارها) (١) .

« أخبرنا (٢) أبو الحسين محمد بن عبد الواحد بن وزمنة الزار ،
إجازة ، قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبد الله بن العباس بن العباس بن المغيرة
الشيبياني الجوهري (من كتابه ينفد في منزله قراءة عليه) ، قال : حدثنا أبو
الحسن الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن صالح بن النطاح (مولى جعفر بن سليمان
ابن علي بن عبد الله بن عباس) ، قال :
أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه ، قال :

هذا كتاب لسان فحول الخيل في الجاهلية والإسلام .

كانت العرب ترتبط الخيل في الجاهلية والإسلام معرفة بفضلها ، وما جعل
الله تعالى فيها من العز ، وتشرفا بها ، وتصبر على المحنة والأواء وتخصها
وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد ، وتفتخر بذلك في أشعارها ، وتعته لها .
فلم تزل على ذلك من حب الخيل ، ومعرفة فضلها ، حتى بعث الله نبيه
(عليه السلام) ، فأمره الله باتخاذها وارتباطها ، فقال : « وأعدوا لهم ما استطعتم
من قوة ورباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، فاتخذ رسول الله (عليه والسلام)

(١) تحقيق أحمد زكي باشا ، القاهرة ١٩٤٦

(٢) يبنى موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي .

الخيـل وارتبطها ، وأعجب بها ، وحض عليها ، وأعلم المسلمين ما لهم في ذلك من
الآجر والغنيمة ، وفضلها في السهمان على أصحابها ، فجعل للفرس سهمين ،
ولصاحبه سهما .

فارتبطها المسلمون ، وأسرعوا إلى ذلك ، وعرفوا ما لهم فيه ، ورجوا عليه :
من الثواب من الله (عز وجل) والشهـير في الرزق .

ثم رآهـن عليها رسول الله ، وجعل لها سبقة ، وتراهن عليها أصحابه . وجاءت
الأحاديث متصلة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

حدثنا الأسدي . قال : حدثنا محمد بن صالح (بن النطاح) ، قال : قال هشام
ابن محمد : فحدثنا إبراهيم بن سليمان عن الأحوص بن حكيم عن أبيه عن جبير بن
نفير عن عبد الرحمن بن عائذ الثمالي ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :
« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها . فامسحوا
نواصيها ، وادعوا لها بالبركة » . وحدثنا الواقدي عن عبد الله بن عمر عن سهيل
ابن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :
« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » (وأهلها معانون عليها ، والمنفق
عليها كالباسط يده بالصدقة) .

وحدثنا الواقدي ، قال : حدثنا أبو عبد الله القرشي عن أبي جعفر محمد بن
علي بن حسين عن أبيه ، قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من هم
أن يرتبط فرسا في سبيل الله بنية صادقة ، أعطى أجر شهيد » .

وحدثنا الواقدي ، قال : حدثنا أسامة بن زيد عن يحيى الغساني ، قال : قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « من ارتبط فرسا في سبيل الله ، كان له مثل
أجر الصائم القائم والباسط يده بالصدقة ، ما دام ينفق على فرسه » .

وما جاء فيها من الأحاديث أكثر من ذلك ، بما قصرنا عنه . (١)

فصل في أشهر الخيول عند العرب

(من كتاب أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها) .

وكانت خيول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خمسة أفراس :

لِزَان ، وَلِحَاف ، وَالْمَرْتَجَز ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَرْتَجَزُ بِحَسَنِ صَهِيلِهِ ، وَالسَّكْبُ ،

وَالْيَسُوبُ (وكلها معدودة من خيل بني هاشم) .

وحدثنا الكلبي محمد بن السائب ، وأبو حمزة الثمالي ، وأبان بن تغلب ، وغيرهم

بأسماء الخيل المشهورة المعروفة المنسوبة ، وخيول العرب ، لا يختلفون في ذلك ،

ووجدنا في أشعار العرب دلائل على ما قالوا .

كان منها في قريش :

خيل رسول الله (عليه السلام) . ومنها الورد (من خيل بني هاشم) فرس

حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وهو من بنات ذى العقال ولد أعوج . وقال

في ذلك حمزة :

ليس عندي إلا سلاح وورد . . . قارح من بنات ذى العقال

أتقى دونه المنايا بنفسى . . . وهو دونى يغشى صدور العوالى

(جرّشع ، ما أصابت الحرب منه . . . حين تحمى أبطالها لأبالى

فإذا ما هلك ، كان ترائى . . . وسجالاً محموداً من سجالى)

أعوج كان سيد الخيل المشهورة ، وأنه كان ملكاً من ممالك كندة ، فغزا

بنى سليم يوم علاف، فهزموه وأخذوا أعوج . فكان أوله لبنى هلال، ولهم لتجوه.

وأمه سبل بنت فياض، كانت لبنى جعدة .

وأُم (سواده أم) سبل مسامة . فرده بنو سليم الى بنى هلال، فأجاد في

نسله . ومنه انتشرت جياد خيول العرب .

وكان فيما سموا لنا من جياد فحولها ولانائها المنجيات : الغراب والوجيه

ولأحق والمذهب ومكتوم، وكانت هذه جميعا لغنى بن أعمر بن سعد بن قيس

ابن عيلان . فقال طفيل الغنوى :

بنات الغراب، والوجيه، ولأحق، . . . وأعوج، . . . تنمى نسبة المتنسب

وقال :

دقاق كأشال السراحين ضم . . ذخائر ما أبقى الغراب ومذهب

أبو من مكتوم وأعوج أنجبا . . ورادا وحوا ليس فيهن مغرب

وفيه يقول جرير بن الخطمي :

إن الجياد يتن حول قبائنا . . من آل أعوج أولذى العقسال

ومنها جلوى (الكبرى وهي أم داحس) (من خيل بنى حنظلة) . وكانت لبنى

ثعلبة بن يربوع (لقرواش بن عوف بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع) .

ومنها داحس (من خيل غطفان بن سغد) ، وهو ابن ذى العقسال ، وأمه

جلوى الكبرى . وله حديث طويل في حرب غطفان ، (١)

فصل في رواية عبادة الأصنام عند العرب : (من كتاب الأصنام) (٢)

قال هشام بن محمد الكلبي : حدثنا أبي وغيره — وقد أثبت حديثهم جميعا —

(١) هشام بن محمد ، أنساب الخيل ، ص ١٩ - ٢٤

(٢) تحقيق الأستاذ أحمد زكي ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٤ ، ونسخة مصورة

أصدرتها دار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

أن إسماعيل بن إبراهيم (صلى الله عليهما) لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملأوا مكة ، ونفوا من كان بها من العالينق ، ضاقت عنهم مكة . ووقعت بينهم الحروب والعداوات ، وأخرج بعضهم بعضا ، فتنفحوا في البلاد والتماس المعاش .

وكان الذى سلخ بهم إلى عبادة الاوثان والحجارة أنه كان لا يظن من مكة ظاغن إلا احتمل معه حجرا من حجارة الحرم ، تعظيما للحرم ، وصباية بمكة ، فحيثما حلوا ، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمنا منهم بها وصباية بالحرم وحبا له . وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ، ويحجون ويعتصرون ، على إرث إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) .

ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبدوا ما استحبوا ، ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره . فعبدوا الاوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قبلهم . وانتجشوا ما كان يعبد قوم نوح (عليه السلام) منها ، على إرث ما بقى فيهم من ذكرها . وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم وإسماعيل يتسكون بها : من تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج ، والعمرة ، والوقوف على عرفة . ومزدلفة ، وإهداء البدن ، والإلهال بالحج والعمرة — مع إدخالهم فيه ما ليس منه .

فكانت نزار تقول اذا ما أملت :

• لبيك اللهم لبيك •

لبيك لا شريك لك • • الا شريك هو لك •

تملكه وما ملك •

ويؤخدونه بالتلبية ، ويدخلون معه آلتهم ، ويجعلون ملكها بيده . يقول الله

(عز وجل) انذيه (صلى الله عليه وسلم): «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون». أى ما يؤحدوننى بمعرفة حقى ، إلا جعلوا معى شريكاً من خلقى .
وكانت تلبية عك ، إذا خرجوا حجاجاً ، قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلاتهم ، فكانا أمام ركبهم .

فيقولان : نحن غرابا عك

فتقول عك من بعدهما :

عك اليك عانية ، عبادك اليمانية ،

كما نحب الثانية ١

وكانت ربيعة إذا حجت فقضت المناسك ووقفت فى المواقف ، نفرت فى النفر الأول ، ولم تقم إلى آخر التشريق .

فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان وسيب السائب ، ووصل الوصلة وبحر البحيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة ، وهو لحى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الأزدي ، وهو أبو خزاعة .

وكانت أم عمرو بن لحى فهيرة بنت عمرو بن الحارث . ويقال قمعة بنت مضاض الجرهمي . وكان الحارث هو الذى يلى أمر الكعبة ، فلما بلغ عمرو بن لحى نزعه فى الولاية ، وقاتل جرهما بنى اسماعيل ، فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة ، ونزاهم من بلاد مكة ، وتولى حجابة البيت بعدهم .

ثم إنه مرض مرضاً شديداً ، ف قيل له إن بالبقاء من الشمامحة إن أتيتها ، برأت . فاتاها فاستحم بها ، فبرأ . ووجد أهلها يعبدون الأصنام ، فقال : ما هذه ؟ فقالوا نستسقى بها المطر ، ولست نصر بها على العدو ، فسألهم أن يعطوه منها ، ففعلوا . فقدم بها مكة ، ونصبها حول الكعبة ، (١) .

(١) ابن الكلبي ، كتاب الأسماء ، ص ٨٠٦ .

(٢)

ولهـب بن منبـر وعـبـير بن شـرـبة الجـرهمـي

فصل عن ملك شمرير عثى بده ناشر النعم : (من كتاب التيجان في ملوك حمير) (١)

وقال شمرير ثى أباه ناشر النعم :

بمغـانـي الـايـك والـسـمـر . . . ملك أشفـى عـلى قـدر
ما عـلى الأـرضـين إن ونـيت . . . عـن سـنا الدنـيا أبـى شـمر
ما نـت الدنـيا المـيتـة . . . ونأى بالـسمـع والبـصر
يا منـار العز عـدت صـدى . . . بـنـا وند ودينـو

ثم قفل بالجيوش يريد أرض المغرب فأخذ على بابل ، ونزل بغمدان ، وولى الملك شمرير عثى وهو تبع الأكبر الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن لأنه لم يقم للعرب قائم أحفظ لهم منه لم يكن عنده من العرب طرف أغنى وأقنى ، يتجاوز عن مسيئهم ، ويحسن إلى محسنهم ، فكان جميع العرب بنو قحطان وبنو عدنان شاكرين لآيائه ، وكان أعقل من رآوه من الملوك وأعلام همة ، وأبعدهم غورا ، وأشدهم مكرًا لمن حارب ، فضربت به العرب الأمثال ، وهو عندهم تبع الأكبر ، وإن كان قبله تبابعة عظماء أعظم منه ، ولكن لمحبتهم فيه ، وعظمت فى قلوبهم . وإن الصفد والكرد والخوز والظط والقوط كلهم بنو يافث بن نوح النبى صلى الله عليه وسلم بعثوا إلى إخوانهم من بني يافث من كان منهم بأرض أرمينية إلى بلجا وجاجا ، فقالوا لهم ألا تغضبون لما نزل بنا من ناشر النعم ، سبي منا مائة ألف بكر ، وقتل منا مائة ألف مقاتل ، فأجابهم إخوانهم من بني يافث :

(١) طبعة جندر آباد الدكن ، ١٣٤٧ هـ

إلى النعمرة والقياس ، وهم الترك والديلم والخوز . وبلغ ذلك بنى فارس
ابن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح ، فاجتمعوا للسان الأعجمي ، وكرهوا أيام
النبابة لما يكفونهم من السخرة في المغازي وغير ذلك من أصناف العمل من
المتاع والسلاح . فقدم بنو فارس قباذ بن شريار الفارسي في الملك ، وتوجوه ،
وإن الصفد والكرد وأهل نهاوند ودينور عمدوا إلى قبر ناشر النعم فهدموه
وفرقوا رخامه وزجاجه وما كان فيه من جزع وغيره ، وبلغ ذلك شمر يرعش ،
فنذر لله نذرا ليرفعن ذلك القبر بمجامع الرجال حتى يعود جبلا منيعا شامخا كما
كان ، وغضب غضبا شديدا ، وغضبت العرب اغضبه ، وكان بنى قبر أبيه
ناشر النعم بالرخام الأبيض والأحمر والجزع الأزرق والأحمر حتى جعله جبلا
منيعا شامخا ، وأمر جميع من حوله من القبائل ألا تقرب منه أو يقطنون حوله
فيدمونه وما حوله ، فأمر تبع شمر يرعش بالجيوش فبرزت ، وخرج جميع أهل
جزيرة العرب طوعا وغضبا لغضب شمر يرعش لمحبتهم فيه ، فخرج في عساكر
لم يجمع أحد مثلها من النبابة من بعد ذى القرنين ، وبلغ ذلك بنى يافك ، وقدمت
فارس قباذ إلى قتال تبع شمر يرعش ، وأقبل بنو يافك بأجمعهم يناصرون قباذ ،
وهم الترك والديلم والخوز والغور والتبت والصغد والكرد والوط والخوز ،
وبلغ ذلك شمر يرعش ، وكان انتصاب قباذ بن شريار ومن معه من فارس وبنى
يافك بجبال الرى ، فسار تبع شمر يرعش حتى نزل بالمشلل ، فخلف ابنه عمرا
الأقرن بالمشلل في مائة ألف فارس ، وخلف ابنه صيفيا بهمان في مائة ألف ،
ثم سار فترك العراق الذي فيه جمع فارس وبنى يافك وقعد الجزيرة ، وأخذ
على الفرات يريد أرمينية . (١) .

(١) وهب بن منبه ، كتاب التيجان ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣

فصل في العرب العاربة والعرب المستعربة (من كتاب أخبار عبيد بن شربة) (١).
وأمر معاوية كتابه أن يدونوا ما يحدث به عبيد بن شربة في كل مجلس سمر فيه
مع معاوية — قال عبيد — سل يا أمير المؤمنين — قال معاوية ، فمن العرب
العاربة ومن العرب المستعربة — قال يا معاوية أتعلم أنت وغيرك من أولي
العلم إنما هي عاد وثمود وطسم وجنديس وإرم والعماليق وجرهم وقحطان بن
هود فهم كاللوا أوائل الناس ، منهم يعرب الذي تكلم العربية كل أخذه من يعرب
ابن قحطان بن هود ، واليه تنسب العربية ، فقليل عربى لأنه يعرب ، أول من
نطق بها وليس أحد غيره تكلم قبله بها ، فهذه الاجناس التي سميت لك تكلمت
بكلام يعرب بن قحطان بن هود النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان اسماعيل ونقله
أبوه ابراهيم صلى الله عليه وسلم من بلاده ، فأنزله بمكة ، فكنا نحن جرهم أهل
البلد الحرام ، فنشأ اسماعيل فينا وتكلم بكلام العربية وتزوج منا . فجميع ولد
اسماعيل من بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، واسماعيل وأبوه منا ، وأنتم
يا قريش منا ، والعرب بعضها من بعض — ألم تعلموا أنكم من ولد اسماعيل
ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، وابراهيم نحن ولدناه ، وأبوه آزر واسمه تارخ
ابن ناحور بن أرغو بن شارخ بن فالغ بن عابر ، وهـ وهـ هود فهو أبونا وأبوكم ،
فنحن ولدناكم ، وأنتم منا ونحن منكم قليل في كثير . قال معاوية : كأذك تحدث
عن حديث الجاهلية . قال عبيد : يا أمير المؤمنين لك في الإسلام ما يغنيك عن
ذلك ، فقد محق الإسلام ما كان قبله كما محق الشمس ضوء القمر . قال عزمت عليك
ألا حدثني عما أسألك عنه . قال : يا أمير المؤمنين كان من خبر أهل بابل واقتراق
السنة الناس أنه لما أكثر ولد سام ويافت وحام أولاد نوح في بلاد الله ، وأراد

الله أن يفرقهم في البلدان ، ويخالف بين ألسنتهم ، فبعث عليهم الأرواح الأربع . قال معاوية : ما هذه الأرواح الأربعة ؟ قال الشمال والجنوب والصبأ والدبور ، فضمنتهم الأرواح الأربع من أربع جوانب من كل ناحية كانوا بها ، مساقنتهم بجمعتهم بيابل ، وكانوا بها ، ثم مكثوا ثلاثة أيام يموج بعضهم في بعض ، وعلموا أن ذلك أمر من السماء ولا يدرون ما يراد بهم غير أنهم لا يشكون أن الله الذي فعل بهم ذلك ، والله مظهر إرادته . فلما كُن اليوم الرابع سمعوا من قبل صوتاً ينادى ألا إن الله مفرق بين ألسنتكم ومسكنكم أطراف الأرض ، فأبما قد توجهوا . وجها فكلامهم ولسانهم واحد . قال معاوية : وما كان اللسان يومئذ ؟ قال عبيد : سرياني أوله وآخره . وهو لسان أبينا آدم عليه السلام ونوح وإدريس ، (١) .

(٢)

أبو محمد الحسن بن أحمد بن بهر يعقوب الهمداني

فصل في ذكر مأرب (من كتاب الاكليل) (١)

ذكر مأرب وهي مسكن سبا الذي قال الله فيه : (لقد كن لسبا في مسكنهم آية . جنتان عن يمين وشمال . كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) . وهي كثيرة العجائب . والجنتان عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان (والغامر اله سافي وكذلك السامر في كتب أصحاب الشروط في شراء الارضين بغامرهما) وإنما عفتا لما اندحق السد فارتفعتا عن أيدي السيول . قال الحسن الهمداني : وجدت في أحدهما عريق أراك ، وفي أصله جذع نخلة أسود قد كبست باقية السواقي ، فقال بعض من كان معي لا أظنه إلا من بقايا نخل الجنتين . وما أحسب أنه بقي من العصر القديم . وأما مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضياع فقائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحد الصدفين باقيا ، وهو الذي يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما كان ولا يتغير إلى أن يشاء الله عز وجل . وإنما وقع الكسر في العرم ، وقد بقي من العرم شيء مما يصل إلى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله خمس عشرة ذراعا . قال تبارك وتعالى : (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذوات أكل نخط وأثل وشيء من سدر قليل) قيل الخط الأراك والأثل الطرفاء والسدر المعروف

(١) الجزء الثامن ، تحقيق الدكتور نبيه أمين فارس ، برلين ، ١٩٤٠

العرج وهو العلب وجمعه علوب ، والواحدة علبة . ومن أمثال العرب في الرجل المنيع الجانب : هو رجل لا يناش عليه ولا يحلف دثله ودومه (وهو الدوم وحمله النبق والكبات) . وبها من الأراك ما ليس ببلد ، ومن الحمام المطوق في الأراك ما يحل عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواضع جمة بالين ، وقد ذكرناها مع انكسار السد في بعض كتبنا . وفيها يقول الأعشى :

ففي ذاك للوؤسى أسوة ومأرب قفا عليها العرم
رغام بناء له حمير إذا جاءه ماؤهم لم يرم
فأروى الحروث وأعناهم على ساعة ماؤهم ينقسم
فعاشوا بذلك في غبطة لجارفهم جارف منهزم
فطار القيول وقيلها يهباء فيها سراب يطم

ويروى : (وطار القيول وكيانها) . وكان العرم مستندا إلى حائط واثرا ما بين عضاد بالمذاخر بمغازب من الصخر عظام ملاحمة الأساس بالقطر . ويقول بعض العلماء أن بانيه لقمان بن عاد بن الكبر ، ويقول بعض العلماء أن بانيه حمير والازد بن النوث ، من عقب كهلان . وقال أبو الطمحان يذكر مأرب :

أما ترى مأربا ما كان أحسنه .. وما حواله من سور وبنيان
وقال علقمة :

من يأمن الحدثان بعد ملوك صرواح ومأرب
وكان بمأرب قصر سلحين والهجر والقشيب . قال علقمة : الذي بنى القشيب القشيب بن ذى حزفر فسمى به على حد الاختصار ، يراد موضع القشيب ، (١)

(١) الهمداني ، الأكيل ، ج ٨ ص ٤٣ - ٤٥

(٤)

هجرة بن الحسن الأصغر هاني وعريب بهه سمر

فصل في ذكر ذي نواس وذي جندب (من كتاب تاريخ سني ملوك الارض
والانبياء) (١).

و ثم ملك بعده (أى بعد ذى شنار) ذو نواس في زمن فيروز بن يزدجرد
وعصر قصي بن كلاب . وذو نواس هو صاحب الاخدود والداعى من باليمن
إلى اليهود ، وكان نزل يثرب بجنابها ، فأعجبت اليهودية فتهود ، وحملته يهود
يثرب على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى ، وقد كانوا أخذوا النصرانية
عن رجل توجه إليهم من جهة آل جفنة ملوك الشام ، فسار من هناك إليهم ،
وعرضهم على أخاديد اختفروها في الارض ، وأضرها نيرانا ، فكان يعرف فيها
من أقام على النصرانية ، فأتى بهذا الصنيع على خلق كثير منهم ، وعدل منها إلى
دار المملكة باليمن . ثم إن رجلا من اليمن يقال له ذو ثعلبان ، عبر البحر إلى
ملك الحبشة ، وكان يدين بالنصرانية ، فرفع إليه الخبر بما ارتكبه ذو نواس من
النصارى ، فكاتب ملك الحبشة بذلك قيصر ملك الروم ، واستأذنه في أن يجرده
خيلا إلى اليمن ، فأمره أن يخلف ذا ثعلبان على مملكته ويخرج بمن معه إلى اليمن
فيقيم بها ، فقصده ملك الحبشة اليمن في سبعين ألف فارس فانهزم ذو نواس من
بين يديه ، فبعث إلى الطلب في أثره ، فبرز صعدا حتى اتلن إلى البحر فاقترعه ،
فكان آخر العهد به ، وكان ملكه عشرين سنة وهو أعلم بحقائق الامور .

فقام ذو جندب مكانه ، فهزموه أيضا وتبعوه ، فالتجأ إلى البحر واقتحمه ،

فكان ملك ذى جدن وذى نواس ثمان وعشرين سنة . فجميع ملوك حمير ستة وعشرون ملكا في مدة ألفي وعشرين سنة ... (١) .

مثال منه الكتابة على النهج المحلى (نقلا من كتاب صلة تاريخ الطبرى) (٢)

و ثم دخلت سنة ٢٩٢ . ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس .

ففيها وجه صاحب البصرة إلى السلطان رجلا ذكر أنه أراد الخروج عليه ، وصار إلى واسط مخالفا بها ، فأقصد إليه من يقبض عليه وعلى قوم ذكروا أنهم بإيموه ، ووجه بهم إلى بغداد ، فحمل هذا الرجل على فالج وبين يديه ابن له صبي على جمل ومعه سبعة وثلاثون رجلا على جمال ، عليهم برانس الحرير ، وأكثرهم يستغيث ويبيكى ويحلف إنه برى . فأمر المكتنى بخصبهم . وفي هذه السنة أغارت الروم على مرعش ونواحها ، فنفر أهل المصيصة وطرسوس ، فأصيبت جماعة من المسلمين ، فيهم أبو الرجال بن أبي بكار . وفيها انتهى محمد بن سليمان الكاتب إلى أحوان مصر لحرب هارون ، ووجه إليه المكتنى في البحر دميانة ، وأمره بدخول النيل ، وقطع المواد عن من بمصر من الجند ، فمضى وقطع عن أهل مصر الميرة ، وزحف إليهم محمد بن سليمان على الظهر حتى دنا من الفسطاط ، وكانت القواد الذين بها ، فخرج إليه بدر الحامى وكان رئيس القوم ، ثم تتابع قواد مصر بالخروج إليه والاستئمان له ، فلما رأى ذلك هارون ومن بقى معه ، خرجوا محاربين لمحمد بن سليمان وكانت بينهم وقعت ، ثم إنها وقعت بين أصحاب هارون في بعض الأيام عصابة اقتتلوا فيها ، فخرج إليهم هارون ليسكنهم ، فرماه بعض

(١) حرة الأصفهاني ، ص ٨٨ ، ٨٩

(٢) تحقيق دى غوبه ، لندن ١٨٩٧

المغاربة بسهم فقتله ، وبلغ محمد بن سليمان الخبر ، فدخل هو ومن معه الفسطاط ، واحتوا على دور آل طولون وأموالهم ، وقبض على جميعهم ، وهم بضعة عشر رجلا ، فقيدهم وحبسهم ، واستصفى أموالهم ، وكتب بالفتح الى المكتفى ، وكانت هذه الواقعة في صفر . وكتب إلى محمد بن سليمان في إشخاص آل طولون الى بغداد ، وألا يبقى منهم أحدا بمصر ولا الشام . ففعل ذلك . ولثك خلون من ربيع الاول سقط الحائط من الجسر الاول على جثة القرمطى وهو مصلوب فطحته ، ولم يبق منه شيء . وفي شهر رمضان ورد الخبر على السلطان بأن قائدا من القواد المصريين يعرف بالخليجي ويسمى بإبراهيم تخلف عن محمد بن سليمان في آخر حدود مصر مع جماعة استمالهم من الجند وغيرهم ومضى إلى مصر مخالفا للسلطان ، وكان معه في طريقه جماعة أحبوا الفتنة ، حتى كثر جمعه ، فلما صار إلى مصر أراد عيسى النوشري محاربتة ، فعجز عن ذلك لسكثرة من كان مع ابن الخليجي . فأنحاز عنه إلى الاسكندرية ، وأخلى مصر ، فدخلها الخليجي ، وفيها ندب السلطان لمحاربة الخليجي وإصلاح أمر المغرب فاتسكا مولى المعتضد ، وضم إليه بدرا الحماني وجعله مشيرا عليه فيما يعمل به ، وندب معه جماعة من القواد وجندا كثيرا وخلع على فاتك وعلى بدر الحماني لسبع خلون من شوال ، وأمرنا بسرعة الخروج وتعجيل السير ، فخرجنا لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال ، وللنصف من شوال دخل رستم مدينة طرسوس واليا عليها وعلى الثغور الشامية . وفيها كان الفداء بين المسلمين والروم لست بقين من ذي القعدة ، ففودى من المسلمين ألف ومائتا نفس ، ثم غدر الروم وانصرفوا ، ورجع المسلمون بمن في أيديهم من أسارى الروم . وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن عبد الملك ابن عبد الله بن العباس بن محمد .

ثم دخلت سنة ٢٩٣ . ذكر ما دار في هذه السنة من أخبار بني العباس .

ففيها ورد الخبر بأن الخليجي المتغلب على مصر واقع أحمد بن كيغلف وجماعة من القواد بالقرب من العريش ، فهزمهم الخليجي أقبح هزيمة ، فندب السلطان ان الخروج إليه جماعة من القواد المقيمين بمدينة السلام فيهم ابراهيم بن كيغلف وغيره . وفي شهر ربيع الأول من هذا السنة ... ، (١) .

(١) عريب بن سعد ، مختصر تاريخ الطبري ، ص ٧ - ٩

(٥)

ابن الأثير وبراء الدين بن شراح

فصل في ملك أسد، لديمه ثغر الإسكندرية (نقلا من التاريخ الباهر في الدولة
الأتاكية لعزيز الدين ابن الأثير الجوزي) (١). وهذا الفصل مثال للكتابة في
تاريخ الدول.

ولما انهزم المصريون والفرنج من أسد الدين بالبابين سار إلى ثغر الإسكندرية،
وجي ما في طريقه من القرايا والسواد من الأموال، ووصل إلى الإسكندرية،
فتسلها بدون قتال، سلبها أهلها إليه. فاستتاب بها صلاح الدين ابن أخيه، وعاد
إلى الصعيد، فملكه، وجي أمواله، وأقام بها حتى صار شهر رمضان. وأما
المصريون والفرنج فانهم عادوا إلى القاهرة، وجمعوا أصحابهم، وأقاموا عوض
من قتل منهم، واستكثروا وحشدوا وساروا إلى الإسكندرية — وبها صلاح
الدين — في عسكر يمنعونها منهم، فقد أعانهم أهلها خوفا من الفرنج، فاشتد
الحصار، وقل الطعام بالبلد، فصبر أهله على ذلك.

ثم إن أسد الدين سار من الصعيد نحوهم — وكان شاور قد أفسد بعض من
معه من التركمان — ووصلته رسل المصريين والفرنج يطلبون الصلح، وبذلوا له
خمسين ألف دينار سوى ما أخذ من البلاد، فأجابهم إلى ذلك، وشرط أن
الفرنج لا يقيمون بمصر ولا يتسلمون منها قرية واحدة، وأن الإسكندرية تعاد
إلى المصريين، فأجابوا إلى ذلك، واصطلحوا، وعاد إلى الشام، فوصل دمشق.

(١) تحقيق الأستاذ عبد القادر أحمد طليعات، القاهرة ١٩٦٣.

ثامن عشر ذى القعدة ، وتسلم المصريون الاسكندرية فى النصف من شوال .
وأما الفرنج فانهم استقربينهم وبين المصريين ، أن يكون لهم بالقاهرة شحنة ،
وتكون أبوابها بيد فرسانهم ، ليمتتع الملك العادل نور الدين من إنفاذ عسكر
إليهم ، ويكون للفرنج من دخل مصر كل سنة مائة ألف دينار . هذا جميعه يجرى
بين الفرنج وشـاور . وأما العاضد صاحب مصر ، فليس له من الأمر شيء ،
ولا يعلم بشيء من ذلك ، قد حكم شاور عليه وحجبه . وعاد الفرنج الى بلادهم ،
وتركوا جماعة من فرسانهم ومشايير أعيانهم بمصر والقاهرة على القاعدة المذكورة .
ثم ان الكامل شجاع بن شاور راسل الملك العادل نور الدين مع شهاب الدين
محمود الحارمى - وهو من أكابر أمراءه ، وخال صلاح الدين يوسف - ينهى
عجته وولاءه ، ويسأله أن يأمره باصلاح الحال وجمع الكلمة بمصر على طاعته ،
وبجمع كلمة الإسلام ، وبذل مالا يحمله كل سنة ، فأجابه الى ذلك ، وحلوا الى
نور الدين مالا جزيلا ، فبقى الأمر على ذلك الى أن قصد الفرنج مصر لتملكها ،
فكان ما نذكره إن شاء الله تعالى ، (١) .

فصل فى ذكر قصد الأفرنج تغرير كندرية هرسرها الله تعالى (نقل من كتاب
النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (٢)) .

وذلك أن الأفرنج - خزلهم الله تعالى - لما علموا تغيرات الأحوال بالديار
المصرية ، وتقلبات الدول بها داخلهم الطمع فى البلاد ، وجردوا عساكرهم فى
البحر ، وكانوا فى ستمائة قطعة مابين شينى وطراة وبطسة وغير ذلك ، وكانوا

(١) الباهر ، ص ١٣٣ ، ١٣٤ (حوادث سنة ٥٦٢ هـ)

(٢) محقق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٤

في ثلاثين ألفاً على ما ذكر ، ونازلوا الثغر المحروس ، وذلك في أثناء شهر صفر في السابع منه من هذه السنة ، وهي ستة سبعمين ، فأمدد السلطان بالعساكر المنصورة ، وتحرك ، وأدخل الله في قلوبهم من الخوف والرعب ما يمكنهم الصبر معه ، وعادوا خائبين خاسرين بعد أن ضايقوا الثغر ، وزحفوا عليه ثلاثة أيام ، وقاتلوه قتالاً شديداً ، وعصمه الله منهم .

ولما أحسوا بحركة السلطان نحوهم ما لبثوا أن خلفوا مناجيتهم وراءهم وآاتهم ، فخرج أهل البلد إلى نهبا وإحراقها . وكان من أعظم النعم من الله تعالى على المسلمين وأمانة كل سعادة ونجاح والله الحمد والمنة .

وأما نور الدين - رحمه الله - فإنه خلف ولده الملك الصالح إسماعيل وكان بدمشق ، وكان بقلعة حلب ابن الدينة شمس الدين على وشاذ بنخت ، وكان على قد حدث نفسه بأمور ، فسار الملك الصالح من دمشق إلى حلب . فوصل ظاهرهما ثاني المحرم ومعه سابق الدين ، فخرج بدر الدين حسن لقائه ، فقبض عليه سابق الدين ، ولما دخل الملك الصالح القلعة قبض على شمس الدين وأخيه حسن ، وأودع الثلاثة السجن ، وفي ذلك اليوم قتل ابن الخشاب أبو الفضل لفتنة جرت بحلب ، ذكروا أنه قتل قبل إمساك أولاد الداية بيوم ، لأنهم تولوا ذلك (١) .

(١) ابن شداد ، ص ٤٨ ، ٤٩ .

(٦)

الأمير عبد الله بن بلقيس بن باديس بن عبوس بن زيري

فصل في تعليم الأمير عبد الله ونهب أمواله
(من مذكرات الأمير عبد الله) (١)

« ولما لقيناه (أى يوسف بن تاشفين) سر بذلك ، وأقسم لنا على الأمان فى أنفسنا وأهلنا ، ولنا منه المراجعة والكرامة ما بقى ، ثم أشار على قروى بالترقيب علينا إلى أن يثبت خبرنا ، ويقف على أموالنا .

فانتدب قبل ذلك أهل دولتنا ، يطلب كل واحد منهم أن نودع عنده شيئاً ، فلم نفعل ، وقلت فى نفسى : هؤلاء يطلبون ما يزودون به ، وليس ذلك شفقة منهم على ! وليس نخلى من دفع ذلك إليهم من وجبين : إما فاسق يستأثر به دوى ، فتكون حسرتها فى نفسى ، ولا تقيت بها عن وجبى ، وإما متبذل ببعضه ، يحمله إلى الأمير ليتنى به ما يبقى له ، وعند ذلك نفتضح عنده ، ولا يقبل لى صرفاً ولا عدلاً ، وربما يحرق على ، فيؤذنى بعد الأمان ، مع حبهم فى المال . وإنه لاشيء أرجو به بعد الله التقرب إليهم إلا بالأموال ، ولو أمكنتى أن أزيد فيها ، فتملاً أعينهم ! وأنا لا أبتغى إلا العيش لخاصة نفسى وأهلى . وقد خفف الله عنى بقله العيال ، ولا أخير فى الغرر بمال لأجرى إن بقى معى ، مع اختلاطه وكثرة شبهاته : وكثرة المال إنما يحتاج للمملكة والأجناد . فالآن وقد أزاح الله ذلك عنى ، ولم يبق الا طلب السلامة بحشاشة النفس ، وهى غنيمة فى مثل هذا الوقت الحاد !

فخرجت إلى الرجل بعد ثقاف القصر ، ولا خوف عليه ذلك الوقت ، اذ

(١) تحقيق لبنى بروفنسال ، القاهرة ١٩٥٥

كان الناس بين يأس وطمع في الرجوع ، فلا جرأة من أحد في اعتراض شيء من سافقتنا . ولما أنزلت بتولى قرور للأمر ، جعل الحرص على الحياء ، وأمر بطرد الداخل والخارج ، وحيل بيننا وبين عبيدنا وصنائعنا : كل يفتش عليه ويبحث على ماله من مال كسبه في ولايتنا . ثم أتانا الفقيه ابن سعدون من عند أمير المسلمين ، يقول : « أحضر الأموال والأزمنة بها ! فإن مؤملا قد أخبره أنه ليس عندك درهم إلا بزمام وذكر » . فقلت له : « نعم كان ذلك ، قد تركته في داري ، فإن أباح لي المسير بنفسى لاستخراج الكل ، وإلا فهذه أوى ، تتولى ذلك مع ثقاته حتى لا يغادركم منه خيط » .

وكان ، عند خروجي ، قد وقع في نفسى من خوف الثفاف ما خشيت الفقرة منها إن تركتها في القصر ، فخرجت معها ، ولم التفت إلى ما سواها ، وأنا مع ذلك في حيرة لا أدري لما يصير أمرى . قد أشرب قلبي من الخوف والجزع ما لم أعده قط ، ولا كان فيه عزاء . فإن الأمور التي ينبغي لها الاستثبات والصبر ما كان من أمر دون أمر ؛ وإن جل خطب ، يرجى في غيره الراحة ، وبعض الشر أهون من بعض ، وإنما هذه النصبة لم يكن لها عزاء ولا استراحة إلى أمل ورجاء ليس ، إلا بحيث يحتسب . فأذهمت ذلك عن كل مالى فيه صلاح من مقدمة النظر في مال أو غيره ، بل ، كالت نفسى آكد على ، لم تعمل حساب من يعيش ، لا سيما لم يجر عليه قبل ذلك عنة ، ولا أكرهه الدهر برزية . فجاءت جملة أهنت ، وعانت القياس ، وحادث عن سبيل المعهود .

وقد كان أرسل إلى قرور يطلب خط يدى بإسلام المدينة وإخراج من لى فيها من الحشم . فبادرت على المقام ، إذ الالتواء عن ذلك مما لا ينفع ، ولو فعلت ، لكان ذلك زيادة في الهوان ، ولم يقد شيئا ، وأنا قد حصلت في القبضنة (١) .

(١) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٥٤ - ١٥٦

(٧)

أبو مروان عبيد بن خلف المعروف بابن عبيد

ذكر قنطرة نهر قرطبة من أمدات سنة ٣٦٠ من سني هجرة الحكم المستنصر
(نقلا من كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس) (١).

« وفي يوم الأربعاء خمس خلون من ذي القعدة منها ابتدئ بعمل سد محكم
الصناعة ، قريب المونة من منابت شجر الشعراء المجتلبة من شيوخ جبال قرطبة ،
مشقف بصم الجنادل والرمل ، ملائم بحر الطفل بحاشية النهر الأعظم بقرطبة ،
لصق الجسر ليدفع جرية الماء بالجهة كما يكشف عن الأرجل هناك التي أثر فيها
الماء على تطاول الأمد ، فكشط جبسها وخوف من وهيا ، وتوكل نظر الخليفة
بتداركها وإعجال جلائها ، فتم حقن الماء عنها ، وشرع في رفعها وتسويتها . . . »

« وللنصف من ذي الحجة منها تم عمل سد المنعة المعقود أسفل نهر قرطبة وفي
الشرق منها الذي عوفي إقامته هناك لرفع جريان الماء عن أصول أرجل الحنايا
التي ظهر وهيا من أرجل القنطرة ، واقتلعت حجارة قنوات الرحي المصافية
للرصيف بغربي القنطرة كي يستحيل الماء عن الأرجل ، فيتمكن من التوصل إلى
اصلاح أسسها وتقوية ضعفها ، فشرعت في ذلك أيدي الفعلة في هذا الوقت في
تحصين تلك الأرجل وتقويتها بتوايت الخشب الجسام وأوتاد الحديد الثخان
الوثائق والصخر المجوب من المقطع في نهاية الصلابة ، الضخم المكثر له من ملاط
الكس المظاهر باتقان الصنع ، وجعل الخليفة المستنصر بالله ينتساب مكانه في

(١) جزء من المقتبس يشتمل على أحداث السنين الخمسة من ٣٦٠ إلى ٣٦٤ من خلافة
الحكم المستنصر ، نشره الأستاذ عبد الرحمن علي المجبي ، بيروت ١٩٦٥

الأوقات بنفسه ، وينظر إليه بعينه مؤكدا على المتولين النظر فيه ، الخلفاء الأكابر ،
خدمه ، ومن معهم من رؤساء كتابه ، وإذا لم ينزل إلى المكان ارتقى إلى السطح
فوق باب السدة من قصر قرطبة المشرف عليه ، فكان كالشاهد له لقربه منه ، فيتبلى
العمود هناك متأملا للعمل ، مشيرا فيه برأيه ، مؤكدا على الفعلة في تعجيله قبل
مجوم الشتاء ، نظرا للناس ، واهتبالا بمصالحهم ، فيزكو العمل وتبدو المعونة .
ودخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة والنظر في قنطرة قرطبة التي هي أم قرطبة
المرضعة ، ومفضى سبلها المتشعبة ، وجماع معايشها المختلفة ، وفلاذة جيدها المزدمية ،
وعليا مبانيها المعجزة ، قد زاد توكدأ ، وتضاعف توقدأ لاقترب فصل الشتاء
الذي قد أظلم ، واهتبال الخليفة بها الذي لا يمل ، فلم يزل يعلو ويستقل إلى أن كمل
بناؤه ، واستوى تحصينه ، وآمنت عاديته ، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من
المحرم منها ، فركب نحوه الخليفة المستنصر بالله من قصر قرطبة ، وأجاز النهر ،
فتأمله كاملا ، وصر به وارتضاه وأعلى شكر الله على معونته عليه ، وجمعت الأيدي
عليه ، بعد إزاحة علة القنطرة ، على جبر الحرم الذي بثق بسد القنطرة للتمكن من
البناء في أرجلها ، فمطل الرحي الرفيعة المائلة فوقه ، فانصل العمل فيها ، وفي توثق
شدها ، إلى أن أحكم ذلك ، وأكل في عقب صفر منها ، فانطلقت الرحي لطحنها ،
وعادت إلى أولها ، بحمد الله تعالى ، (١) .

(١) ابن حيان ، المصدر السابق ، ص ٥٨ - ٦٥

ثانيا - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

(١)

أخبار الصين والهند لجغرافي مجهول من القرن الثالث الهجري (١)

وذكر سليمان التاجر أن بخانفو وهو مجتمع التجار رجلا مسلما يوليه صاحب الصين بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية بتوخي ملك الصين ذلك . وإذا كان في العيد صلى بالمسلمين . وأن التجار العراقيين لا ينسكرون من ولايته شيئا في أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عز وجل وأحكام الاسلام . فأما الموضع التي يردونها ويرقون إليها فذكروا أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف ، وأن المتاع تحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف ، فيبحر في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه . والمسافة بين البصرة وسيراف في الماء مائة وعشرون فرسخا ، فإذا عبي المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا — وهذه لفظة يستعملها أهل البحر : يعني يلقعون — إلى موضع يقال له مسقط ، وهو آخر عمل عمان : والمسافة من سيراف إليه نحو مائتي فرسخ . وفي شرقي هذا البحر فيما بين سيراف ومسقط من البلاد سيف بنى الصفاق وجزيرة أبركاوان . وفي هذا البحر جبال عمان ، وفيها الموضع الذي يسمى الدردور وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية . وفيها الجبلان اللذان يقال لهما كسير وعوير وليس يظهر منهما فوق الماء إلا اليسير : فإذا جاوزنا الجبال صرنا إلى موضع يقال له صحار عمان فنستعذب الماء من مسقط من بئر بها ، وهناك فئة غم من

بلاد عمان ، فتخطف المراكب منها إلى بلاد الهند ، وتقصد إلى كولم ملي ، والمسافة من مسقط إلى كولم ملي شهر على اعتدال الريح . وفي كولم ملي مسلحة لبلاد كولم ملي تجبي السفن الصينية ، وبها ماء عذب من آبار ، فيؤخذ من الصينية ألف درهم ، ومن غيرها من السفن ما بين عشرة دنانير إلى (عشرين) دينار . وبين مسقط وكولم ملي وبين هر كند نحو من شهر ، وبكولم ملي يستعذبون الماء . ثم تخطف المراكب — أى تطلع — إلى بحر هر كند ، فإذا جاوزوه صاروا إلى موضع يقال له لنجالوس ، لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من اللغات . وهم قوم لا يلبسون الثياب بيض كواسج . وذكروا أنهم لم يروا منهم النساء وذلك أن رجالهم يخرجون إليهم من الجزيرة في زواريق منقورة من خشبة واحدة ، ومعهم النارجيل وقصب السكر والموز وشراب النارجيل : وهو شراب أبيض ، فإذا شرب ساعة يؤخذ من النارجيل فهو حلو مثل العسل ، فإذا ترك ساعة صار شرابا ، وإن بقي أياما صار خلا . فيبيعون ذلك بالحديد ، وربما وقع إليهم العنبر اليسير فيبيعونه بقطع الحديد ، وإنما يتبايعون بالإشارة يدا بيد إذ كانوا لا يفهمون اللغة . وهم حذاق بالسباحة ، فربما استلبوا من التجار الحديد ولا يعطونهم شيئا .

ثم تخطف المراكب إلى موضع يقال له كلاه بار : المملوك والساحل كل يقال له بار . وهى مملكة الزابج متيامنة عن بلاد الهند ، يجمعهم ملك ، ولباسهم القوط : يلبس السرى والدنى منهم القوطة الواحدة . ويستعذبون هناك الماء من آبار عذبة ، وهم يؤثرون ماء الآبار على مياه العيون والمطر . . . (١) .

(٢)

كتاب فرمة النفس في تاريخ الاندلس^(١) لمحمد بن أبيوب بن غالب

وصف كورة إشبيلية:

« وهي شرق من كورة لبلة وغرب من قرطبة ، كانت قاعدة من قواعد العجم ، اتخذت دار مملكة ومحلة اختيار أوفت على النهر الأعظم ، واستقرت من البحر ، وبانت بكل خصوصية . وفازت بكل فضيلة ، وقابلت معالم مدينتها المشرقة جبل الشرف أشرف بقعة وأكرم تربة ، المغرس بالزيتون الدائم عند اخضراره ، النادر عند اعتصاره ، لا يتغير به حال ولا يعثر به اختلال ، قد أخذ في الأرض طولاً وعرضاً فراسخ في فراسخ ، ويبقى زيتها برقة وعذوبته لا يتغير طعمه ولا يتغير بطول مكثه فاضلاً بخاصة بقمته على غيره من الزيت ، وكذلك يبقى غسلها لا يرمل وبحالته الأولى لا يتبدل ، وكذلك اليابس من تينها يبقى دهرها طويلاً ، ومن فضائلها التي انفردت بها ما تنبت أرضها من عجيب قطنها الذي يحسن ويذكرها ويعم آفاق الدنيا منها ، ويحجز إلى القيروان وغيرها ، وكل ما استودع في أرضها واغرس في بقعتها نما وزكا في اختياره ، وفضل فضلائها على غيره ، حازت البر بما استقبلته من جهاته ، والبحر بما اشتملت عليه خواص منافعه ، واحتوت على الزرع والغرع وكثرة الثمرات من كل الصفات ، وفضل الصيد في بر وبحر ، ولها مرافق كثيرة شتى ، ومرجها لا ينهشم صيفاً ولا ينحطم ، ويتأذى كلؤه وطبا ، وبذلك يصلح تاجها وتدوم ألبان ماشيتها ، ولو كان يقتصر عليها

(١) نشرت اطمة من هذا الكتاب في مجلة معهد المخطوطات ، المجلد الأول ، الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٥ ، تحقيق الدكتور اطفى عبد البديع .

بالمسارح أهل الأندلس لاتسمت لهم ، وهى من السواحل التى يحسن فيها نصب
السكر ، ومسافة ما بين اشبيلية وقرطبة تسعون ميلا ، ولكورة اشبيلية من
الأقاليم إقليم المدينة ، وإقليم آليه ، وإقليم البصل ، وإقليم طالق ، وإقليم الشرف
وإقليم الوادى ، وإقليم الفحص ، وإقليم طشانة ، وإقليم قطرسانية ، وإقليم المسير
الى غير ذلك ، (١) .

(١) قطعة من فرجة الأندلس ، من ٢٣ و ٢٤ .

(٣)

وصف مصر الفسطاط من كتاب سفرنامه للرهالة : مصر خسرو علوى

« ومصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات ،
وسمعت من ثقات أن شخصاً غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار وجل ،
إليها عجلارباه فيها حتى كبر ، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع
الماء إلى الحديقة من البئر . وزرع على هذا السطح شجر النارج والموز وغيرهما .
وقد أثمرت كلها ، كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى .
وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دوراً كثيرة فيها حجرات للاستغلال أى للايجار
ومساحتها ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصاً ، وهناك
أسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائماً ، لأن الضوء لا يصل إلى أرضها ،
ويسير فيها الناس .

وفي مصر سبعة جوامع ، خير جوامع القاهرة ، والمدينتان متصلتان . وفيهما
معا خمسة عشرة جامعاً وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة في كل حى منهما ، وفي
وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الجوامع » ، شيد عمر بن العاص أيام
إمارته على مصر من قبل عمر بن الخطاب . وهذا المسجد قائم على أربعمائة عمود
من الرخام ، والجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بالأواح الرخام الأبيض التى
كتب القرآن عليها بخط جميل . ويحيط بالمسجد من جهاته الأربع الأسواق ،
وعليها تفتح أبوابه ، ويقام بهذا المسجد المدرسون والمقرئون . وهو مكان
اجتماع سكان المدينة الكبيرة ، ولا يقل من فيه فى أى وقت عن خمسة آلاف ،
من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يمررون الصكوك والعقود وغيرها :

(١) ناصر خسرو علوى ، سفرنامه ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب ، القاهرة ١٩٤٤ .

وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو بن العاص ، وكانوا قد ذهبوا إليه وقالوا : نحن فقراء مغوزون ، وقد بنى جددنا هذا المسجد ، فإذا أذن السلطان تهدمه ونبيع أحجاره ولبناته ، فاشتراه الحاكم بمائة ألف دينار وأشهد على ذلك كل أهل مصر ، ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبة منها ثريا فضية لها ستة عشر جانبا ، كل جانب منها ذراع ، ونصف دائرتها أربع وعشرون ذراعا ... (١) .

(٤)

وصف مدينة سوسة مع رحلة النجاشي (١)

و ثم ارتحلنا عن إهرقلية يوم الجمعة ثاني جمادى الآخرة ، فزلنا بسوسة وهي مرحلة قريبة ، وسوسة مدينة كبيرة على سفح جبل عال وعليها سور منيع من الصخر ينتهي البحر إليه ويضرب فيه ، وبها آثار الأول وإليها تنسب الثياب الرفيعة السوسية ، والمسافرون يقصدونها من الآفاق ، وبها جامع للخطبة حسن كان بناؤه في ولاية أبي العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب سنة ست وثلاثين ومائتين على يد خادمه مدام ، وكانت سوسة إذ ذاك قرية ، وأتى بعده ابن أخيه أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب ، فجدد سورها ، وألحقها بالمدن ، وكان تجديد سورها سنة تسع وأربعين ومائتين. وبمعين جامعها المذكور بيت قـكتب فيه بخط قديم نقشا في الحجر القرآن كلام الله ليس بخلق ، وكتب مثل ذلك أيضا في عهد الجامع ، وذلك كله تنبيه على مذهب أهل السنة وتثبيت له بسبب كثرة ما كان بها وبجميع بلاد إفريقية في القديم من مذاهب المنحرفة عن المذهب السني ثم ما كان بها منها في زمن ملك الروافض لها ثم في زمن تغلب الخوارج عليها .

ومن سوسة هذه ركب أسد بن الفرات البحر غازيا إلى صقلية سنة اثنتي عشرة ومائتين ، فافتح كثيرا من معانقها وتغلب على كثير من مدنها ، ومات في العام الذي يليه وهو محاصر لها ، قالوا ونزل الروم على سوسة في الزمن القديم في ثلاثين ألف مقاتل ، فبلغ ذلك معاوية بن حديج السكوني ، وقيل التجيبي ، وقيل الكندي ،

(١) تحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

قال أبو عمر بن عبد البر والصواب إن شاء الله السكوني ، وخطباء الرشايط ،
وقال إذا كان سكونيا فهو تيجي وكندي . وكان معاوية هذا واليا على إنريقية من
قبل عمرو بن العاص . فبعث عبد الله بن الزبير إلى سوسة في جمع كثيف ليحميها .
فتوجه عبد الله ونزل بجمعه على شرف عال بينه وبينها اثنا عشر ميلا أو نحوها . فلما
علم الروم بوصوله رفؤوا جميع سفنهم إلى شاطئ البحر وأزعموا الارتحال ،
فوصل عبد الله بجمعه من الغد حتى انتهى إلى سور المدينة . ثم نزل عن فرسه .
وقام يصلي بالناس بعض الصلوات الحاضرة . فجعل الروم يتعجبون من إقدامه
وقلة اكترائه بهم ، فأخرجوا له جمعا من حماهم فزحفوا إليه وهو مقبل على
صلاته لا يهوله ذلك ، حتى إذا قضى صلاته ركب فرسه وحمل عليهم ، فأنكشوا عنه
ولوا أديبارهم ، فسعدوا إلى مراكبهم . وأقلعوا إلى بلادهم ، (١) .

مراجع الكتاب

مراجع الكتاب

- ١ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعى): كتاب الحلة السراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٢ - المعجم فى أصحاب الإمام أبى على الصدفى ، مجلد ٤ من المكتبة العربية الاسبانية ، تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٨٥ .
- ٣ - كتاب التكملة لكتاب الصلة ، جزآن ، تحقيق كوديره ، مدريد ، ١٨٨٧ - ١٨٨٩ .
- ٤ - ابراهيم (دكتور عبد اللطيف) : وثيقة السلطان قايتباى ، من بحوث المؤتمر الثالث للآثار فى البلاد العربية بفاس ، القاهرة ، ١٩٦١ .
- ٥ - ابراهيم (الاستاذ محمد أبو الفضل) مقدمة كتاب تاريخ الرسل والملوك ، لمحمد بن جرير الطبرى ، مجموعة ذخائر العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٦ - أتكن (هيو) : دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة الدكتور محمود زايد ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ٧ - ابن الاثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) : كتاب الكامل فى التاريخ ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .
- ٨ - التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية ، تحقيق الاستاذ عبد القادر أحمد طليعات ، القاهرة ، ١٩٦٣ .
- ٩ - أحمد (الاستاذ نفيس) : جهود المسلمين فى الجغرافية ، ترجمة الاستاذ فتحى عثمان ، مجموعة الألف كتاب ، عدد ٢٧٢ .

- ١٠ — الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن العزيز): صفة المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب تزيمة المشتاق في اختراق الآفاق . نشره دوزي ودي غوييه ، لينن ، ١٨٩٣ ،
والقسم الخاص بالشام ، تحقيق جيلد ميستر ، بون ، ١٨٨٥
- ١١ — الأذرقى (أبو الوليد محمد بن عبد الله) : كتاب أخبار مكة ، جزآن .
الأستاذ رشدي الصالح ملحق ، مكة ، ١٣٥٢ هـ
- ١٢ — أسامة بن منقذ (مؤيد الدولة أبو مظفر) : كتاب الاعتبار ، تحقيق
الدكتور فيليب حتى ، برلستون ، ١٩٣٠ .
- ١٣ — الاصطخري (أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي) : المسالك والممالك ،
تحقيق الدكتور محمد جابر عبد العال الحيني ، القاهرة ، ١٩٦١
- ١٤ — الأصفهاني (عماد الدين أبو عبد الله محمد) . كتاب الفتح القسي في الفتح
القدس ، تحقيق الكونت كارلو دي لاندبرج ، لندن ١٨٨٨ ،
وطبعة القاهرة ، تحقيق الأستاذ محمد محمود صبيح ، أصدرته
الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥
- ١٥ — الأصفهاني (حمزة بن حسن) : تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ،
برلين ، ١٣٤٠ هـ
- ١٦ — الأصفهاني (أبو الفرج) : كتاب الأغاني ، طبعة بيروت ، ١٩٥٦
- ١٧ — أغايوس (محبوب بن قسطنطين الرومي) : كتاب العنوان ، تحقيق
فازيليف ، جزآن ، باريس ، ١٩٠٩

- Alarcon (Maximiliano) & Garcia de Linares: Los — ١٨
Documentos Arabes Diplomaticos del archivo
de la Corona de Aragon, Madrid 1940.
- ١٩ — الألوسى (الأستاذ محمود شكرى): بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب،
٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٢٥
- ٢٠ — أمين (الأستاذ أحمد): فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٤٥
- ٢١ — : : : ضحى الاسلام، ج ١ ، القاهرة ١٩٤٦، وج ٢،
القاهرة ١٩٣٨
- ٢٢ — Amari (Michele). Biblioteca Arabo-Sicula, Lipsia, 1857
(نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، جمعها وحققها
ميخائيل أمارى) .
- ٢٣ — الأنطاكي (يحيى بن سعيد): صلة كتاب سميد بن بطريق ، تحقيق الأب
لويس شيخو ، بيروت ، ١٩٠٩
- ٢٤ — أوليرى: مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ، ترجمة الدكتور تمام
حسان ، القاهرة ١٩٥٧
- ٢٥ — ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد): بدائع الزهور في وقائع الدهور،
تحقيق الدكتور محمد مصطفى ، الأجزاء ٣-٥ ، القاهرة ،
١٩٦٠ / ١٩٦٣
- Barthold : Turkestan down to the Mongol invasion, — ٢٦
London, 1928

- ٢٧ — بالثيا (آنخل جنثالث): تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة الدكتور
حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥٥
- ٢٨ — Palencia (Angel Gonzalez): Los Mozarabes de Toledo en
los siglos XII y XIII, vol. I, Madrid, 1926
- ٢٩ — ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن أحمد): كتاب الصلة في تاريخ أئمة
الأندلس وعلماهم ، تحقيق كوديره ، مدريد ١٨٨٢
- ٣٠ — ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي): رحلة ابن بطوطة ، طبعة
صادر ، بيروت ، ١٩٦٠
- ٣١ — de Perceval (Caussin): Essai sur l'histoire des Arabes,
3 vols. Paris, 1847.
- ٣٢ — البغدادى (الخطيب): تاريخ بغداد ، القاهرة ١٩٣١ (١٤ جزءا)
- ٣٣ — البغدادى (عبد اللطيف): كتاب الافادة والاعتبار ، طبعة مصر ، ١٨٧٠
- ٣٤ — البكرى (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز): معجم ما استعجم ،
تحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٤٥
- ٣٥ — : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب
المسالك والممالك تحقيق البارون دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧ .
إفريقية والمغرب ، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ،
تحقيق البارون دى سلان ، الجزائر ١٨٥٧
- ٣٦ — البلاذرى (أحمد بن يحيى بن جابر): كتاب فتوح البلدان ، تحقيق الدكتور
صلاح الدين المنجد ، ٢ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦/١٩٥٧
- ٣٧ — : أنساب الأشراف ، ج ١ ، تحقيق الدكتور محمد حميد الله ،
القاهرة ، ١٩٥٩

٣٨ — بلسير : مادة وتاريخ ، بدائرة المعارف الإسلامية ، القسم العرب ،

مجلد ٤ ، عدد ٨ ، ص ٧٣

٣٩ — ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيري) : مذكرات الأمير عبد الله الزيري ،

المسماة بكتاب التبيين ، تحقيق الأستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ،

١٩٥٥ .

٤٠ — Pons Boigues (F.) : Ensayo bio-bibliografico sobre los

historiadores y geografos arabigo espanoles,

Madrid, 1898.

٤١ — البيذق (أبو بكر الصنهاجي) : كتاب أخبار المهدي بن تومرت ، تحقيق

الأستاذ ليفى بروفنسال ، باريس ١٩٢٨ .

٤٢ — البيروني (أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي) : الآثار الباقية عن

القرون الخالية ، تحقيق إدوارد شاو ، ليدج ، ١٩٢٣ .

٤٣ — البيهقي : كتاب المحاسن والمساوي ، القاهرة ١٩٢٥ هـ

٤٤ — التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد) : رحلة التجاني ، تحقيق الأستاذ

حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ .

٤٥ — الثعالي (أبو منصور عبد الملك بن محمد) : غرر أخبار ملوك الفرس

وسيرهم ، نشره زوتنبرج ، باريس ١٩٠٠ .

٤٦ — Gibb (H. A. R.) : Tarikh, in Enc. of Islam, Supplement,

pp 233-245, Leiden-London, 1938.

والمقالة معربة في الجزء العرب من دائرة المعارف الإسلامية ،

المجلد ٤ ، العدد ٨ .

٤٧ — جب (هاملتون) : دراسات في حضارة الاسلام ، ترجمة الدكاترة إحسان عباس ومحمد نجم ومحمود زايد ، بيروت . ١٩٦٤ .

٤٨ — ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد البلمسي) كتاب تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الاسفار ، تحقيق وليم رايت ، لندن ، ١٩٠٧ .

٤٩ — جروهمان (أدولف) : أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية ، الاسفار الأربعة ، ترجمة الأستاذ جروهمان بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٦٧ .

٥٠ — Grohmann (A) : Arabic Papyri in Egyptian Library,

4 vols, Cairo , 1924 - 1928

٥١ — ابن جعفر (أبو الفرج قدامة) . كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، تحقيق دى غوية ، الجزء السادس من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ، ١٨٨٩ .

٥٢ — الجهشيارى (أبو عبد الله محمد) . كتاب الوزراء والسكران ، تحقيق الأساتذة مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبيارى ، وعبد الحفيظ شلي ، القاهرة ١٩٣٨ .

٥٣ — ابن الجوزى (أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزوغلى) : كتاب مرآة الزمان ، طبعة شيكاغو ، ١٩٠٧ . وطبعة حيدرآباد الدكن ١٩٥١ ، ١٩٥٢ .

٥٤ — حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، طبعة أسطنبول ، ١٩٤١ .

٥٥ — ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) : جمهرة أنساب العرب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ١٩٤٨ (مجموعة ذخائر العرب ، عدد ٢)

٥٦ — حسن (دكتور حسن ابراهيم) : النظم الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٣٩ .

٥٧ — حسن (دكتور زكي محمد) : دراسات في مناهج البحث في التاريخ الإسلامي
مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة . مجلد ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٠

٥٨ — : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٤٥

٥٩ — حسن (دكتور علي ابراهيم) : استخدام المصادر وطرق البحث في
التاريخ المصري الوسيط ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

٦٠ — حسن (الأستاذ محمد عبد الغنى) . علم التاريخ عند العرب ، القاهرة ،

١٩٦١ .

٦١ — حسين (دكتور طه) : في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٦٢ — حسيني (مولوى) : الادارة العربية ، ترجمة الدكتور ابراهيم أحمد العدوى
القاهرة ١٩٥٨ .

٦٣ — الحميدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : جذوة المقتبس في تاريخ رجال
الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ .

٦٤ — الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) : صفة جزيرة الأندلس من
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق ليفي بروفنسال ،
القاهرة ١٩٢٧

٦٥ — : القسم الخاص بوصف صقلية من كتاب الروض المعطار ،
تحقيق الأستاذ أومبرتو ريتسيتانو ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة

٦٦ — حوراني (الأستاذ جورج فاضل) : العرب والملاحاة في المحيط الهندي ،

ترجمة الدكتور يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٦٧ — الحوفي (دكتور أحمد محمد) : الطبري ، من سلسلة أعلام العرب ،

القاهرة ، ١٩٦٣ .

٦٨ — ابن حوقل (أبو التمام محمد) : صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ١٩٦٣

٦٩ — ابن حيان (أبو مروان حيان بن خلف) : قطعة من المقتبس في تاريخ

رجال الأندلس ، من عهد الأمير عبد الله ، نشرها الأب

ملشور أنطونيه ، باريس ، ١٩٣٧ ، وقطعة من المقتبس ، من

عهد الخليفة الحكم المستنصر ، تحقيق الأستاذ عبد الرحمن علي

الحجوي ، بيروت ١٩٦٥ . وقطعة من المقتبس من عهد الأمير

عبد الرحمن الأوسط ، تحقيق الدكتور محمود علي مكي ،

(بيروت . ١٩٦٧ / ١٩٦٨)

٧٠ — ابن خاقان (الفتح) : كتاب مطبخ النفس ومسرح الناس في ملح أهل

الأندلس ، قسنطينة ، ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م)

٧١ — الخشني (محمد بن حارث) : تاريخ قضاة قرطبة . تحقيق دون خليان

ريبيرا ، مدريد ، ١٩١٤

٧٢ — ابن الخطيب (إسان الدين) : كتاب أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل

الاحتلام من ملوك الإسلام ، (القسم الخاص بالأندلس)

تحقيق ليفي بروفسال . طبعة بيروت ١٩٥٦ . (والقسم

الخاص بالمغرب) تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي .

والاستاذ محمد إبراهيم الكتاني ، الدار البيضاء ، ١٩٦٤

٧٣ — ابن الخطيب: الاحاطة في أخبار غرناطة ، ج ١ ، تحقيق الاستاذ محمد عبدالله

عنان ، القاهرة ١٩٦٦ ، وطبعة مصر ، ١٣١٩ هـ

٧٤ — : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب ، مجموعة رسائله ، جمعها

وحققها الدكتور أحمد مختار الهمادي ، الاسكندرية ، ١٩٥٨

٧٥ — ابن خلدون (عبد الرحمن) : كتاب العبر ، المقدمة ، تحقيق الدكتور علي

عبد الواحد وافي ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٧

٧٦ — : كتاب العبر ، طبعة بيروت ، ١٩٦٥

٧٧ — : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، تحقيق الاستاذ

محمد بن تاويف الطنجي ، القاهرة ، ١٩٥١

٧٨ — Jimenez (Manuel Ocana) : La Inscripcion fundacional

de la Mezquita de Ibn Adabdas en Sevilla, al Andalus,

vol XII, fasc. I, 1947

٧٩ — ابن الدلائل (أبو العباس أحمد بن عمر بن أسد العنزي) : نصوص عن

الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، والبستان

في غرائب البلدان ، والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق الدكتور

عبد العزيز الهمواني ، مدريد ، ١٩٦٥

٨٠ — الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، القاهرة ، ١٩٤٤

٨١ — الدوري : (دكتور عبد العزيز) : بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ،

بيروت ، ١٩٦٠

٨٢ — ديومبين (جود فروا) : النظم الاسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل السامر ،

والدكتور صالح الشماخ ، بيروت ، ١٩٦١

٨٣ — ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلام النفيسة ، الجزء السابع من

المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دي غوية ، لندن ، ١٨٩٢

٨٤ — روزنثال (فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور صالح أحمد

العلي ، بغداد ، ١٩٦٣

٨٥ — Recueil des Historiens des Croisades : Historiens
Orientaux, Paris, 1884

٨٦ — Rios (Amador de los) Inscripciones arabes de Sevilla,
Madrid, 18٥5

• • : Inscripciones arabes de Cordoba, Madrid 1879

• • : Epigrafia Arabe : Capiteles con inscripciones — ٨٧
descubiertos en Cordoba, Revista de Archivos, 1898

٨٨ — ابن أبي زرع الفاسي : كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار

ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، تحقيق تورنبرج ، أبساله ،

• ١٨٤٣ •

٨٩ — الزبيرى (المصعب بن عبد الله) : نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسال ،

القاهرة ، ١٩٥٣

٩٠ — زيادة (دكتور محمد مصطفى) : المأثور خون في مصر في القرن الخامس

عشر الميلادى ، القاهرة ١٩٤٩

- ٩١ — زيادة (دكتور نقولا) الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦
- ٩٢ — : الجغرافية والرحلات عند العرب ، بيروت ١٩٦٢
- ٩٣ — سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : المآذن المصرية ، نظرة عامة عن أصلها وتطورها ، القاهرة ١٩٥٩
- ٩٤ — : المغرب الكبير ، ج ٢ : المغرب الإسلامي ، الاسكندرية ١٩٦٦
- ٩٥ — : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الاسكندرية ١٩٦١
- ٩٦ — : دراسات في تاريخ العرب ، ج ١ ، عصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٧ — : طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي . الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٨ — السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، ليس لشره روزنثال ، في كتابه علم التاريخ عند المسلمين .
- ٩٩ — السخاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) : كتاب التبر المسبوك في ذيل السلوك . بولاق ١٨٩٦
- ١٠٠ — Sobernheim (M) : Corpus Inscriptionum Arabicarum , t. XXV, 1909 .
- ١٠١ — ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد) : الطبقات الكبرى ، طبعة آيدن ،

تحقيق الدكتور ستر ستين ، ١٢٢٢ هـ (١٩٠٥ م)

١٠٢ — ابن سعيد (أبو الحسن علي الأندلسي) : المغرب في رحلي المغرب ، الجزء الأول من القسم الخاص ببحر ، تحقيق الدكتور زكي محمد حسن

وشوقي ضيف وسيدة كاشف ، القاهرة ، ١٩٥٢

١٠٣ — السهمودي (جمال الدين أبو الممان عبد الله) : كتاب ولاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، طبعة مصر ، جزآن ، ١٢٢٦ هـ

Sauvaget (Jean) : Introduction à l'histoire de l'Orient musulman, Paris, 1923

Sauvaget (Jean) : Relation de la Chine et de l'Inde Paris, 1948

١٠٤ — السيوطي (جلال الدين) : التزهر في علوم اللغة ، شرح الأستاذ محمد أحمد بن جاد المولى وآخرين .

١٠٥ — السيوطي (جلال الدين) : بنية الوعاء ، القاهرة ، ١٢٢٦ هـ

١٠٦ — ابن الصحنة الحلبي (أبو الوليد محمد الدين محمد) : كتابات النور المنتخب في تاريخ مكة حطب ، نشره الأستاذ يوسف مركيس ،

بيروت ، ١٩٠٩

١٠٧ — ابن شداد الحلبي : الأعلام الخطيرة في ذكر أعلام الشام والجزيرة ،

تحقيق الدكتور سامي الدامان ، دمشق ، ١٩٦٢

١٠٨ — ابن شداد (أبو المحاسن يوسف بن رافع) : التواذير السلطانية والمحاسن الديوبندية ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، القاهرة

١١١ — الشريف (الأستاذ أحمد إبراهيم) : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر

الرسول ، القاهرة ١٩٦٧

١١٢ — الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر) : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تحقيق

الأستاذ السيد الباز العرينى ، القاهرة ، ١٩٤٦

١١٣ — شايلد (جوردون) : التاريخ ، ترجمة الأستاذ عدلى برسوم عبد الملك ،

القاهرة ١٩٥٨

١١٤ — الشيال (دكتور جمال الدين) : التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن

التاسع عشر ، المكتبة التاريخية ، عدد ٣ ، القاهرة ، ١٩٥٨

١١٥ — el-Shayyal (G) : a history of Egyptian historiography

in the 19 th Century, Alexandria, 1962

١١٦ — الصالح (دكتور صبحى) : مباحث في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٢

١١٧ — صالح بن يحيى : تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحريين من بني الغرب ،

نشره الأب لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ، ١٨٩٨

١١٨ — ابن صاحب الصلاة (عبد الملك بن أحمد الباجى) : تاريخ المن بالإمانة على

المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، تحقيق

الأستاذ عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤

١١٩ — الصولى (أبو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكتاب ، تحقيق الأستاذ محمد

بهجة الأثرى القاهرة ١٩٤١ هـ

١٢٠ — الضبي (أبو جعفر أحمد) : بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس ،

تحقيق كوديعة ، مدريد ، ١٨٨٥ هـ

١٢١ — ابن طباطبا (محمد بن علي) : كتاب الفخرى في الآداب السلطانية ، بيروت ،

١٩٦٠

١٢٢ — الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك : تحقيق دى غويّة ،

لندن ١٨٨١ — ١٨٨٢

١٢٣ — طليحات (الأستاذ عبد القادر أحمد) : المؤرخ ابن الأثير ، بحث مقدم
لنيل درجة الدكتوراة في الآداب من جامعة عين شمس في

١٩٦٧/٧/٨

١٢٤ — العبادي (الأستاذ عبد الحميد) : التاريخ عند العرب ، فصل مضاف إلى

كتاب علم التاريخ لهرنشو

١٢٥ — العبادي (دكتور أحمد مختار) . مؤلفات لسان الدين بن الخطيب في

المغرب ، مقال في مجله هسبيريس ، عدد ٣ ، ٤ ، ١٩٥٩

١٢٦ — : سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ، صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٥٧

١٢٧ — عبد البديع (دكتور أحمد لطفى) : الإسلام في إسبانيا ، المكتبة التاريخية ،

العدد الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٢٨ — ابن عبد الحق البغدادي (صفى الدين عبد المؤمن) : كتاب مراصد الإطلاع

في أسماء الأماكن والبقاع ، طبعة جوينبل ، ٤

أجزاء ، لندن ، ١٨٥٣

١٢٩ — ابن عبد الحكيم (عبد الرحمن بن عبد الله القرشي) : كتاب فتوح مصر

والمغرب والأندلس ، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عامر ،

القاهرة، ١٩٦١

١٣٠ — عبد الحميد (دكتور سعد زغلون) : فتح العرب للغرب بين الحقيقة

التاريخية والأسطورة الشعبية ، دراسة ونقد لمخطوط فتوح

مدينة إفريقية ، من مخطوطات الواقدي بالمنحف البريطاني ، مجلة

كلية الآداب جامعة الاسكندرية ، مجلد ١٦ ، الاسكندرية ١٩٦٢

١٣١ — د . د . : ملاحظات عن ممر كما رأها ووصفها الجغرافيون

والرحالة المغاربة في القرنين السادس والسابع الهجري ، مجلة

كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، مجلد ٨ ، ١٩٥٤

١٣٢ — عبدالوهاب (الاستاذ حسن) : الاسكندرية في العصر الاسلامي ، مجلة

الكتاب ، يناير ، ١٩٤٧

١٣٣ — ابن العبري (أبو الفرج جريجوريوس بن هارون الملقب) : تاريخ مختصر

الدول ، تحقيق الاب أنطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ،

١٨٩٠

١٣٤ — ابن العديم الحلبي (كمال الدين أبو القاسم عمر) : كتاب زبدة الحلب من

تاريخ حلب ، الدكتور سامي الدهان ، دمشق ، ١٩٥١

١٣٥ — ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ٢ ، بيروت ،

١٩٥٠

١٣٦ — عريب بن سعد : صلة تاريخ الطبري ، تحقيق دي غوية ، لندن ،

١٨٩٧

١٣٧ — على (دكتور جوان) : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ٨ أجزاء ،

بغداد ، ١٩٥٠ - ١١٥٦

١٣٨ — عمارة اليمنى (أبو الحسن نجم الدين) : كتاب النكت المصرية في أخبار

الوزارة المصرية ، طبعة درنبرج ، باريس ، ١٨٩٧

١٣٩ — العمري (شهاب الدين بن فضل الله) : كتاب مسالك الابصار في معالم

الامصار ، قطعه في وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق

الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، نشره بتونس ، من

مطبوعات مجلة البدر

١٤٠ — عنان (الاستاذ محمد بن عبد الله) : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط

المصرية ، القاهرة ، ١٩٣١

١٤١ — ابن غالب (محمد بن أيوب الاندلسي) : قطعة من كتاب فرحة الانفس في

تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفى عبد البديع ، مجلة

المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٥٦

١٤٢ — الفاسي (أبو الطيب تقى الدين محمد بن أحمد) : كتاب شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٥٦

١٤٣ — ابن الفرات (ناصر الدين محمد عبد الرحيم) : تاريخ ابن الفرات ، تحقيق

الدكتور قسطنطين زريق ، مجلد ٩ ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٣٨

١٤٤ — ابن الفرضي (أبو الوليد عبد الله) : تاريخ علماء الاندلس ، جزآن ،

تحقيق كوديرة ، مدريد ، ١٨٩١ .

١٤٥ — فروخ (دكتور عمر) : تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤

- ١٤٦ — فـشـل (وائز) : نشاط ابن خلدون في مصر المملوكية ، مقال في
دراسات اسلامية ، ترجمة الدكتور أنيس فريجة وآخرين ،
بيروت ، ١٩٦٠ .
- ١٤٧ — فهمي (دكتور عبد الرحمن) : فجر السكة العربية ، من مجموعات متحف
الفن الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٥
- ١٤٨ — : صنج السكة في فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٧
- ١٤٩ — : الشارات المسيحية والرموز القبطية على السكة
الإسلامية ، محاضرة في المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية بفاس،
القاهرة ، ١٩٦١
- ١٥٠ — : النقود العربية ، ماضيها وحاضرها . المكتبة الثقافية،
عدد ١٠٣ ، القاهرة ، ١٩٦٤
- ١٥١ — Fahmy (Dr. Aly Moh) : Muslim sea power in the
eastern Mediterranean, Cairo, 1966
- ١٥٢ — Van Berchem (Max.) : Matériaux pour un Corpus
Inscriptionum Arabicarum, L'Egypte, t. 19, 1894.
- ١٥٣ — : Matériaux pour un C. I A :
La Syrie du Sud, 1922 .
- ١٥٤ — Edmond Fatio : Voyage en
Syrie, 2 Vols., dans Mémoires de l'Institut Français
d'Archéologie Orientale du Caire, t. 37, le Caire,
1914-1915.

- Vielva (Ramon Revilla) : Patio arabe del Museo Arqueologico nacional de Madrid, Madrid, 1932 ١٥٥
- weil : Les bois à Epigraphes, jusqu a' l'époque mame - ١٥٦
louke, catalogue général du Musée arabe de Caire, 2
vols. 1931 - 1936
- Wiet (Gaston) : Une inscription d'un prince de Tripoli. — ١٥٧
de la dynastie des Bauu Ammar, Memorial H.Basset,
Pub. I H. E M, t XVIII.
- ١٥٨ — ابن قتيبة الدينوري : كتاب المعارف، القاهرة، ١٣٠٠ هـ
- ١٥ — القرآن الكريم .
- ١٦٠ — القزويني (زكريا بن محمد) : آثار البلاد وأخبار العباد ، جوتنجن ،
١٨٤٨
- ١٦١ — ابن القلاسي (أبو يعلى حمزة) : ذيل تاريخ دمشق ، بيروت ، ١٩٠٨
- ١٦٢ — القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الانشا
١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٤
- ١٦٢ — كاشف (دكتور سيدة) : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث
فيه ، القاهرة ١٩٦٠
- ١٦٤ — : مصر في عصر الولاة ، القاهرة ، ١٩٥٨
- ١٦٥ — : الوليد بن عبد الملك ، سلسلة أعلام العرب ، عدد ١٧
- Casto Maria del Rivero : La Moneda arabigo espanola, — ١٦٦
Madrid, 1833.

١٦٧ — الكافي جى (محيى الدين محمد بن سليمان) : المختصر فى علم التاريخ ، نص
نشره فرانز روزنثال ، فى كتاب علم التاريخ عند المسلمين

١٦٨ — Cahen (Claude) : La Syrie du Nord a l'époque des
Croisades et la Principauté franque d'Antioche, paris
1940.

١٦٩ — الكتاب المقدس (العهد القديم)

١٧٠ — ابن كثير الدمشقى (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل) : البدايه والنهايه ،
طبعة مصر ، ١٣٥٨

١٧١ — الكلبي (هشام بن محمد بن السائب) : كتاب الأصنام ، نشره الأستاذ
أحمد زكى ، بولاق ، ١٢٣٢ هـ ، وصورته الدار القومية فى ١٩٦٥

١٧٢ — : كتاب الخيل فى الجاهلية والاسلام وأخبارها ،
تحقيق أحمد زكى باشا . القاهرة ، ١٩٤٦ .

١٧٣ — Combe, Sauvaget, Wiet : Repertoire Chronologique
d'Epigraphie Arabe, le Caire, 1931-1944.

١٧٤ — الكندى (أبو عمر محمد بن يوسف) : كتاب الولاة وكتاب القضاة ، تحقيق
رفن جست ، بيروت ، ١٩٠٨ .

١٧٥ — Lavoix (H) : Catalogue des monnaies musulmanes
de la Bibliothèque Nationale, 3 vols, Paris, 1887

١٧٦ — Lévi della Vida : La traduzione arabe della Storie
de Orosio, al Andalus, vol XIX, 19٢4

Lévi - Provençal (E) : Les Historiens des Chorfa — ١٧٧
Paris, 1922

• • : Documents inédits d'histoire — ١٧٨
almohade, Paris, 1928

• • : La Description de l'Espagne — ١٧٩
d'Ahmad al Razi, al-Andalus, vol XVIII, fasc I, 1953.

• • : Un document Sur la vie urbaine — ١٨٠
et le corps des métiers de Séville au début du XIe
Siècle, dans, Journal Asiatique, Avril Juin, 1934

• • : Inscriptions arabes d'Espagne, — ١٨١
2 vols., Paris 1951.

١٨٢ — ليفى بروفنسال : الإسلام في المغرب والأندلس ، تعريب الدكتور
السيد عبد العزيز سالم ، والأستاذ محمد صلاح الدين حلى ،
القاهرة ، ١٩٥٨ .

١٨٣ — لويس (برنارد) : العرب في التاريخ ، تعريب الدكتور نبيه أمين فارس ،
والدكتور محمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥٤ .

١٨٤ — ماجد (دكتور عبد المنعم) : مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامى ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

١٨٥ — • • : النقود الفاطمية ، مقال بحوثات كلية
الآداب جامعة عين شمس ، مايو ١٩٥٣ .

١٨٦ — • • : تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى ،
القاهرة ، ١٩٦٣ .

١٨٧ — • • : التاريخ السياسى للدولة العربية ، ج ١ ،
القاهرة ، ١٩٦٧ .

١٨٨٠ — الماوردي (أبو الحسين علي بن محمد) : الأحكام السلطانية ، القاهرة .

١٢٢٨ هـ .

١٨٩٠ — مجهول : أخبار الصين والهند ، تحقيق جان سوفاجيه ، باريس ، ١٩٤٨ .

١٩٠٠ — المرزا كشي (محيي الدين عبد الواحد) : المدجّب في تلخيص أخبار المغرب ،

تحقيق الأستاذين محمد سعيد العريان ، ومحمد العربي العلي ،

القاهرة ، ١٩٤٩ .

١٩٠٠ — المصعودي (أبو الحسين علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعادن

الجواهر ، مطبعة الأستاذ محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨ .

١٩١٠ — مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد) : كتاب تحصيل إرب الأمم ، تحقيق

أ. آملون ، القاهرة ، ١٩١٤ — ١٩١٥ .

١٩٢٠ — Margoliouth (D.D.SS) : Lectures on Arabic Historians

(delivered before the University of Calcutta, February

1929) , University of Calcutta, 1930 .

١٩٣٠ — المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة

الأقاليم ، مطبعة دي رويّة ، ليون ١٩٠٦ .

١٩٤٠ — المقدسي (أبو عبد الله محمد) : كتاب البلدان والتاريخ ، نشره كلبان هوار ،

باريس ١٨٩٩ .

١٩٥٠ — المقرئ (أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب ، تحقيق

الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١٠ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩ .

١٩٦٠ — المقرئ (أبي الدين أحمد) : إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور

جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة ،

القاهرة، ١٩٥٧ .

١٩٧ - د . د . : شذور المقود في ذكر القود القديمة والاسلامية، تحقيق الطباطبائي

النجف ، ١٣٥٦ .

١٩٨ - د . د . : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٣ مجلدات ،

طبعة بيروت ، بيروت ١٩٥٦ .

١٩٩ - مكي (دكتور محمود علي) : التشيع في الأندلس ، مقال بصحيفة معهد

الدراسات الإسلامية بمدريد ، مجلد ٣ ، ١٩٥٤

Mekki (Dr Mahmud Ali) : Egipto y los origines de la
historiografia arabe espanola , Revista del Insti-
tuto Egipcio de Estudios Islamicos de Madrid,
vol. V , fasc 1-2, Madrid, 1957 .

٢٠١ - ابن عثاني (شرف الدين أبو المكارم) : كتاب قوانين الدواوين ، جمع

وتحقيق الدكتور عزيز سوريال عطية ، القاهرة ١٩٤٣

٢٠٢ - ابن منبه (وهب) : كتاب التيجان في ملوك حمير . طبعة حيدر آباد

الدكن ، ١٣٤٧ هـ .

٢٠٣ - مؤس (أويس) : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسيني ،

الاسكندرية ١٩٥٣

٢٠٤ - مؤس (الدكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون في الأندلس من

البداية إلى الحجازي ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في

مدريد ، المجلدان ٧ ، ٨ مدريد ١٩٥٩ - ١٩٦٠ .

٢٠٥ — مؤنس (دكتور حسين) : الجغرافية والجغرافيون في الأندلس : الشريف
الإدريسى قمة علم الجغرافية عند المسلمين ، صحيفة معهد الدراسات
الإسلامية بمديره ، المجلدان ٩ ، ١٠ ، مديره ١٩٦١ - ١٩٦٢

٢٠٦ — ناصري خسرو علوي : سفرنامه ، تعريب الدكتور يحيى الخشاب ،
القاهرة ، ١٩٤٥

٢٠٧ — النجار (محمد بن محمود) : كتاب الدرة الثمينة في تاريخ المدينة ، نشر
كلحق ثاب بالجزء الثاني من كتاب شفاء الغرام بأخبار البلد
الحرام ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

٢٠٨ — النقشبندی (ناصر السيد محمود) : الدينار الاسلامي في المتحف العراقي ،
ج ١ ، الدينار الاموي والعباسي ، بغداد ١٩٥٣ .

٢٠٩ — النويري (شهاب الدين أحمد) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، السفر
الاول ، مجموعة تراثنا ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية

٢١٠ — النويري السكندري (محمد بن قاسم) : الإلمام بالإعلام فيما جرت به
الاحكام والامور المقضية في واقعة الاسكندرية ، مخطوطة رقم
١٤٤٩ بدار الكتب المصرية .

٢١ — الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد) : كتاب الإكليل ، ج ٨ ، تحقيق
الدكتور نبيه أمين فارس ، برنستون ، ١٩٤٠ ، والجزء العاشر ،
تحقيق محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .

٢١٢ — : صفة جزيرة العرب ، نشره محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي ،
القاهرة ١٩٥٣

٢١٣ - هرنشو : علم التاريخ ، ترجمة الأستاذ محمد الحميد العبادي . القاهرة ١٩٢٧

٢١٤ - المروى (أبو الحسن علي بن أبي بكر) : كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق جانين سورديبل جومين ، دمشق ، ١٩٥٣

٢١٥ - الواقدي : مغازي رسول الله ، القاهرة ، ١٩٤٨

٢١٦ - ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) : كتاب إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ، طبعة مرجليوث ، القاهرة ١٩١٣

٢١٧ - . . : معجم البلدان ، خمسة مجلدات ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥

٢١٨ - اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) : كتاب البلدان ، نشره دي غويه مع الأعلام النفيسة لابن رسته ، في الجزء السابع من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ، ١٨٩٢

٢١٩ - اليماني (عبد الواسع بن يحيى الواسعي) : تاريخ اليمن المسمى فرجة المموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ، القاهرة ، ١٣٤٦ هـ

٢٢٠ - يوتيخوس (سعيد بن بطريق) : كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، بيروت ، ١٩٠٥ - ١٩٠٦ .

فهرس موضوعات الكتاب

فهرس موضوعات الكتاب

الصفحة

المقدمة

٣

الباب الاول

الكتابة التاريخية عند العرب

الفصل الأول

علم التاريخ في أقوال مؤرخي العرب

١٧

١ — التقويم الهجري

١٧

أ — لفظة « تاريخ » لغة واصطلاحاً

٢٠

ب — ادخال التقويم الهجري

٢٦

٢ — آراء مؤرخي العرب في التاريخ

٢٦

أ — فائدة التاريخ

٢٤

ب — أخطاء المؤرخين العرب في رأي ابن خلدون

٣٩

ج — الشروط اللازم توفرها في الكتابة التاريخية

الفصل الثاني

تساقط علم التاريخ عند العرب

٤١

أ — أخبار العرب في الجاهلية

٤٥

عبيد بن شربة الجرهمي البني

٤٦

وهب بن منبه

الصفحة

٤٨	هشام بن محمد بن السائب الكلبي
٥٠	أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي
٥١	أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني
٥٣	٢ — كتاب السيرة والمغازي وبداية الكتابة التاريخية عند العرب
٥٣	١ — مدرسة التاريخ في المدينة
٥٥	الطبقة الأولى
٥٧	الطبقة الثانية
٦٠	الطبقة الثالثة
٦٦	ب — مدرسة التاريخ في البصرة
٦٧	كتاب المغازي
٦٧	كتاب التاريخ (الأخباريون)
٧١	كتاب الأنساب

الفصل الثالث

تطور الكتابة التاريخية في العصر الإسلامي

٧٥	١ — منهج الكتابة التاريخية عند المسلمين
٨٢	١ — التاريخ الحولي أو حسب السنين
٩١	ب — التاريخ حسب الموضوعات
٩١	التاريخ للدول
٩٥	التاريخ حسب الطبقات
٩٥	التاريخ حسب الأنساب

الصفحة

٩٧	٢ — تنوع صور المادة التاريخية
٩٧	أ — التاريخ العالمى
١٠٤	ب — التاريخ المحلى
١٠٧	التاريخ المحلى الديوى
١١٩	التاريخ المحلى الدينى
١٢٤	التاريخ المعاصر والمذكرات

الباب الثانى

مصادر التاريخ الاسلامى

الفصل الرابع

المصادر الأثرية

١٣٣	١ — الوثائق الرسمية والأوراق البردية والوقفيات
١٣٣	الوثائق الرسمية
١٣٦	البرديات
١٣٩	الوقفيات
١٤١	أمثلة من الوثائق الرسمية
١٥١	٢ — الكتابات الأثرية أو النقوش
١٥٦	٣ — العملات أو النميات أو المسكوكات
١٦٢	٤ — الآثار المعمارية والتحف

الصفحة

التحيز النحوي

المصادر المكتوبة

- ١٦٩ ١ - القرآن الكريم والحديث والتفسير
- ١٧٧ ٢ - كتب الطبقات والانساب
- ١٨٣ ٣ - كتب الجغرافية
- ١٨٥ مدرسة الجغرافية العربية المتأثرة بجغرافية اليونان
- ١٨٨ مدرسة الجغرافية العربية
- ١ - وصف أنظار العالم الاسلامي (البليغي - الاصطخري - ابن حوقل
المقدمي - الادريسي) ١٨٩
- ب - الجغرافيون المتخصصون في قطر واحد (الهمداني - البكري - المهلب -
البيروني) ١٩٤
- ج - المجامع الجغرافية (البكري - ياقوت - الخيري) ١٩٦
- د - الموسوعات العامة (النويري - العمري - القلقشندي) ١٩٧
- كتب الجغرافية في الاندلس والمغرب ٢٠٠
- ٤ - كتب الرحلات ٢١١
- أولا - الرحالة المشارقة ومصنفاتهم ٢١٦
- (١) ناصر خسرو علوي ٢١٦
- (٢) الهروي ٢١٨
- (٣) عبد الطيف البغدادي ٢١٩
- ثانيا - الرحالة المغاربة ومصنفاتهم ٢٢٠

الصفحة	
٢١٠	(١) ابن جبير
٢٢٢	(٢) ابن سعيد المغربي
٢٢٥	(٣) العبدري
٢٢٨	(٤) النوشريشي
٢٢٩	(٥) ابن رشيد السبتي القهري
٢٢٩	(٦) البلوي
٢٣١	(٧) أبو حامد الفرناطي
٢٣٢	(٨) ابن بطوطة
٢٣٣	(٩) التجاني
٢٣٥	٥ - الشعر العربي وكتب الأدب
٢٣٩	٦ - كتب الخراج والحسبة والخطط
٢٤٧	ملحقات
٢٤٧	أولا - مقتطفات من السكنايات التاريخية
٢٧٠	ثانيا - مقتطفات من كتب الجغرافيين والرحالة

ثم بعونه الله وتوفيقه

 Bibliotheca Alexandrina



0798811

